

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة مولود معمري، - تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

التخصص: لغوي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إعداد الطالب: عز الدين لعناني

الموضوع:

الدراسات الحجاجية عند اللسانيين العرب المحدثين

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ. د. صالح بلعيد أستاذ التعليم العالي.....جامعة مولود معمري تيزي وزو..... رئيسا
- أ. د. صلاح الدين زرال ... أستاذ التعليم العالي.....جامعة محمد لمين دباغين سطيف2..... مشرفا ومقررا
- أ.د. محمد زهار أستاذ التعليم العالي.....جامعة محمد بوضياف المسيلة.....عضوا ممتحنا
- د. الجوهرة مودر..... أستاذ محاضر أ.....جامعة مولود معمري تيزي وزو.....عضوة ممتحنة
- د. كريمة سالمى أستاذ محاضر أ.....جامعة مولود معمري تيزي وزو.....عضوة ممتحنة
- د. خالد هدنة..... أستاذ محاضر أ..... جامعة محمد لمين دباغين سطيف2...عضوا ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2018/02/06

مقدمة

مقدمة:

مقدمة: ينبنى الخطاب الحجاجي الغربي على مسالك معرفية متنوعة، وذلك بين كونه خطابا بلاغيا مثل: أعمال (شايم برلمان) و(ألبريخت تيتيكا)، أو خطابا لسانيا مثل: أعمال (أوزوالد دكرو) و(جون كلود أنسكومبر)، أو خطابا منطقيًا مثل: أعمال (ستيفن تولمين) و (بول غرايس)...، فهؤلاء ومنذ خمسين سنة على الأقل يثابرون من أجل إقامة نظرية حجاجية ناضجة المعالم، وبالفعل بلغت هاته النظرية مرتبة ليست باليسيرة أتاحت النجاعة في تحليل الظاهرة اللغوية، مما دعا العرب إلى إقامة المعاملة الجادة معها، وذلك بالانخراط في إشكالية تلقيها. وقد انخرط في الأمر من الباحثين العرب تمثيلا لا حصرا (عبد الله صولة، عزالدين الناجح، أبو بكر العزاوي، محمد طروس، رشيد الراضي، محمد العمري...). فأولئك وغيرهم من الذين راهنوا على الاستفادة من الخطابات الحجاجية الغربية، فعملوا على متابعة تشكلاتها غريبًا وتحيينها عربيا فقدموا في ذلك كتابات.

وتعدّ دراسة التلقّيات أحد أهمّ المقاربات التي تسعى لتقيّم حدود الكفاية التّطبيقية وتحديد مدى فعالية الكفاية النظرية، فيحصل والحال هذه؛ أن تمنح الشرعية لمساءلة التنظير والتطبيق والإبداع فحسا وتقويما ونقدا وإكمالا.

فأولئك الدارسون من خلال ممارستهم للظاهرة الحجاجية، يتّضح أنّهم قدّموا كفايات نظرية وتطبيقية نملك أن نتناولها مساءلة، ونحوم حولها تحليلا، وذلك من خلال مجموعة من الأسئلة تمثلت في: ما حدود كفايتهم النظرية والتطبيقية؟ وكيف استثمروا الخطاب الحجاجي الغربي في تحليل صور الخطاب خصوصا القرآني؟ وهل هناك محدودية في أدائهم التّطبيقي؟ وما المساحات الشرخة بين تنظيرهم وتطبيقهم؟ وهل تعدّ كتاباتهم مؤسسة أم أنّها كتابات عارضة شارحة فقط؟ وماهي حال إشكالية التراث والحداثة في مؤلفاتهم؟ وهل يمكننا استغلال إمكانات مدوّنتهم لندعمها بالبحث والتحليل ونتباحث آفاقها؟ هذه الأسئلة هي التي دفعتني إلى تحليل

هذه المدونات فاستقرّ البحث على العنوان الآتي: الدراسات الحجاجية عند اللسانيين العرب المحدثين.

ولعلّ أهمّ سبب دفعني لاختيار هذا العنوان: هو الرغبة في الاطلاع على التحليل الحجاجي ومعاينة واقعه عند اللسانيين العرب، كما أنّ هذا الموضوع لم ينل حصّته من البحث في الدراسات العربيّة.

ونظرا لكوني أقوم بتحليل المدونة التي بين يديّ، وصفا واستقراءً، فقد استدعى ذلك اعتمادي المنهج الوصفي؛ حيث سأحلّل الكتابات الحجاجية اللسانية العربيّة الحديثة، استناداً إلى ما استقرّته من معطيات نظريّة وتطبيقية في النظرية الحجاجية موضوع الدراسة.

وسأحاول أن أصف هذه الكتابات وأبحث عن العلاقات التوافقية والخلافية بينها، ولتحقيق هذا فقد قسمت البحث إلى: مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، إذ؛ سيبدأ البحث بمقدمة تبرز فيها المعاملة الجادة بين الكتابة الحجاجية الغربية والكتابة الحجاجية العربيّة، ثمّ ستردّف هذه المقدمة بمدخل أتطرّق فيه لخلفيات الظاهرة الحجاجية قديما وحديثا، وبهذا سنتناول في الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية من حيث؛ الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات، أمّا الفصل الثاني: فسأتناول فيه الدراسات الحجاجية اللسانية العربيّة الحديثة مركزا على مادة البحث ومنهجية التحليل التوافقي، أمّا الفصل الثالث والأخير فأتناول فيه الدراسات الحجاجية اللسانية العربيّة الحديثة ذات منهجية التحليل الأحادي. فبالنسبة للفصلين الثاني والثالث وبعد الاطلاع على الكتابات اللسانية الحجاجية العربيّة الحديثة وتحليلها رأينا أنّه يمكن تقسيمها إلى قسمين كل قسم نخصّه بفصل:

قسم نعتاه بالدراسات الحجاجية اللسانية العربية الحديثة التوافقية؛ وذلك لأنها تستعمل جميع النظريات الحجاجية الغربية وتوافق فيما بينها بتقريب مفاهيم بعضها من بعض أثناء التّظهير وأثناء التّطبيق، كالتّظهير الحجاجية المنطقية والنّظرية الحجاجية البلاغية والنّظرية الحجاجية الفلسفية والنّظرية الحجاجية اللسانية. ونقصد بهاته الكتابات تمثيلاً: كتابات (عبد الله صولة، كتابات عزالدين الناجح ...). وقسم آخر نعتاه بالدراسات الحجاجية اللسانية العربية الحديثة الأحادية؛ وذلك لأنّ هاته الكتابات تفرز هاته النظريات عن بعضها البعض، فكلّ نظرية لها نسقها الخاص بها؛ فالنّظرية البلاغية لها نسقها، واللّسانية لها نسقها، والفلسفية لها نسقها، والمنطقية لها نسقها لذلك نعر على هاته النظريات منفصلة عن بعضها البعض أثناء التّظهير أو التّطبيق في هاته الكتابات العربية الحجاجية الحديثة، ونقصد بهاته الكتابات تمثيلاً: كتابات (أبي بكر العزاوي، كتابات محمد طروس، كتابات رشيد الراضي، كتابات محمد العمري...).

وفي سبيل بناء الموضوع وصياغته اعتمد البحث مجموعة من المصادر والمراجع منها: (الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية) لعبد الله صولة، (الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة-) لحافظ إسماعيلي علوي (الخطابة) لأرسطو، (مصنّف في الحجاج) لشايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، (الحجاج والاستدلال الحجاجي- دراسات في البلاغة الجديدة-) لحافظ إسماعيلي علوي...

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أحمد الله على توفيقه ومنّه وكرمه ولطفه، ثم الشكر الجزيل للأستاذ المشرف؛ الأستاذ الدكتور "صلاح الدين زرال" الذي لا نجد له جزاء خيراً من الدعاء له بظهر الغيب، وكل أساتذة جامعة مولود معمري الذين لهم عليّ

مقدمة:

فضل كبير، أما إخوان الصفا وخلان الوفا فلا أجد لهم خيرا مما قال ابن الحاجب -
رحمه الله :-

إن غبتم صورةً عن ناظريّ فما **** زلتم حضورا على التحقيق في خلدي

مثلُ الحقائق في الأذهان حاضرةً **** وإن ترد صورةً في الخارج تجد

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة
في الخلفيات)

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

يتيح المشهد السوسيو تاريخي الحديث بؤرا مبنية على الاختلاف والاحتمال والتأثير، إذ جدت فيه الحوادث في جميع المجالات، فعلى مستوى السياسة مثلا نجد: "أوضاعا وتقلبات ولدت الاختلاف في الرأي وفتحت فضاء للخطاب والخطاب المضاد سواء كان ذلك الاختلاف طريقة في ممارسة الحكم تقوم على الاختيار الحر للخطاب السياسي الذي يبدو أكثر إقناعا من غيره أو كان صراعا بين ايديولوجيات تختلف في خياراتها الأساسية مثلما وقع بين الماركسية والرأسمالية"¹. وفي الاختلاف ذاته وعدم فتح المجال للتداول ذكر تاريخ أوروبا الحديث انهيار النظم الاشتراكية لعدم مفاوضتها النقود الرأسمالية، وذلك خلافا للنظم الرأسمالية التي كانت تصغي لنقود الاشتراكية كونها رأيا مختلفا فتستغلها في تعديل برامجها وإذ ذاك ف: "النظام الرأسمالي استفاد فائدة كبرى من النقد الذي كانت توجهه إليه الماركسية باستساغته وتحويله إلى عوامل تعديل وتقوية ... وكان من أسباب تهاوي النظم الاشتراكية العلمية اكتفاؤها بما عندها وسدّ الأذن أمام النقد الرأسمالي"². ومن عدم احترام الاختلاف والرأي والتشبّث باليقين تهاوى الاشتراكي وفتح المجال للرأسمالي كي يتمركز؛ فكان له أن يحقّق فرضياته وبرامجه، ودعا الإنسان المعاصر بتأثيراته المقنعة للانخراط والاندماج في معادلة الإنتاج والاستهلاك المادي والمعنوي³، وقد استغلت اللغة لتقوم هنا بدور الوسيط في الترويج للمعادلة وبحث سبلها الإقناعية، فيغرس في الإنسان بذلك: "الإقبال على السلعة لما يستحدث فيها من تطورات إمّا في مظهرها أو في فعاليتها وهي تطورات مفتعلة ولكنها تقدّم

* - اخترنا السياسة لأنّ المجالات الأخرى تكاد تتحرّك في فلكها، كما أنّ الظاهرة الحجاجية تأسست سياسيا قديما.

¹ - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، دط. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس 1، كلية الآداب، منوبة، سلسلة آداب، مجلد، ص 42.

² - المرجع نفسه، ص 42.

³ - المرجع نفسه، ص 43.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

في صيغة مفتعلة¹. وعليه؛ فالإشكالية التأثيرية أصبحت هي البؤرة التي تراهن عليها المجتمعات الحديثة، سواء على المستوى المادي أو المعنوي، خصوصاً المستوى المادي الذي حملته الصورة فغطى على الجانب المعنوي حديثاً فبالنسبة للجسد مثلاً: يؤكد (دايفيد لوبروتون) هذا الأمر قائلاً: "إنّ الجسد في مجتمعاتنا الغربية، هو إذن علامة الفرد، ومكان اختلافه وتمييزه"² فجسد الفرد والأمر كذلك؛ هو تجميل وجذابة ولطافة تأثيرية تتغيا الإقناع بالاختلاف والنجومية والتميز. وهي الحال التي دعت الإنسان (الإقناعي، النجمي المختلف) إلى إبداع اللّغة وموقعها في وسائل الإعلام، فكان له بذلك: "خطب وممارسات اكتسحت وسائل الإعلام"³، وعلى ذكر وسائل الإعلام فإننا نشير إلى أنّ الميديا هي الحاملة للمسؤولية الإقناعية التأثيرية بشكل كبير، فجعلت الإقناع والتأثير قيمة سوقية بامتياز فأجهزة الميديا هي آلات يسيّرهما أشخاص غايتهم التأثير في المتلقي، فعلى مستوى آلة التلفزيون وهو مكان اجتماع الأغلبية من الناس، نجد الأمر يثير التأمل والتعمق في نظام الأحداث التي تسير فيه، وكذا الأشكال التأثيرية التي يحكم ضبطها فيه، فالنتيجة التي يمكن أن نصل إليها من خلال هذه الآلة التي يخيل لنا أنّها تتيح المعلومة والرفاهية لصالحنا، أنّها عبارة عن مجتمع له ميكانيكه الخاص وتروسه المحكمة، وفرضياته وبرامجه مدروسة لأجل المتلقي، وعليه يمكن أن نوّكد بأنّ: "هذه الآلة المركبة أي المجتمع تخضع لأدوات ضبط وتحكم تهدف إلى توجيهها نحو استراتيجيات محدّدة، ودور أدوات الضبط والتحكم هذه هو إحكام السيطرة على المحاور والحركات المختلفة التي تتم داخل هذه الآلة أي المجتمع...إنّنا نستخدم كلمة آلة هنا بالمعنى العلمي بطبيعة الحال وليس لمجرد المجاز، ذلك أنّ كل آلة

¹ - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 43.

² - دايفيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحدّات، تر: محمد عرب صاصيلا، ط2، بيروت: 1997، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 07.

³ - المرجع نفسه، ص 7.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

هي عبارة عن نظام تمّ تصميمه وضبطه لأداء وظيفة أو وظائف معينة¹، وعليه فالتفكير في التلفزيون هو تفكير في كل "الوسائط المتعدّدة" (multimedia)، التي تملك المعلومة وتسيّرهما* وفقا لايدولوجيتها، أو ما يمكن: "أن نسميه بالأيديولوجيا الناعمة" (softideologie) والتي تتمثل في تلك الجرعات اليومية بل اللحظية التي تبثها وسائل الإعلام الحديثة، وكذلك الوسائط المتعدّدة (multimedia) وانتشار شبكة الانترنت على المستوى العالمي. هذه الجرعات تتغلغل وتتساب إلى عقول المشاهدين والقراء والمستمعين متخذين الوسائط المتعدّدة والانترنت... بهدوء وبلا ضجيج على عكس ما كان يتم في السابق²، هكذا إذن الايديولوجيا تمارس نموذجها بطرق مخادعة مستغلة كمية من الجمهور ذات بال، فقد شكلت هذه الآلات صدمات على الإنسان المعاصر لوقت طويل لتميّزها بالذكاء الصناعي الذي ليس متاحا لكل إنسان، وإنما تملكه مجموعات بشرية قليلة يساعدها على تجسيد فعل الهيمنة وحياسة المعلومات ورميها في الضعفاء على شكل نتائج عجيبة سريعة الواحدة تلوى الأخرى فيصعب بذلك تتبع أسبابها ليزول عجبها، إنّها الهيمنة أو الصراع من أجل رأس مال يتمثل في ملكية المعلومات بلغة إقناعية موقعة في الوسائط أو الميديا، مثلما كان تقليديا أو في سياق قديم تمليك الأراضي والحقول الزراعيّة وبعض الآلات، وعليه فالأمر ليس إنتاجا فحسب بل هذا الإنتاج يرافقه أو يركز فيه خطاب لغوي يتميّز بالبعد الإقناعي يعمل على الإشهار والتسويق، فاللغة الميديائية بهذا التصرف تحتاج إلى متلق من جنس ذكائها وإلا انخرط فيها بدون شروط، هذا من جهة إذا اعتبرنا الميديا ايديولوجية وناعمة برؤية (بورديو)، ومن جهة إذا جردنا الميديا من الايديولوجيا وجعلناها حسنة النية فإنّ الإنتاج والسلعة المادية والمعنوية التي تتموقع في الآلات - مهما كان -

¹ - بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر: درويش الحلوجي، ط1. دمشق: 2004، دار كنعان، ص22.

* - اخترعت الوسائط والآلات أو أجهزة الميديا لأجل المعلومة وتسييرها والتأثير بها قدر المستطاع في كمية كبيرة من المتلقين.

² - بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ص24.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

تحتاج إلى خطاب لغوي إقناعي يشهرها ويسوقها فيكّرر محاسنها. وعليه فالإشهار اللغوي والتوجيهات الإقناعية الحجاجية تتم من أجل البضاعة مهما كانت النوايا حسنة أم سيئة. وهو الأمر الذي يحوّل اللّغة إلى إشهار حجاجي موجود فيها وهذا أمر غاية في الطبيعية، وقد أحسن كبير الحجاجيين اللّسانيين (دكرو) أداء هذا الوصف فقال: "إنّ كل كلام هو إشهاري في جوهره. وليس الكلام إشهاريا، فقط لكونه يحمل بعض المعلومات التي تجدها تفرض بعض النتائج؛ إنّه إشهاريّ، لأنّ قيمته الداخلية تطابق المتتالية التي يعلن عنها ذلك الكلام. إنّ ما يريد قوله، هو ما يريد أن يجعل الآخر يقوله. هكذا تقدّم ملفوظاتنا ذاتها بمعزل حتّى عن كفاءتها في تأسيس برهنة، بوصفها أصل خطاب حجاجي أو استمرار له."¹ إنّ الميديا بلغتها الحجاجية أتاحت الفرص لمشاركة الجميع في إبداء الرأي والتميّز والاختلاف والإبداع والحرية وصياغة النماذج التي لا تخضع لأية مسؤولية أو توصية، فتتاح بذلك النماذج وتراجع مراجع الفهم وتثار الحوارات والمناقشات في جميع المجالات في إطار الديمقراطية وعليه فالمجتمع الحديث حصّل ديمقراطية سياسية واقتصادية وثقافية... تشابكت متوجة في جمهورية سوسيوإلكترونية نشيطة وسريعة، فأضحى بذلك الاختلاف والتناظر والتشاور يتدخل فيه عنصر السرعة* لتسدّ الثغرات أمام التعقيم والمماثلة والتحريف الذي يزدهر عن طريق البطء الورقي المطوي في الرفوف والإدارات...، فالآفاق والأمر كذلك للحوار والتشاور والتناظر اللّغوي المموقع ميديائيا. الأمر الذي يستدعي إقامة منطوق وضوابط واستراتيجيات عامة. وفعلا أسّس للخطابة الميديائية التي تقبض على الجميع وبالحدود سواء بوعي منهم أو بغير وعي فالجميع ينخرط لأنّ الخطاب العام واللّغة الجماعية تتمّ في الوسائط المحيطة

¹ - أوزوالد دكرو، السلام الحجاجية، تر: صابر الحباشة، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة- ، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، ط1. الأردن: 2010، عالم الكتب الحديث ص74.

*- السرعة وإن كانت سلبية في التأسيس للقضايا لأنّ الأمر يتمّ مستعجلا ، إلا أنّها إيجابية لأنها تحارب التعقيم فلا يجد المعتمّ الفرصة للمراوغة، كما أنّها تتيح التنافس في التعامل مع المعلومات بطريقة حجاجية، زد على ذلك أنّنا نقصد السرعة في النشر. فبالنشر نضمن مشاركة الجميع في التحليل.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

بنا أو التي أصبحت جزءا منا بحكم حمل هاته الوسائط للغة التي هي ملك الجميع، إن بطريقة أخلاقية أو غير أخلاقية*. والجميع مطالب في هذه المنطقة شاء أم أبى بتتبّع لغته (سماعا، مشاهدة، قبولا، رفضا) في إطار الحوار الفكري المحمول لغويا الممثل لخصائص العولمة الجوهريّة لأنّ الأمر يضايقه من كل جهة، بل من ذاته لأنّ اللغة موجودة في ذاته.

إنّ هذا المشهد دعا المحلّل المعاصر لإقامة منهجيات لتحليل الحوار فيفتح المجال لمعاني الحوار ولشروطه كمثل التي طرحها (إدغار مورغان) في كتابه (المنهج) والتي هي كالتالي : "إنّ الشرط الأوّل للحوار هو التعددية وتنوع وجهات النظر. فكل مجتمع يتضمن أفرادا مختلفين ذهنيا ونفسيا ووجدانيا؛ أي لديهم الاستعداد لتبني وجهات نظر معرفية جد متنوعة...و تسمح الوقائع أو الشروط المساهمة في الحدّ من السلوكات النمطية بتجلي الاختلافات الفردية على كل المستويات. وطبعا فإنّ هذه الاختلافات تتجلى بشكل واضح داخل المجتمعات التي تنتعش فيها الملتقيات وأنواع التّواصل والنّقاشات الفكرية. يقتضي الحوار الفكري تبادل الأفكار والمعلومات والآراء، ممّا يعزّز الانفتاح الفكري ويسهم في مواجهة الدغمائية والتعصب والتطرف. تستدعي هذه التبادلات، التنافس والتعارف وبالتالي صراع الأفكار والتصورات حول العالم (رؤى العالم).

يتعيّن أن يخضع هذا الصراع لقاعدة الحوار، وإلا تحوّل من صراع للأفكار إلى عنف جسدي. لذلك، من الواجب الإقرار بهذه القاعدة كأساس لكل حوار فكري، حيث يصبح النقاش محفزا للخيال وللمحاجة وللبحث عن الدليل والبيّنة لإقناع الآخرين.

وعندما يكون المجتمع متعدّد الثقافات ويكون للفرد انتماءات عديدة اثنية (سلاية) سياسية، لغوية، فلسفية، عقائدية، ... فإنّ الصراع بين هذه الانتماءات والمعتقدات يمكن أن

*- يمثل السوفسطائيون أنموذجا لهذا. ينظر قيمتي العدل والظلم عند: محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، ط1. الرباط: 2014، دار الأمان ص52 وما بعدها.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

يكون مصدرا لنقاشات ساخنة. لأنّ المواجهة بين الأفكار المتناقضة تخلخل التصورات الراسخة (أي ما يصطلح عليه بالمعتقد) وتولد لدى الأفراد الشكوك وعدم الرضى وإعادة النظر والتقصي والبحث.¹ ومن ضخامة وغازرة هذا النص يذهب (الخطابي) مؤكداً فعالية هاته الشروط يقول: "هكذا يمكننا اختزال الفعالية الناجمة عن الحوار الفكري في النقط التالية:

__ الاستقلالية النسبية للأفكار

__ انبثاق معارف وأفكار جديدة

__ تطوّر مواقف نقدية لدى جميع الأطراف القابلة بمبدأ الحوار

وعندما يتّسع هذا الحوار ليشمل الأفكار والمعارف المنبثقة من ثقافات أخرى مغايرة آنذاك تتشكّل إمكانيات التلاحح بين النظريات والتصورات وتتطوّر الروح النقدية المتأرجحة بين النزعة النسبية والكونية... وهنا تبرز أهمية الحجاج لتدبير الاختلافات والتعارضات بين الأطروحات والمواقف.²

فالتواصل ضمن هذا هو أمر حجاجي، فهو مقترن بالحجاج والأخلاق على حدّ سواء، وبهذا يمكن الحديث عن التراضي العقلاني يقول (الخطابي): "يتّضح إذن، أنّ الحوار والتفاهم وأيضا الصراع والاختلاف، تدخل جميعها في صلب العملية الحجاجية. لذلك اقترن التواصل بالحجاج كما اقترن بالأخلاق، لأنّ هناك معايير أخلاقية تحدّد العلاقة بين المتخاطبين، من

¹ -Edgar Morin, La méthode, 4, Les idées, Leur habitat, Leur vie, Leur murs, Leur organisation, ed, du seuil, paris, 1991.

نقلا عن: عزالدين الخطابي، في الحاجة إلى حوار فلسفي أو من أجل عقلانية تواصلية وحجاجية، ضمن كتاب، الحجاج والاستدلال البلاغي دراسات في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ط1. 2011، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ص65/66.

² - عزالدين الخطابي، في الحاجة إلى حوار فلسفي أو من أجل عقلانية تواصلية حجاجية، ضمن كتاب، الاستدلال البلاغي، ص67.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

أبرزها الالتزام بأخلاقيات الحوار... بهذا المعنى يمكن الحديث عن التراضي العقلاني الذي تقترن فيه ثقافة الاعتراف بالآخر بالحق في الاختلاف وبالحوار بين الثقافات المختلفة والتجارب المتعددة التي يمكن اعتبارها متكافئة من حيث كونها أجوبة محدودة ومخصصة عن تساؤلات عامة ومشتركة، وتلك هي الثقافة الديمقراطية التي تقتضي كسلوك، معرفة بقواعد ومعايير النقاش وبأخلاقياته والالتزام بها، حيث تكون الغلبة لأفضل حجة وحيث تحل سلطة الحجة محل حجة السلطة... ويمكننا القول مع الباحث التونسي حمادي صمود، إنّ العصر الحالي هو عصر الخطابة بامتياز، لا بالمعنى التقني الضيق وإنما بالمعنى الواسع والعميق الذي يشير إلى مختلف التيارات المتفاعلة والمتصارعة في إطاره. وسيكون الاهتمام بالحجاج، انخراطا في روح العصر المتمثلة في تفويض كل النزاعات¹ إنّ هذا الذي أورده (عزالدين الخطابي) هو من أجل العقلانية التواصلية الحجاجية في آن ولكن بخلفية مصوغة بلغة فلسفية عامة.

وحيث لا نبتعد عن هذا؛ نجد الباحث (طه عبد الرحمان) يقيم العلاقة بين التواصل والحجاج ولكن بلغة فلسفية تداولية تقنية، ولأجل الحوار وبلغة التداول الفلسفي يقول (طه عبد الرحمان) مبرزاً مركزية الحوار في كينونة الإنسان مبدئياً في الآن ذاته أهميته: "إنّ الأصل في الكلام هو الحوار، فحقيقة الكلام الذي تكلم به الإنسان الأول كانت حقيقة حوارية؛ وهذا الحوار... كان موصولاً بالفطرة وموصولاً بالوجود وموصولاً بالروح، ثمّ دخلت فيما بعد على الحوار تهذيبيات وتقنيات وضوابط محدّدة... ومن وجهة نظري، للحوار اليوم أهميات عديدة: أهمية آليّة وأهمية داخلية وأهمية خارجية². فألياً يعيّن لك الحوار الحقوق والواجبات يقول (طه): "... يعطيك الحوار حقوقاً ويوجب عليك واجبات؛ إذ يعطيك حقّ الاعتقاد والقول، بحيث ترى الرأي الذي تريد، ويعطيك كذلك حق انتقاد الرأي والاعتقاد المخالف؛ كما

¹ - المرجع نفسه، ص 69، 70.

² - طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1. بيروت: 2013، ص 28.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

يوجب عليك أيضا واجبات، فمن اعتقد شيئا أو ادعى دعوى لا بدّ من أن يستدلّ عليها، أي يتولى بنفسه تقديم الأدلة على صحة دعواه واعتقاده، كما أنّه لا بدّ للمنتقد الذي يطالب بالأدلة من أن يستمع أولا إلى أدلة المدعي قبل الدخول في الاعتراض على دعواه؛ وعليه فإنّ الحوار هو مجال لممارسة القوة الاستدلالية للإنسان¹، وداخليا يعيّن لك الحوار بأنّ فرديتك تشتغل داخل الجمع فأنت بفرديتك موظف لأجل الجميع، فذاتك هي مجموع الضمائر: "... فإنّ الحوار يعود بك إلى الأصل، وهذه الحقيقة الأصلية هي أنّ الإنسان ليس مفردا، بل هو جمع، هو "ذات" و"غير" في الآن نفسه، بدليل أنّ الإنسان قد يحاور ذاته كما يحاور غيره؛ فالعملية الحوارية متوافقة مع أصل الإنسان من حيث إنّه جمع، وليس من حيث إنّه فرد، كما اشتهر وترسّخ في عقول المحدثين خاصة، فإذا الحوارية موجودة بوجود الجمع الإنساني في المظهر الفردي للواحد؛ وهذا، فيقدر ما أمارس قدرتي في الحوارية مع الآخرين الذين هم خارج ذاتي، فإنّي أتعرّف في الحقيقة، على الآخريّة "أو قل الغيرية الموجودة في هذه الذات"²، وبهاته الروح الجمعية الموجودة فيك داخليا، أو بخطاب الضمائر المشتغلة فيك طبيعيا فإنّ الأهمية الخارجية: "... واضح أنّها تقوم في ضرورة الحوار مع الآخرين كيفما كانت آراؤهم ومعتقداتهم، إلّا أنّ هناك من الناس من يرى ضرورة تضييق الحوار بما يجعله محصورا في فئات متجانسة أو موضوعات متقاربة، كأن يدّعي أنّه يتعيّن على المسلم أن لا يحاور إلّا المسلمين، وعلى المسيحيين أن لا يحاوروا إلّا المسيحيين، وهكذا، بحجّة اجتناب الجدل العقيم وتحصيل الفائدة، غير أنّني أرى أنّ الحوار واجب إنساني ينبغي أن يعمّ كل الفئات، أيّا كانت، وكل الموضوعات كيفما كانت، على شرط الالتزام بقواعده المقرّرة، لأنّ في تحقيق هذه الحوارية وتوسيعها مع جميع الأطراف وتعميمها على جميع المجالات، زيادة في معرفة الذات، فضلا عن معرفة الآخر، وزيادة في تحقيق إنسانية الإنسان وتنمية قوّته

¹ - المرجع نفسه، ص28.

² - طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، ص29.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

الاستدلالية¹. وعليه، فهاته الأهميات التي عدّها (طه) على سبيل التصنيف والتفصيل فإنّه جمعها في أهميّة واحدة وهي تنمية القوّة الاستدلالية التي تحقّق إنسانيّة الإنسان، فالإنسان موجود من أجل الظفر بالرأي السليم المقبول.

لقد أثبتت اللّغة سلطتها في هذا الأمر، فهي قيمة رئيسيّة في المجتمع الحواري هذا الذي يسعى لاستغلالها فتسييرها تأثيريا، فاللّغة ظاهرة: "وجودية ظاهريّة في آن، وعمادها مقولة هايدغر التي اعتبر فيها اللّغة هي الوجود، وأنها الماضي والحاضر والمستقبل، حيث يثوي في طبقاتها كل شيء، وفي رحمها كذلك تتصارع عوامل التأثير والتأثير معا² وهو أمر:" يجعل اللّغة باعتبارها أساس تشكيل هذا المجتمع الجديد، تدخل في قلب الصراع، أو قل هي من بيده حسم المواجهة، فهي ذات قيمة سوقية بالدرجة الأولى، على اعتبار أنّها بضاعة يتمّ تسويقها، فتكتسب قيمة تبادلية³. ولذلك فعلى محلّ الخطاب أن يتموقع في: "مجتمع جديد هو المجتمع الإعلامي، الذي تلاشت على سطح نصّه الإلكتروني الحدود والخصوصيات بل تآكلت الهويات وازمحت الفروقات بين الشعوب والثقافات، إذ؛ التبادل الرقمي الخارق للحدود العابر للقارات قد أعلن عن ميلاد مجموعات بشرية جديدة، يصطلح عليها بالمجموعات الافتراضية، التي لا ترضى بمنطق المجتمعات القديمة، حيث يشترط مراعاة الروابط اللّغوية والعرقية والدينيّة لقيام مجتمع، إنّه المجتمع الافتراضي/ الأثيري، القائم على برامج المعلومات وشبكات الاتّصال، في عالم اصطناعي يقوم على الخيال الوسائطي/الميديائي⁴. وبهذا تتيح اللّغة نصّا/ حوارا يتوجه إلى المستقبل والذي يشكّل الخيال فيه

¹ - المرجع نفسه، ص 30/29.

² - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر - ، ط1. بيروت:

2008، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ص 180.

³ - عبد الغني بارة، الفلسفة والهرمينوطيقا - نحو مشروع عقل تأويلي-، ط1. الجزائر: 2008، منشورات الاختلاف، الدار

العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ص 394.

⁴ - المرجع نفسه، ص 400.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

عنصرًا رئيسيًا، نصّ تتشابه فيه الحواس والأمر المادية والأشياء والقضايا المعنوية التي جمعتها اللغة رقميًا، فالحديث عن النص المعاصر هو حديث عن تدخّل السمع البصري والمرئي فيه، فالمجتمع المعاصر يحمل هذا النص/الحوار بامتياز، وقد وصف: "... بعصر الثورة الرقمية، وعصر التكنولوجيا، وعصر العولمة...، وإذا كانت هذه الأوصاف تحمل جوانب مهمة مما نعيشه ونحياه، فإنها بكل تأكيد لا تحمل جوانب أخرى كثيرة، لذلك لا نجد وصفاً أبلغ وأبين من أن يوصف عصرنا الحالي بأنه عصر التّواصل والحجاج، لا لشيء إلاّ لأنّ كل الأوصاف الأخرى تستكشف استكشافاً واضحاً التحوّلات العميقة والمتسارعة التي جعلت عالمنا سموات مفتوحة وأسواقاً كثيرة بضاعتها الدعاوى والحجج بشتى أصنافها المختلفة وألوانها المتعدّدة، فأصبحت الحجّة والمعلومة بذلك عصب الحياة المعاصرة ... لقد كان من الطبيعي أن يكتسح الحجاج، تدريجياً، مجالات الدّعاية و الإشهار والتّعليم والسياسة والقضاء والسينما والبيداغوجيا والايديولوجيا والسيكولوجيا... إذ لا غنى عنه ولا مفرّ من كل طرائق الإقناع التي يسلكها أهل الدّعاية في صحفهم، والأساتذة في دروسهم ومحاضراتهم والسياسيون في خطاباتهم، والمحامون في مرافعاتهم، والقضاة في تعليقاتهم، والفلاسفة في معالجاتهم، والعوام في تواصلهم... إته حاضر حضوراً قوياً في كل مجالات التّواصل الإنساني بإطلاق، وهل هناك تواصل بغير حجاج"¹. وإن كان هذا الباحث أورد العلاقة بين الحجاج والتّواصل بطريقة عامة على مستوى المجالات المعرفية، فإنّ (طه عبد الرحمان) أودها بصيغة تقنية، فتحدّث فاصلاً التّواصل عن الحجاج فقال: "يظلّ لفظ "التواصل" على تداول الألسن له وروده في قطاعات معرفية مختلفة، لفظاً يكتنفه الغموض؛ فقد يدلّ على معانٍ ثلاثة متميزة فيما بينها:

- الأوّل: نقل الخبر؛ ولنصطلح على تسمية هذا النقل بـ "الوصل"؛

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، تقديم، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص01.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

- الثاني: نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ؛ ولنطلق على هذا الضرب من النقل اسم " الايصال"؛

- الثالث: نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم ومقصده الذي هو المستمع معا؛ ولندع هذا النوع من النقل باسم "الاتصال"¹. وفي المقابل يضيف (طه) فاصلا الحجاج عن التواصل: "أما لفظ الحجاج فلا يدور على الألسن مثلما يدور عليها لفظ "التواصل" ولو أنه لا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل باللسان؛ ويدخل الغموض على لفظ "الحجة" من الجهات التي يدخل منها على لفظ "التواصل" فقد يحمل هو الآخر على معان ثلاثة:

-أحدها: الحجة بوصفها بناء استداليا يستقل بنفسه؛ فلنصطلح على هذا المعنى باسم "الحجة المجردة"؛

- الثاني: الحجة بوصفها فعلا استداليا يأتي به المتكلم؛ فلنسم هذا المعنى الثاني باسم "الحجة الموجهة" (بفتح الجيم المشددة)؛

- الثالث: الحجة بوصفها فعلا استداليا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع وبنهض المستمع بتقويمه؛ فلندع هذا المعنى الثالث باسم "الحجة المقومة" (بفتح الواو المشددة).². وبعد هذا الفصل التقني الدقيق، نجده يوطد العلاقة بين المصطلحين بعملية وصل تقنية ودقيقة يقول فيها: "ولما كان كل حجاج تواصلا، فإننا نحصل على ثلاثة نماذج تواصلية للحجة، وهي:

¹- طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر، دط. المملكة المغربية، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، الرباط: دار المعارف الجديدة، ص5.

²- طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، ص06.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

أ- النموذج الوصلي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة وصل إذ؛ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما؛

ب- النموذج الإيصالي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة إيصال، لأنه يجعل من الحجة فعلا استداليا يتوجّه به المتكلم إلى المستمع؛

ج- النموذج الاتصالي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتّصال، إذ ينظر في الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع، جامعا بين توجيه الأول وتقويم الثاني¹.

إنّ المهمّ الأهمّ الذي نستشفه من كل هذا، هو أنّ العصر الحديث هو عصر التفاوض وتقريب وجهات النّظر، وتقليص الهوة بين الاختلافات ...، ونستطيع أن ننتع هذا العصر بأنّه عصر ملكية الحجة والمعلومة وتسييرهما. كيف ذلك وأنّ المعلومة أصبحت ملك الجميع بسبب كثرة النقاشات التي طورتها وسائل الميديا. على عكس المجتمعات القديمة التي كانت فيها ملكية المعلومة محصورة ومستبدا فيها . فالمعلومة والحجة سواء ملكا أو تسييرا كانت متاحة فقط لطبقة من الناس، زد على ذلك عدم تطوّر القانون قديما، الذي أتاح انتشار الظلم والاستبداد والتزوير...

و(أثينا) التي كانت تمثّل أهمّ مجتمع ديمقراطي قديما، لم تكن بمنجى عن هاته الأمور إذ؛ "كان كل شيء خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، يتقرّر بإرادة المواطنين الأحرار الذين كانوا يمارسون هذه الحرية في المؤسسات الديمقراطية الثلاث، أي التجمع الشعبي الذي يجتمع فيه كل المواطنين لاتخاذ كل القرارات التي تهّم المواطنين، والمحكمة الايلية التي كانت تعرض عليها الجرائم التي تتعلّق بمحاسبة الفاسدين من أهل السلطة أو الاستراتيجيين والمجلس الحاكم، أو مجلس الخمسة الذي كانت تسند إليه أمور تنفيذ الاختيارات التي

¹ - طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، ص06.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

تقرّرت في التجمع الشعبي. إنّ هذا يعني أنّ الممارسة السياسية مقصورة على المواطنين الأحرار وممنوعة على العبيد، الذين كانوا يشكّلون حوالي ثلاثة أرباع السكان، كما منعت عن الأجانب والنساء، وعمّن لم يبلغوا سنّ الرشد، أي دون سن الثامنة عشر، وعمّن كانوا يعتبرون لقطاع¹

والأمر استقل أكثر عندما اجتمع عليه معلّمو السفسطة، إذ يسجّل التاريخ بأنهم رقوا إلى موقع المدرسة، ببحثهم سبل التخليط والخداع، أو الإقناع بسوء النية، وعليه فقد أتاحت هاته الجماعة مشهدا تاريخيا مزيفا منقطع النظير، وذلك: " بعدما انتقل المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات، وتنمية الحرف والاعتماد على الكفاءة الفردية والمبادرة الحرّة، وأصبح المجتمع في ظل صعود هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة (رجال التجارة وأرباب الصناعات) مجتمعا ديمقراطيا، يستند إلى حرية التعبير، والاحتكام إلى المجالس الانتخابية، والتصويت بالأغلبية، ولم يعد هناك ما يسمّى بالحكم الوراثي أو التفويض الإلهي، بل أصبح المواطن الحرّ له الحق الكامل في الحصول على أعلى مراتب السلطة، لذلك سارع أبناء الأغنياء إلى تعلّم فنّ الخطابة والجدل السياسي لإفحام خصومهم السياسيين. وهنا ظهر السوفسطائيون لكي يزودوا هؤلاء بأسلحة الجدل والخطابة، واستعمال بلاغة الكلمة في المرافعات والمناظرات الحجاجية والخطابية...².

ووصول المجتمع اليوناني إلى هذا المستوى من الديمقراطية - وإن كانت مزيفة - لم يتأتّ من فراغ، وإنما جاء نتيجة: "الظروف السياسية العصبية التي عاشتها هذه الجزيرة* في القرن الخامس ق.م. ذلك أنّ مدن صقلية عرفت... موجات من العنف المنظم من قتل ونفي

¹ - محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون وجورجياس وفيدر، ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، ص 49.

² - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، دط. المغرب: 2014، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 13.

* - يقصد جزيرة صقلية.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

وترحيل للمواطنين وتوطين للمرتزقة، سلبت كثيرا من الناس أملاكهم وجعلتها في يدّ مستوطنين جدّد¹.

هذا المشهد إذا ما أردنا التعمق فيه نجده يئمّ عن أمور كثيرة أهمّها:

الترويج للأحادية: أو حبّ التملك الأحادي، ونشر الرأي الواحد، والسيطرة على أفكار وممتلكات الآخرين بالقوّة، فتغدو المعاملة والأمر كذلك استبدادية، الأمر الذي دعا إلى الثورة على الطغاة أمثال (جيلون gelon) حاكم مدينة جيل و مّوسع مدينة سيراكوزة خليفة هيرون (hiéron): "فكان سقوط طاغية سيراكوزة بداية لثورات شعبية تسع كل مدن صقلية التي ستتخلّص الواحدة بعد الأخرى من طغاتها لتقيم جمهوريات ديمقراطية في مختلف أنحاء صقلية"² وبعد التخلّص من هاته السيطرة أو الملكية الفردية الأحادية، أصبح المجتمع يميل إلى الاختلاف والديمقراطية والاحتمال، لكن كما أشرنا سابقا سرعان ما تلقّف المشهد التاريخي هذا علماء التغليب والسفسطة.

وكملاحظة إنّ قديما أو حديثا، فإنّ عنصر السيطرة أو التملك والتفوق، بل النجومية -مهما كانت الأسباب المؤدية إلى ذلك - هو السبب في الصراع بين بني الإنسان، ولكن الغاية لا تبرّر الوسيلة، فإذا انتشرت المغالطة في إقناع الناس، فإنّ الأمر لا نجده يختلف عن الردع بالقوّة التي كان يمارسها الطغاة من أجل تملكهم ونجوميتهم.

وربما يشترك المشهد التاريخي القديم مع المشهد التاريخي الحديث في إشكالية حشد الجمهور، والافتناع المستعجل الذي يئمّ تمريره بدون معرفة فعند القدماء: "الخطابة في غنى عن معرفة ماهية الأشياء التي تتحدّث عنها، إنّها قد اكتشفت مقوما صالحا للإقناع، والنتيجة هي أنّه أمام جمهور من الجهلة تبدو وكأنّها تعرف أكثر ممّا يعرفه العارفون... ففي النهاية

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية، ط1. لبنان: 2014، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ص 34، 33.

² - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص35.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

تبدو مسألة غلبة الخطابة على الصفات المختصة رهينة فضاءات التجمعات العمومية، حيث لا يكون الخطيب هو وحده القليل الاختصاص وربما عديمه، بل إنّ الجمهور المجتمع يتقاسم مع الخطيب هذا الفقر المعرفي، في سياق هذا لا يتمتع بالقوة الإقناعية إلاّ الجهلة بالموضوع، ويصبح صاحب المعرفة المختصّ عرضة للحرج وربما السخرية، ففي النهاية لا محاور له إطلاقاً، والحقيقة أنّ أثنينا القرن الخامس والرابع قبل الميلاد قد فاضت بمثل هذه الحشود فغطت أغلب الفضاءات وامتدّت إلى ما وراء حدودها المشروعة، مع العلم أنّ الممارسة العلمية أو التقنية لا تناسبها تجمعات الحشود¹ وبالنسبة للأمر نفسه يقول أحد علماء الدعاية السياسية (سرج شاخوتين Serge Tchakotine): "إنّ ما يميّز الحشد وكذلك الجمهور، هو هيمنة تجليات الحياة العاطفية على الاستدلال: إن انتباه حشد ما ولو كان متألّفاً من عناصر على قدر كثير أم قليل من الثقافة، ومنضبطة وعاقلة، يمكن أن ينحرف وأن يجذب إلى أفعال تافهة، مؤثرة في الحواس والرؤية والسمع"². ويضيف أحد الباحثين المرموقين في الإشهار وهو (س.ر. هاس C.R.Haas): "يتميّز الحشد عن مجرد تصاحب الأفراد بكونه يتمتّع بحياة جماعية واحدة، وبنفس جماعية، وهذا مهما كانت خصائص الأفراد الذين يؤلّفونه. إنّنا نلاحظ أنّ بعض الأفراد المجتمعين يمكنهم أن يتصرفوا كحشد أم لا تبعاً لكون الموضوع الذي ينصب عليه اهتمامهم أو نشاطهم مندرجا أو غير مندرج في تخصّصهم؛ إنّ بعض الرجال الأذكياء أو النخبة العالمية مثلاً إذا كانوا يحلّلون مسألة علمية، يعتمدون الاستدلال القائم على أساس منطق فكري صارم، إلاّ أنّه بمجرد حدوث عارض أو طارئ لا يكون من طبيعة علمية، فإنّنا نشهد نفس التّجمع لا يعود يستدل

¹ - محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس فيدر، ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، ص 56. كما أودّ أن أشير إلى أنّ الموضوع الخطابي يميل إلى المستقبل وهو خيال أو يتضمن الخيال العلمي الذي يحتاج إلى طرح معرفي سزاه فيما بعد مع أرسطو وبيبرلمان قديما وحديثا.

² - Serge Tchakotine, Le viol des foules par la propagande, ed, Tel Gallimard,

نقلا عن: محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس فيدر، ضمن كتاب، البلاغة، paris, 1952, p.185.

والخطاب، ص 68.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

إلا بمنطق الإحساسات والمنطق الجماعي المميّز للحشود".¹ ولهذا دعا (أرسطو) نفسه قديما بالتأسيس للمتلقى العاقل بدل الانفعالي، الذي يتلقى الرأي والقيم وفق منطق الاحتمال والممكن والاختلاف، والذي يتناسب فيه الجدل والخطابة، فالمتلقي هو حجر الزاوية وعمود الإشكالية الخطابية، وكل التقنيّات الأخرى كلها من أجل المتلقي، ولهذا نجد (أرسطو) قسم الأجناس الخطابية وفقا للمتلقى/السامع فقد: "وضّح أنّ معيار هذا التقسيم الثلاثي هو السامع، مبرّرا ذلك بأنّه هو المستهدف في أيّة ممارسة خطابية. فيما أنّ أنواع السامعين عنده ثلاثة، فأجناس الخطابة هي بالضرورة ثلاثة الجنس الاستشاري، والجنس القضائي، والجنس الاحتفالي".² وقد أسّس (أرسطو) لمنطق المتلقي درسا أسماه الخطابة³ مستعينا في ذلك بالجدل الصارم لعقلنة الخطابة أو التأسيس لمنطق القيم.

هذا ما تمّ من أجل المتلقي قديما، الأمر الذي دعا عالم الحجاج/الخطابة الجديدة يحتفظ بالمتلقي صراحة يقول: "إنّ ما نحتفظ به من الخطابة التقليدية هو بالذات فكرة المخاطب الذي نستحضره بمجرد التفكير في الخطاب"⁴ وقد كان (شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكاه Chaim perelman, Lucie Olbrechts-Tyteca) يسعيان إلى اكتشاف منطق للقيم يخضع لاستدلالات صارمة ، لكنهما أخفقا في ذلك، وذلك بسبب توجه موضوع درسهما إلى المستقبل أي إلى المتلقّي، الأمر الذي يكون فيه الحال محفّوفا بالشك والظن والخيال، ممّا دعا إلى تموقعهما في الخطابة فقصة: "لقاء (شايم بيرلمان) و(ألبريخت تيتيكاه) بالخطابة... كما يحكي (بيرلمان) في كتابه إمبراطورية الخطابة، كان في الأصل يهدف إلى وضع منطق

¹ C.R.Haas , pratique de la publicité, éd. Dunod, paris, 1998, p, 171.

نقلا عن محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس فيدر، ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، ص68.

² الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص229.

³ ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، تح وتعل: عبد الرحمان بدوي، دط. لبنان: 1979، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت.

⁴ رشيد الراضي، مقدمة كتاب مصنّف في الحجاج لشايم بيرلمان وألبريخت تيتيكاه، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته: ج5، ص66.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

للقيم كوسيلة لمعيرة طرق تفضيل قيمة على أخرى، لكنهما اكتشفا بعد بحث طويل، أنّ ما يبحثان عنه لا يمكن أن يخضع لاستدلالات منطقية صارمة، بل فقط لاستدلالات خاضعة للتشبيه بالحقيقة، قوتها مرتبطة بموقف المستمع منها، وهذا بالضبط ما أدياه في الخطابة¹.

وعليه إن قديما أم حديثا؛ مع (أرسطو) و(بيرلمان) توجهت البلاغة الحجاجية نحو الآخر لإقناعه بتبني موقف . هذا ما يمكن أن نسميه النشاط اللغوي الإقناعي²، الذي يندرج في مجموعة أوسع من الإشكالات فمنذ (أرسطو) و(برلمان): "بيّنت العلوم الإنسانية والاجتماعية أنّ المجتمعات مركّبة ومجزأة ومكوّنة من مجالات أنشطة متعدّدة يؤالف بينها الأفراد بطريقة تشاركية لينظموا اجتماعيا علاقات القوّة القائمة، إنّ نموذج مداوات ميدان أثينا ونموذج الإقناع في النقاشات القانونية، بالإضافة إلى نموذج البرهان في التواصل العلمي ليست وحدها الموجودة، بل إنّها ليست المهيمنة، إنّما مازالت قائمة لكنّها تسهم في مجموعة أوسع من الأوضاع التي تفرض عقودا تفاعلية متنوّعة، تتعلّق أحيانا بالبرهان وأحيانا بالإقناع وأحيانا بالتفسير، وهي الفئات الحجاجية الكبرى التي يصعب على البلاغة التقليدية تمييزها"³. وعليه فالعلوم الاجتماعية اندرجت في إشكالية التأثير بصفة عامة، بل أصبحت تثير إجابات مقامية ف: "لا تراهن ... على صيغة حقيقي أكثر من صيغة اعتقاد أنّه حقيقي. لم نعد نراهن على القوّة المنطقية للحجج أكثر من قوّة إقناعها. لا نبحث عن دليل مطلق يحيل على الكلي بقدر ما نبحث عن صحّة ظرفية في الإطار المحيط والوضعي. طبعا هذه الجوانب المختلفة تتعايش، لأنّه يتعدّر على أيّ مجتمع كيفما كان ألاّ يعتقد قيما مطلقة ولكن من اللافت للنظر أن تنشأ لعبة الأفعنة في مجتمعاتنا المعاصرة بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية، ليس على تحليل الخطاب أن يجعل موضوعه هو الكشف عن الحقيقة، وإنّما عليه

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 236.

² - باتريك شارودو، الحجاج وإشكال التأثير، ضمن كتاب، الحجاج والاستدلال البلاغي، ص 292.

³ - باتريك شارودو، الحجاج وإشكال التأثير، ضمن كتاب، الحجاج والاستدلال البلاغي: ص 293.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

كشفت آليات تفضيل الحقيقة نحو اعتقد وجعل يعتقد...، وهو ما أسميه إشكال التأثير¹. غير أنّ الذي يهمنّا نحن بالنسبة لتخصّصنا أن نكون مع (أرسطو) و(برلمان)، إذ توجهت البلاغة الحجاجية نحو الآخر لإقناعه بتبني موقف، وهذا ما يمكن تسميته بالحجاج اللغوي الإقناعي" وبعد ذلك مع علماء كبار أمثال (أوزوالد دكرو O.Ducrot) و(جون كلود أنسكومبر J.C Anscombe) و(ميشال مايير Michel Meyer) وآخرين... ممّن لهم مركزية في الظاهرة، فبحوثهم تستجيب للخلفيات التي يتيحها المشهد السوسيوثقافي قديماً (أثينا صقلية) وحديثاً المشهد التأثري ممثلاً في وسائل الإعلام بصفة أخصّ.

وعليه يكون ضرورياً أن نتعرّف على المنطق المنبثق عن الإشكالية التأثريّة الذي هو المنطق غير الصوري، وعلى الاستجابات العلميّة التي استطاعت بفعل بناء المنطق غير الصوري المطوّر عن التأسيس الأرسطي أن تنظّم المشهد التأثري الحجاجي بصفة عامة، والذي يتأرجح بين الحقيقة المطلقة والنسبية المطلقة.

لقد تعيّن لنا من هذا، أنّ الظاهرة الخطابية اللغوية التأثريّة المدعومة بنسبية المنطق الطبيعي ظاهرة مرافقة للإنسان قديماً وحديثاً سواء إنتاجاً أو تحليلاً، قديماً مع السفسطة (أفلاطون)، (سقراط)، (أرسطو)... وحديثاً (برلمان، دكرو، مايير...) وحضورها الدياكروني الدائم هذا يفسّره السعي لتأسيس شمولية أشمل من علم الفلسفة أو لنقل الاستبداد بعلم الفلسفة، يقدّم (ريكور) فرضية شموليتها قائلاً: "فأمّا عن الصعود الذي يحملها إلى الشمولية فيتمثّل في مجازفتها بكل شيء لبسط سلطانها على فنّ الحجاج القائم على الاحتمال، دون التقيد بالمقامات الاجتماعية التي ارتبطت بها في أصلها. وهذا التّجاوز لهذه المقامات وللمستمعين النوعيين المرتبطين بها تمّ في خطوتين: ففي الخطوة الأولى تحدّدت إمكانية ضمّ كل ما هو إنساني إلى الحقل الخطابي لأنّ اللّغة العادية ليست سوى استعمال اللّغة الطبيعية في مقامات التخاطب العادية. ومعلوم أنّ التخاطب يخدم الأغراض الخاصة

¹ - المرجع نفسه، ص 293.

مدخل: الظاهرة الحجاجية (قراءة في الخلفيات)

للمتخاطبين يعني؛ تلك الأهواء التي أفرد لها أرسطو كتابه الثاني من الخطابة. فتكون الخطابة إذن "فن الخطاب الإنساني المفرط في إنسانيته". وفي الخطوة الثانية تتحدّد للخطابة إمكانية المطالبة بضمّ الفلسفة كلها إلى سلطانها. إذ يكفي النظر إلى وضع القضايا الأولى في كل فلسفة لنرى أنّها غير قابلة للبرهان، فلا تكون لذلك قائمة إلاّ على سلطة الآراء التي للأكفاء من العقلاء فتدخل تحت الاحتمال والحجاج لذلك. وهذا ما صدق به الأستاذ (بيرلمان) في كل أعماله. فحقول الخطابة والحجاج والفلسفة الأولى متداخلة عنده.¹

من هنا وبعد معاينة خلفيات الظاهرة الحجاجية، لا بدّ أن نتعرّض تالياً لأهمّ المراكز الحجاجية الغربية الحديثة المرتبطة بالحجاج اللغوي، ونقصد بذلك (برلمان) و(دكرو) و(مايير)* وكيفية اشتغالها ضمن منطقتها اللاصوري.

¹ - بول ريكور، الخطابة الشعرية التأويلية، تر: ياسين ساوير المنصوري، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج5 ص207.

* - هؤلاء الأعلام شكلت كتبهم التالية منعطفات في التحليل اللغوي الحجاجي:

-Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation.

-J.C Anscombe O.Ducrot, l'argumentation dans la langue.

-Michel Meyer : Logique, Langage et l'argumentation.

**الفصل الأوّل: النظريات الحجاجيّة اللّسانيّة الغربيّة
(الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيّات)**

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

إنّ المتأمل اللغوي للتّحليل الحجاجي كما هو جاهز في الدّراسات الغربيّة الحديثة يجده تحليلًا متعدّد التّوجّهات إذ؛ هو تحليل يصعب القبض عليه؛ ذلك أنّ الظاهرة الحجاجية ظاهرة مرتبطة بعدد المجالات المعرفية، كالمنطق والبلاغة و القانون والفلسفة...، فمفهوم الحجاج بذلك هو: "مفهوم عائم، يصعب حصره وتحديدته داخل ركام هائل من الكتابات والمرجعيات النظرية، إذ نجده متواترًا في الأدبيّات الفلسفيّة والمنطقيّة والبلاغيّة التقليديّة، وفي الدراسات القانونيّة، والمقاربات اللسانية والنفسانيّة والخطابيّة المعاصرة؛ ولا ينحصر المشكل في تشعّب الخريطة وتتوّعها فحسب، بل في تعدّد الدلالات والاستعمالات التي تتباين تباين كل هذه الأطر النظرية والمجالات المعرفية، ممّا يستدعي إعادة تنظيم الخريطة، ورصد التّداخلات والاختلافات"¹، ونحن من موقع اللغوي نأمل أن نعثر على خريطة اللغوية تحديدًا، فنعرّف على بؤر اشتغاله لغويًا، وذلك بالعودة إلى مراكزه اللغوية التي حققت نوعيتها، فاشتهرت وأثرت بنتائجها، فبرزت منعطفة مصحّحة عن جدل وخطابة الإغريق ف: "القوم لم يكتفوا بجعل الحجاج مستقلًا عن الجدل والخطابة فحسب وإنما استطاعوا أن يبرئوه من تهمة الدعاية والاستمالة والمغالطة اللائطة به في أصل نشأته في كنف الخطابة"². ويقصد (صولة) بهؤلاء القوم ممثلي بؤر الحجاج اللغوي القائم بذاته، الذين اختاروا سبيلًا ثلاثة غير الجدل والخطابة، إذ يعبر عن هاته السبيل الثلاثة التي اجتمع فيها القوم الممارسين للحجاج اللغوي بأنها سبيل: "أخذت ... في اللّحوب شيئًا فشيئًا منذ سنة (1958) تاريخ صدور كتابين في الحجاج يضعانه في إطار فلسفي عام. ولم يكن أحد من المؤلفين على الأرجح بمطّلع على ما كان يصنع الآخر. ثمّ إنّ الحجاج ما فتى حتّى صار بعد ذلك مع (أنسكومبر) (وزميله دكرو خاصة) يعالج في إطار لساني محض أو يكاد. وقد حاول (مايبر) أن يستثمر الجهود الفلسفية واللسانية المذكورة، في مجال الفلسفة بوضع الحجاج في

¹ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقيّة واللسانية، ص 06.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 21.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

إطار نظرية أوسع هي نظرية المساءلة (Theorie du questionnement) ¹، وعليه يكون (شايم بيرلمان) و(ألبريخت تيتيكا) و (أزوالد دكرو) و(جون كلود أنسكومبر) و(ميشال مايير) ومدرسيهم، هم على الأقل المحللين اللغويين للظاهرة الحجاجية، وتحليلهم كما هو مبين في قول (صولة) متباين، فكل باحث له جهازه ونموذجه الذي ينماز به عن الآخر وإن كانت مواطن الاشتراك التي لا بد منها، فيصبح الحال والأمر كذلك أن نعاين كل نموذج على حدة، فنوضح مفاهيمه وإجراءاته وهذا عموماً.

وكملاحظة ننتقل ونحن نعلم إفادة بأن علماء الغرب من (أثينا) قديماً إلى أوروبا حديثاً علماء مصححون مراجعون لاشتغالاتهم، فعنصر النقد والإكمال عنصر جوهرى في بناء وتنظيم أمورهم العلمية، فنجد نماذجهم ما إن تجهز حتى تتور حولها المسائل والإشكالات فالحدثة مصاحبة لذهنية الإنسان الغربى مميزة لإنجازاته قديماً وحديثاً، فهي سلوك ثابت فيه. فتظل فيه: "موضوعاً عاماً يتضمن في دلالاته إجمالاً، الإشارة إلى تطور تاريخي بأكمله، وإلى تبدل في الذهنية"² هذه أمور التصحيح منظور إليها من ناحية سلوكية ثقافية أما من الناحية المقننة في التقاليد العلمية المتخصصة فإننا نجد لها طبيعة ابستمولوجية فالغرب هم نقدة لإنجازاتهم العلمية؛ فروضاً أو مبادئ أو نتائج*. وبالنسبة للظاهرة الحجاجية

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 21. ويقصد صولة المؤلفات التالية:

- Stephen Edelston Tuolmin ، les usage de l'argumentation .
- Chaimperelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation.
- J.C Anscombe O.Ducrot, l'argumentation dans la langue.
- Michel Meyer ، Logique, Langage et l'argumentation.

² - مائة، Encyclopedia Universalis.(Modernite) ، نقلاً عن: عبد الغنى بارة، إشكالية تأصيل الحدثة في الخطاب النقدي المعاصر - مقارنة حوارية في الأصول المعرفية-، دط. 2005، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 16.

* - ينظر: مصطلح ابستمولوجيا في، ماهر عبد القادر محمد علي، محمد عابد الجابري وتصورات مهمة في فلسفة العلوم، نقلاً عن: التراث والحدثة في المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري، إشراف وتقديم، محمد الداوي، دط. المغرب: 2012، منشورات دار التوحيد، ص 37 وما بعدها. وكذلك، حافظ إسماعيلي علوي وأحمد الملاح، قضايا ابستمولوجية

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

كتخصّص علمي، فإنّه منظور إليها نظرة ابستمولوجية منذ (أثينا) قديما إذ؛ توالّت عليها النقود حسب السّياقات والمشاهد السوسيوثقافية، فبقدر ما يتغيّر المشهد السياقي يتغيّر النموذج العلمي في اشتغاله.

أولا: تصحيح أرسطو للظاهرة السوفسطائية:

1- إشكالية المظاهر السلبية للسفسطة: يمكن أن نعدّ الظاهرة السوفسطائية ظاهرة

مركزية أسست عليها الخطابة الأرسطوية تصحيحا، فقد صحّحت نظرا لسلبيتها وتكمن سلبيتها في ملك المعلومة وتسييرها أمام الحشود ضمن واقع سياسي اجتماعي، أو ضمن لحظة تاريخية كما يصف (جليبر ديري)¹، فجميع الظروف التاريخية والاجتماعية يستغلّها السوفسطائي بسوء نية ليغلّط المتلقي/ الجمهور، وذلك من أجل أن يظهر نجما يتسلّط على كل رأي في كل المجالات. لكن التاريخ استدعى (أرسطو) مرورا طبعا بأفلاطون الذي أكّد استشاطته في محاورتهم* ليزيح تلك النجومية المزيفة التي خدعت كلّ الناس كلّ الوقت. ليصنع لهم صورة ملعونة ظلّت تطاردهم إلى اليوم: "صورة تجعل من السوفسطائيين جماعة من المخادعين يتاجرون بالعلم ويروجون لمعرفة وهمية ليس لها من الحكمة سوى الظاهرة معتمدين في ذلك على استعمال واسع للمغالطات، بحيث أصبح السوفسطائي نعتا قذحيّا، وأصبحت

في اللسانيات، ط1. الجزائر: 2009، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، وكذلك، جميل صليبا المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دط. لبنان: 1982، دار الكتاب اللبناني، بيروت ص162.

¹ - Dherbey(G.R), Les sophistes, p04. نقلا عن: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية ص82.

*- ينظر: محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، ص49. وكذلك في كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ينظر:

محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، 403 وما بعدها.

هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، ص49 وما بعدها.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

السفسطة مرادفا للاستدلال الخاطيء، وهي صورة موروثه عن النظرة السلبية التي رسخها (أفلاطون) و(أرسطو) اللذان شنا حربًا شعواء على السوفسطائيين. فقد قدمت أطروحاتهم، في أغلب تلك المصادر، انطلاقًا من النقد اللاذع الذي شغل الجزء الأكبر من محاورات (أفلاطون) وحيثًا مهمًا من كتابات (أرسطو)¹،

وللتعزيز نذكر، بعض الشهادات والتحليلات التي تبين موقف الفلاسفة من صنيع السوفسطائيين يقول (أفلاطون): "عندما يجتمع عدد كبير من أفراد الجمهور في مجلس عام أو في محكمة أو في مسرح، أو في معسكر أو في أي مجتمع آخر، وهناك يجلسون معربين بالصراخ عن استحسانهم أو استهجانهم لأي شيء يقال أو يفعل وهم في كلتا الحالتين مبالغون، يصيحون ويصفقون حتى تردّد الصخور والمكان كله صدى صيحاتهم، ويتضاعف وقع الاستحسان أو الاستهجان في مثل هذه الحالة كيف تنتظر أن تكون الحالة الذهنية للشاب؟ وأي تعليم خاص يستطيع أن يضفي عليه القوة التي تمكنه من مقاومة ذلك التيار الجارف، وعدم الاندفاع مع التيار؟ ألن يكون حكمه على ما هو صواب وخطأ مماثلاً لحكمهم؟ ألن يفعل ما يفعلون ويغدو مماثلاً لهم في كل شيء؟"²، يظهر بهذا عنصر الجمهور المستغل عاطفياً عنصراً مساعداً على التّضليل. فرمي معلومة في الجميع يؤدّي إلى إشهارها وذلك؛ لأنّ الخاصّة المفكرين قلّة أمام العامّة المندفعين لعدم خصوصيّتهم الفكرية فيغطي العامّة على الخاصّة. وعليه فالتّوظيف هو توظيف سلبيّ للملكة الخطابيّة يقول (الراضي): "إنّ هذا التّوظيف السلبيّ للملكة الخطابيّة ولتقنيّاتها المتنوّعة، سيجعل أفلاطون مقتدياً بأستاذه سقراط يصرف قدراً معتبراً من جهده الفلسفي في محاولة افتكاك الخطابة من قبضة السوفسطائيين، وتنقيتها ممّا علق بها من تصوراتهم الباطلة وممارستهم

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 81.

² - أفلاطون، الجمهورية، تر: فؤاد زكرياء، دط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ص 217. نقلًا عن: رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ضمن كتاب، حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 203.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

المنحرفة، فنجده يؤكد دعوة أستاذه إلى ضرورة تخليق الخطابة واستعمالها فقط للأغراض النبيلة والأهداف السامية، ثم يعمل أدواته النقدية في المظاهر المعيبة لأساليب السوفسطائيين وطرقهم في استمالة الجمهور، مدشنا بذلك لتقليد سيستمر بعده، ويتمثل في نقد الخطابة السوفسطائية، والقدح في وسائلها وغايتها¹. وتوضّح (بارابرا كاسان, Cassan, B) المغالطة هاته بطريقة تقنية في مجالات معرفية عديدة فنقول: "من مجموع محاورات أفلاطون تتبثق الصورة التي ستصبح منذئذ سائدة عن السفسطائية. إنها فاقدة للاعتبار على جميع الأصعدة. فعلى صعيد مبحث الوجودية، لا يهتم السوفسطائي بالوجود، بل يلجأ إلى العدم والعرض، وفي المنطق لا يبحث عن الحقيقة أو الصرامة الجدلية، بل عن الرأي والترابط المنطقي الظاهري والإقناع والغلبة في المقارعات الخطابية فقط، وفي علم الأخلاق والتربية والسياسة لا يضع نصب عينيه الحكمة والفضيلة، سواء بالنسبة للفرد أو للجماعة، بل يسعى للسلطة الشخصية والمال، وهو فاقد للاعتبار حتى على صعيد الأدب، مادامت الوجوه البلاغية المستعملة في أسلوب ليست سوى تصنع فارغ معرفيا"².

2- أرسطو ناقدا للظاهرة السوفسطائية منهجيا:

وبذلك دعا (أرسطو) الظاهرة السوفسطائية للتّحليل والتّصحيح، وعليه: "يهتمنا في هذا السياق أن نعود إلى المواطن التي اهتم فيها أرسطو بهذه المسألة لنلاحظ أنه يمكن أن نصنّفها صنفين داخل الأورغانون وخارجه، أمّا داخله فقد اهتم بالقضية في التّحليلات الأولى وفي طوبيقي وبصفة أخصّ في التّبكيتيات السوفسطائية، حيث درس ثلاثة عشر نوعا منها ستة داخل الكلام وسبعة مستقلة عنه. كما تناول الأمر أيضا خارج الأورغانون في الفصل الرابع

¹ - رشيد الرازي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، التوجه التداولي الجدلي نموذجاً، ضمن كتاب، حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص204.

² - Cassan(B), L'effet sophistique, Gallimard, 1995, p10. نقلا عن: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج

الأصول اليونانية، 81.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

والعشرين من الجزء الثاني من كتاب الخطابة¹ وقد ضرب (أرسطو) بحسم التبكيات والقياسات السوفسطائية، وذلك فيما يقوله (ابن رشد) شارحا تعريف (أرسطو): "التبكيث السوفسطائي هو القياس الذي يوهم أنه بهذه الصفة من غير أن يكون كذلك"²، فعنصر المغالطة بحسب (أرسطو) هو الجوهر المسيطر على الخطاب السوفسطائي، هاته الأمور دعت (أرسطو) إلى أن يقدم الظاهرة الخطابية بتأسيسها من جديد، ويجعل لها محلا أو يوقعها بين الجدل والسفسطة، وعليه يقول موطداً علاقتها بالجدل: "إنّ الريطورية ترجع على الديالكتيكية"³. ويشرح (بول ريكور Ricoeur, P) هذا القول أو يتأوله فيقول: "بين الدليل والسفسطة يسود الاستدلال الراجح الذي سجّل أرسطو نظريته في الجدل، جاعلا الخطابة بذلك جوابا للجدل"⁴، وبذلك يغدو الجدل والخطابة متعاونيين إلى درجة أنّهما - فيما نقل (صولة) عن (أرسطو) -: "قوتان لإنتاج الحجج"⁵، ف: "الحجاج الجدلي... عرض له (أرسطو) في كتابه (الطوبيقي TOPIQUE) ومعناه المواضعة أي مواضع القول. ومداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرد... وأما الحجاج الخطابي فمن قبيل ما عرض له (أرسطو) في كتاب (الخطابة) وهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة. والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات وإلى إرضاء

¹ - محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، ضمن كتاب، حمادي صمود، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص406.

² - ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، ص670. نقلا عن: محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج ص407.

³ - أرسطو، الخطابة، ص 03.

⁴ - Ricoeur(P), Rhétorique, Poétique, Herméneutique, p145.

نقلا عن الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص178.

⁵ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص17.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

الجمهور واستمالاته"¹، فيكون بذلك الحجاج عند (أرسطو) حاملاً لعنصر الواقع والتخييل* فالخطابة والجدل بذلك وعن طريق المشاكلة كما يرى (ابن سينا) تغدو: "مبادئها جميعاً المحمودات، لكن الجدل محموداته حقيقية، والخطابة محموداتها ظنية"²، و بناء عليه يتجاوز (أرسطو) معرفاً الخطابة بـ: "القدرة على الكشف في كل حالة عن المقنع الكامن فيها"³. ووجوه التّجاوز والتّصحيح من حيث التعريف يمكن اختزالها في (ما وضّحه الحسين بنو هاشم):⁴

يرى الباحث (الحسين بنو هاشم) بأنّ (أرسطو) هدّب الخطابة، وذلك حينما جعلها قدرة وليست سلطة، هاته القدرة أو الكفاءة مجالها غير محدّد، إذ تقيم الارتباط بجميع المجالات فهي تحاور كل القضايا، وليست صناعة محصورة في قضية محدّدة.*

ولعلّ الكشف عن الوظيفة، هو الذي حدّد القيمة الحقيقية للظاهرة محطّ الاهتمام، فالوظيفة تملك أن تعلن المفهوم والمبادئ المنهجية والجهاز الواصف نفسه، بل المنفعة الواقعية للظاهرة المدروسة. فالمنفعة الواقعية هي التي تؤسّس بامتياز للعلم، وعليه عندما هاجم (أرسطو) خصوم الخطابة، هاجمهم مرتين، مرّة نقد فيها التّهم، ومرّة أخرج من التّهم الآفاق التأسيسيّة. وبالنسبة للتّهم المنقودة، كانت في مجالين:⁵

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص18.

*- يراجع هذا في، محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، وبول ريكور، الشعرية، الخطابية، التأويلية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج5.

² - ابن سينا، الشفاء المنطق، ج8، ص6،7. نقل عن: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 181.

³ - Aristote، Rhétorique, trad, P.Chiron, p ;124، نقل عن الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 203.

⁴ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 203 وما بعدها.

*- ينظر محمد الولي: تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، ص52. حين نزل جورجياس الخطابة منزلة السلطة.

⁵ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص187، 189.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

- "الانتقاد الأول: يتمثل في كون من ألفوا في الخطابة لم يعالجوا سوى جزء يسير منها. لأنّ التصديقات، كما يقول (أرسطو)، هي الأمور الوحيدة الداخلة في مجال الصناعة، وما عداها مجرد زوائد. والحال أنّهم لا يذكرون شيئاً عن الضمائر وهي عمود التصديق، بل انصبّ جهدهم على ما يتعلّق بإثارة الأهواء."

- "أمّا الانتقاد الثاني فمفاده أنّ مصنّفي الخطابة لم يعالجوا سوى الخطابة القضائية، ولم يذكروا شيئاً عن الخطابة الاستشارية، على الرغم من أنّ ممارستها أنبل للمواطن من ممارسة الأولى. فقد انصبّت جهودهم على وضع قواعد الخطابة القضائية، لأنّ الكلام خارج الموضوع في الخطابة الاستشارية أقلّ فائدة منه في القضائية، وهي أي (الاستشارية) أقلّ تأثيراً بالخدع من الأخرى. ففي الخطابة الاستشارية يحكم السامع على قضايا تتعلّق بمصالحه الخاصة، وبالتالي فكل ما على الخطيب بيانه هو صحّة ما يتقدّم به. أمّا في الخطابة القضائية، فلا يكون ذلك كافياً. ومن المفيد كسب السامع، لأنّ القضايا المطروحة غريبة عن القضاة، وبما أنّهم لا يهتمّون سوى بإرضاء أذواقهم الخاصة، وينصتون للمرافعات طلباً للمتعة التي يجدونها فيها، فهم ينساقون وراء المترافعين بدل أن يحكموا بينهم بالفعل".

ويستشهد (الحسين بنو هاشم) بنصّين لأرسطو هما: "فمن البين، لذلك، أنّ النّظام المترتب وفقاً لقواعد الفن، لا يعنى إلاّ بالتصديقات، وأنّ التصديق نوع من البرهان، لأنّنا نكون أكثر اقتناعاً كلّما افترضنا أنّ أمراً ما قد برهن عليه، وأنّ البرهان الخطابي هو ضمير، والضمير بوجه عام، هو أقوى التصديقات الخطابية، وأخيراً أنّ الضمير نوع من القياس. ولما كانت مهمّة الجدل، ككلّ أو أحد أجزائه، النّظر في كل نوع من الأقيسة على نحو مماثل، فمن الواضح أنّ الأقدر على فحص مادّة القياس وأشكاله سيكون هو الأقدر على الحجاج الخطابي، لو أنّه أضاف إلى ذلك معرفة الموضوعات التي تتناولها الضمائر والفوارق بينها وبين الأقيسة المنطقية"¹. ويضيف (أرسطو) رافعا من قيمة الشبيه بالحقيقة ليضعه في

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 189.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

مستوى الحقيقة : "لأنّ فحص الحقيقة والشبيه بها متعلّقان بنفس القدرة، وفي نفس الوقت لأنّ الناس مطبوعون بشكل كافّ على الحقيقة، وهم يبلغون إليها أغلب الأحيان: وبالنتيجة من يملك القدرة على تحريّ الحقيقة يملك القدرة على تحريّ الآراء المشتركة"¹. ويستمر الباحث معلقاً مبدياً رأيه: "إنّ هذين النصين اللذين ختم بهما (أرسطو) انتقاده لمؤلفي كتب الخطابة قبله هما، في رأينا، بمثابة البديل الذي يقدمه للخطابيات السابقة: الخطابة الحقّة. ففي مقابل التقنيات المغيبيّة للعقل والمعتمدة على إثارة الأهواء والانفعالات والعواطف، يقترح (أرسطو) خطابة بديلة تقوم أساساً على الاستدلال العقلي الذي يشكّل الضمير وسيلته الحاسمة. هذا الضمير يعتبره نوعاً من القياس، أي إنّهُ ينتمي إلى أعلى درجات الاستدلال العقلي عند (أرسطو). هذا الانتماء يبرّره كون الحقيقة التي يسعى إليها القياس والشبيه بالحقيقة الذي يشكل مجال الضمير، يعودان إلى نفس القدرة أو الملكة الطبيعيّة للناس. وهنا يعلي من شأن الشبيه بالحقيقة الذي تقوم عليه الخطابة"². فهاته هي الخطابة الحقّة التي ارتضاها (أرسطو) والقائمة على العقل عن طريق تقنية الضمير، والفارغة من الانفعال.

وبعد أن انتقد أرسطو سابقه قدّم الوظيفة الحقيقيّة للخطابة وذكر منافعها، وهو يرمي فيما يرمي إلى إعلان التأسيس الفعلي لها ومن منافعها عنده:³

- رجحان الحق والعدل: "لأنّ الحقّ والعدل بما أنّهما أقوى بطبيعتهما من مضاديهما، فإنّه إذا لم تصدر الأحكام كما ينبغي، فالفضل مردّه، بالضرورة، إلى المترافعين وحدهم. وجهلهم يستحقّ، إذن، التوبيخ". فالعدل والحقيقة موجودان بالقوة في الطبيعة البشرية لذا؛ ينبغي سياسة الوسائل لتحقيقهما فعلاً وترسيخهما.

¹ - المرجع نفسه ، ص 189.

² - المرجع نفسه، ص 189، 190.

³ - المرجع نفسه، ص 190، 191.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

- الخطاب العلمي الدقيق ينتمي إلى التعليم، ومن المستحيل استعماله في الخطابة فالحجج ووسائل الإقناع فيها ينبغي أن تعتمد على الآراء المشتركة.

- ينبغي على المرء أن يمتلك القدرة على الإقناع بعكس دعواه، لا للبرهنة على الدعوى ونقيضها معاً (إذ لا ينبغي الإقناع بأمور غير أخلاقية)، بل لكي لا نجعل كيف تطرح القضايا، ونكون قادرين على تفنيد من يحاجج ضد العدالة.

-العجز عن الدفاع عن النفس بالكلام عيب: "إذا كان من المخجل عدم القدرة على الدفاع عن النفس بواسطة الجسد، فسيكون من غير المعقول ألا يخجل من عدم القدرة عليه بواسطة الكلام الذي يعدّ استعماله أخصّ بالإنسان من استعمال جسده"

-الاستعمال غير العادل للخطابة ليس مقصوداً عليها، بل هو أمر مشترك بين جميع الخيرات ماعدا الفضيلة، وبالخصوص أكثرها نفعا مثل: القوّة والصحة والغنى وقيادة الجيوش. فكما أنّ الاستعمال العادل لها يمكن أن يكون نافعا، فإنّ استعمالها الظالم يمكن أن يكون ضارا"، هذه هي الحجج التي قدمها (أرسطو) لبيان منفعة الخطابة. وعليه: "فالخطابة نافعة لأنها تستطيع ردّ الأمور إلى نصابها، ومواجهة أيّ استعمال لها، ولأنّ من شأنها أن تدافع عن الحقّ والعدل وتقف أمام أيّة محاولة لتغليب مصاديها، وإذا ذهبنا بعيدا ... فإنّ الخطابة وسيلة لمواجهة السفسطة والسفسطائيين "القادرين على جعل الحجة الأضعف أقوى بهذه الحجة يعطي (أرسطو) للخطابة بعدا أخلاقيا اجتماعيا"¹. أمّا بالنسبة لمهمّتها/ لوظيفتها فيتوجها (أرسطو) بالنظر إلى هاته المنافع يقول: "وأنّ مهمّتها ليست الإقناع بقدر ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجودة في الإقناع. والأمر نفسه ينطبق على سائر الفنون: فمثلا ليست مهمّة الطبّ إعادة الصّحة للمريض، وإنّما محاولة بلوغ هاته الغاية قدر

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 193.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

المستطاع، فحتى هؤلاء الذين يستحيل شفاؤهم يمكن علاجهم أيضا كما ينبغي¹. فمهمة الخطابة هي البحث في وسائل الإقناع للإقناع.

ثانياً: الإجراءات التقنية الأرسطية للتحليل الحجاجي:

وعليه ينطلق (أرسطو) داعماً هذا بالبحث الفعلي في إجرائية هذا المشروع وقد قدم عدّة تقنيات أو نموذج تنظير تمثّل في وسائل الإقناع يقول: "لنحاول الآن أن نتحدّث عن الصناعة نفسها. وأن نقول كيف يمكننا أن نحقق أهدافنا وانطلاقاً من أية عناصر سنصل إلى ذلك"². فأرسطو "خصّص الفصل الثاني لتقديم نظرة عامة عن وسائل الإقناع التي تشكّل عنده العمود الفقري للخطابة، ويمكن أن نعتبر أنّ هذا الفصل يشكلّ التصميم أو خطة العمل التي سوف يتّبعها في الكتابين الأول والثاني، ففيه يقدّم ملخصاً لما سوف يتطرق إليه بالتفصيل طيلة هذين الكتابين (الايِتوس، الباتوس، اللوغوس، الضمير، المثال، المواضع الخاصة، المواضع المشتركة)³، يدعوننا هذا في هذا المقام إلى ضرورة تقديم هاته المفاهيم على طريقة المصطلحات:

1- الايتوس والباتوس واللوغوس⁴ وأجناس الخطابة⁵: تكاد هاته المصطلحات الثلاثة ترتبط على التوالي (بالخطيب والمستمع والخطاب) فيصف (الايِتوس) الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب، كأن يكون متفهّماً، عنيفاً، رحيماً، شديداً... في حين يصف (الباتوس) مجموع الانفعالات التي يرغب الخطيب في إثارتها لدى المتلقّي (الرحمة الكراهية... ويمثّل اللوغوس عقلانية السلوك الخطابي من قدرة على الاستدلال وبناء الحجاج. وتناسب هاته

¹ - الحسين بنو هاشم ، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 205.

² - المرجع نفسه ، ص 212.

³ - المرجع نفسه، ص 212.

⁴ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 18.

⁵ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، حافظ إسماعيلي علوي

الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 29.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

الثلاثية الأجناس الخطابية لأرسطو، بل هي نتائج لكل واحدة يقول (عبد الله صولة) في هاته المناسبة: "هذه الأنواع الثلاثة من الحجج يتناسب كل واحد منها مع نوع من أنواع الخطابة. وهي أيضا ثلاثة: الخطبة المشورية والخطبة المشاجرية والخطبة التثبیتیة... فالخطبة المشورية غايتها بيان النافع والضار والتوصية باتّباع أقوم المسالك، واجتناب أسوأها، تتناسب حجة (الايثوس) فعلى الخطيب في الخطبة المشورية أن يتزيّن بحسن الخلق فيما يتوجه به إلى السامعين حتّى وإن كان على غير ذلك الخلق في الواقع. وأمّا الخطبة التثبیتیة التي قوامها المدح والذم مدح الشريف ودم الخسيس فتتناسبها حجة (الباتوس) و(الباتوس) إنّما هو مجمل الانفعالات والأهواء والمشاعر التي ينبغي على الخطيب أن يثيرها. في نفوس السامعين فيحقق بذلك الإقناع وهذا يتطلّب من الخطيب أن يكون عالم نفس يعرف كيف يثير مشاعر جمهوره ومن أين يأتيهم ... وأمّا الخطبة المشاجرية التي غايتها بيان العدل والظلم وقوامها الاتّهام والدفاع فتتناسبها حجة اللوغوس أي الكلام نفسه وقوام الحجاج في مثل هذه الحالة الضمير (L'enthymème) والمثال (l'exemple)¹ وتقنيّة الضمير عنده مفهوميًا لا تعني عنده: "قياسًا أضمرت إحدى قضاياها (المقدمة الصغرى في الغالب) كما ساد عند أغلب الدارسين. فهذا الإضمار ليس هو السمة المميّزة له... إنّ السمة المميّزة للضمير، عند (أرسطو) هي أنّه "قياس مكوّن من قضايا شبيهة بالحقيقة أو من علامات"². أمّا بالنسبة لتقنيّة المثال فهي: "استدلال يبقى في إطار علاقة الخاص بالخاص، أي أنّنا نستخلص شيئًا متعلّقًا بحالة خاصّة انطلاقًا من حالة خاصّة أخرى من نفس جنسها، لكنّها أشهر من الأولى يوضّح (أرسطو) الأمر قائلاً: "هو ليس علاقة جزء إلى كلّ، ولا كلّ إلى جزء، ولا كلّ إلى كلّ، بل علاقة جزء إلى جزء، وشبيه إلى

¹ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 29، 30.

² - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 220.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

شبيهه، حين يندرجان تحت جنس واحد، ولكن أحدهما معروف أكثر من الآخر"¹. فالعلاقة هي علاقة خاص بخاص.

2-الموضع: تابع (هشام الريفى) فى دراسته الموسومة بالحجاج عند (أرسطو) ضمن كتاب الحجاج فى التقاليد الغربية، مفهوم الموضع ، وذكر أنه لم يعثر على مفهوم واضح له يقول: "لم يعرف (أرسطو) الموضع حينئذ لكنه قدّم ملاحظتين تساعدان شيئاً على الاقتراب من مدلول المفهوم عنده فى المقالة الثامنة من كتاب (المواضع) قال: عليك أن تحاول امتلاك المواضع أحسن امتلاك فتحتها تقبّع الحجج فى الغالب وفى بعض أعطاف كتاب (الخطابة) قال: "أرى أنّ العنصر والموضع شيء واحد لأنّ العنصر أو الموضع باب يندرج تحته كثير من الضمائر. فى القولة الأولى إشارة إلى علاقة الحجج بالمواضع وفى القولة الثانية إشارة إلى علاقة الضمائر بالمواضع لكن ليس هناك تحديد لتلك العلاقة والمشكل كل المشكل هو فى تحديد تلك العلاقة"²، لكن (الريفى) يتابع الشراح ويعثر على مقاربة ثمينة فىقول: "فالمواضع حسب ما جاء فى هذا النصّ وقد اخترناه لأنّه يُلخص فى دقة ووضوح ما اتفق فيه غالب الشراح من الإغريق واللاتين والعرب ليست هى الحجج ولا مقدّمات الأقيسة الجدلية أو الأقيسة الخطبية لكن منها تشقّ المقدّمات وبتلك المقدّمات تبنى الحجج... المواضع هى قضايا عامّة جدّاً...تولد منها المقدّمات الجدلية والمقدّمات الخطبية"³. كل هذه التهيئة من أجل المستمع وقد وجدت هاته التقنيات والمبادئ لإرضائه واستمالاته ذلك أنّه: "هو المستهدف فى أية ممارسة خطابية"⁴. يكاد يكون هذا هو المعجم الرئيسى الذى يوضّح الرؤية التقنيّة الأرسطية لعالم الظاهرة الحجاجية/ الخطابية.

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 224.

² - هشام الريفى، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج فى التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 193، 194.

³ - المرجع نفسه، ص 194، 195. ويمكن متابعة تفاصيل المواضع فى المرجع نفسه ص 213 وما بعدها.

⁴ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 229.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

ثالثاً: شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا والحجاجيات الحديثة: في ضوء التّداعيات السوسيوثقافية التي كرسها المشهد الحديث، خصوصاً تلك المتعلقة بالإعلام والإشهار أو الميديولوجيا بصفة خاصة¹، والتي أصبح لها كبير تأثير على القيم، دعا (بيرلمان) بمعية (تيتيكا) نفسيهما إلى التأسيس لمنطق جديد للقيم التي تعمل الميديا تخصيصاً على تسييره وإثارة النشاط فيه، وقد تموقع² الباحثان بين جدل وخطابة (أرسطو) تصحيحاً وإكمالاً، في ذلك المكان الذي يروج فيه الاحتمال والشبيه بالحقيقة. يقول (شايم بيرلمان): "إنّ مجال الحجاج في الجدل والخطابة، هو بامتياز ذلك الذي تتدخل فيه القيم"³

وبهذا الخصوص وجدت: "قصة لقاء (شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا) بالخطابة. فمشروعهما كما يحكي (بيرلمان) في كتابه إمبراطورية (الخطابة)، كان في الأصل يهدف إلى وضع منطق للقيم كوسيلة لمعيرة طرق تفضيل قيمة على أخرى. لكنهما اكتشفا بعد بحث طويل أنّ ما يبحثان عنه لا يمكن أن يخضع لاستدلالات منطقية صارمة، بل فقط لاستدلالات خاضعة للشبيه بالحقيقة، قوتها مرتبطة بموقف المستمع منها. وهذا بالضبط ما وجداه في

¹ - الميديولوجيا، إنّ تحليل الخطاب، وفق النظريات الحديثة للاتصال... تسلم بعدم انفصال (محتوى) الخطاب عن (الواسطة) (الوعاء المادي للرسالة، الشبكات التقنية والبشرية التي تسمح لها بالانتشار) لقد اقترح (دوبري) إنشاء تخصص جديد سمّاه الميديولوجيا التي تدرس العلاقات بين الشروط الاتصالية وانتشار الأفكار و(الوسائط التي بفضلها تصبح فكرة ما قوة مادية)، وحتى وإن كانت الميديولوجيا لم تبلغ بعد هذه الغاية بوصفها تخصصاً مستقلاً، فإنّ الاحتفال بهذا البعد الميديولوجي يبدو أساسياً لتحليل الخطاب، إنّ نمط الوجود المادي ونمط انتشار الخطاب لا يضافان إليه بشكل عرضي بل هما جزءان من تكوينه، لا يمكننا أن نفصل ما يقال عن الظروف المادية والمؤسسية للكلام". (دومينيك مانغونو) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1. الجزائر: 2008، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ص 83، 84.

² - التموقع: هو تموقع على شكل خطابي في حقل خطابي ما (مثل تشكل الدرس الحجاجي لبيرلمان من خلال الخطابة والجدل الأرسطيين)، دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ص 100، 101 بتصرف.

³ - CHaim perlman، l'empire rhétorique p176، نقلاً عن الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 276.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

الخطابة"¹. والقيّم من المنظور الحجاجي حسب الباحثين هي القيّم المرتبطة: "ارتباطا خاصا بالجنس التثبتي الذي يرمي إلى تنمية قوّة التبني لبعض القيم،... فالحجاج الخطابي يصدر عن قاعدة قيم يشترك فيها الخطيب والحضور اشتراكا قليلا أو شديدا"²، وتصبح القيمة من وجهة نظر الاستعمال اللغوي رأيا. فكلمة رأي ترادف كلمة قيمة في الخطاب اللغوي³.

هذا الأمر يدعونا قبل الحديث عن مشروع (بيرلمان) و(تيتيكا) إلى الحديث عن التأسيس الفعلي لمنطق القيم في استعمال اللغات الطبيعية عند (بيرلمان).

1- منطق القيم عند شايم بيرلمان:

في الاستخدام اللغوي حسب (بيرلمان) تمنح: "العبرة الواحدة معاني متعدّدة، وفي بعض الأحيان معاني جديدة تماما، وإمكانية الرجوع إلى الاستعارات واعتماد التأويلات المتناقضة هو أمر مرتبط بشروط استخدام اللغة. إنّ كون هذه اللغة تتوسل عادة بمفاهيم غامضة تفسح مكانا لتأويلات متعدّدة ولتحديدات متغيّرة، يضطرنا غالبا إلى إجراء اختيارات وقرارات ليست متطابقة بالضرورة. من هنا وجب في غالب الأحيان تبرير هذه الاختيارات وتعليل تلك القرارات"⁴. ويدعم (بيرلمان) هذا الأمر بمثال من النصوص القانونية المستعملة لغويا يقول: "في مجال القانون نجد القاضي، وعلى خلاف ما يجري في النسق السوري، مضطرا إلى اتّخاذ القرارات وتعليلها في الوقت نفسه، فالمادة الرابعة الشهيرة من مدوّنة نابليون تعلن أنّ القاضي الذي يرفض أن يحكم بحجة سكوت النص أو غموضه أو عدم الكفاية القانونية سيصبح ملتبسا بتهمة الامتناع عن الحكم. وحينما يظهر له النص عند النظرة الأولى حاملا

¹ - Chaim perlman، 8/9. l'empire rhétorique نقلا عن: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 236.

² - باتريك شارود ودومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: حمادي صمود وعبد القادر المهيري، ص 581.

³ - المرجع نفسه، ص 581.

⁴ - شايم بيرلمان، المنطق السوري والمنطق غير السوري، تر: أسامة الممتي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته ج5، ص 193.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

ثغرة أو تناقضا أو التباسا، فعليه أن يؤوّل النّسق باعتماد تقنيّات الاستدلال القانوني بكيفيّة تمكّنه من إيجاد الحلّ وتعليه. إنّنا في كل هذه الحالات نجد أنفسنا مضطرين للعودة إلى غير المنطق الصوري كمنطق يبرّر الحكم، ويمكن من حل التناقض، واتّخاذ القرار المناسب¹، إنّ هذا القول، وبمثاله القانوني ذي الحجّة اللغويّة، يعلن ميلاد منطق غير صوري، يختلف تمام الاختلاف عن المنطق الصوري. وعليه فبرلمان ينسب أو يحدّد مجال المنطقين، فيرى بأنّ المنطق الصوري مجاله الظاهرة البرهانيّة، في حين نجد أنّ المنطق غير الصوري مجاله الظاهرة الحجاجيّة يقول (شايم): "إذا كان المنطق الصوري هو منطق البرهان فإنّ المنطق غير الصوري هو منطق الحجاج"². فالأمر لا يتعلّق: "في الحجاج كما في البرهان ببيان كون قيمة موضوعيّة كالصدق تنتقل من المقدمات إلى النتيجة، بل ببيان أنّنا قادرون على الظفر بقبول السامعين لمعقوليّة ومقبوليّة قرار من القرارات"³. ويزداد الفرق وضوحا، حين نجد بأنّ إواليات الحجاج/المنطق غير الصوري، تكون إواليات مقبولة لدى السامعين، وتعودّ الناس قبولها⁴، يشيّد (بيرلمان) هذا المنطق من أجل المستمع الأفضل المستمع العنيد والمحقّق في القضايا يقول (شايم): "فأفضل الحجاج هو ما استطاع إقناع المستمع الأكثر تحقّقا والأشدّ انتقادا والأفضل اطلاعا مثل الآلهة أو العقل الإلهي، لذا فالحجاج الفلسفي يقدّم نفسه كنداء للعقل، وهو ما عبّرت عنه في أدبيّات اللّغة الحجاجيّة أو الخطابة الجديدة، بكونه خطابا يتوجّه إلى مستمع كوني. فالحجاج العقلاني يتّصف بقصدية

¹ - المرجع نفسه، ص 193.

² - المرجع نفسه، ص 193.

³ - المرجع نفسه، ص 193.

⁴ - شايم بيرلمان، المنطق الصوري والمنطق غير الصوري، تر: أسامة المتني، ضمن كتاب ، الحجاج مفهومه ومجالاته ج5، ص 193، 194.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

كونية تتوخى الإقناع، أي استمالة مخاطب يعتبره الفيلسوف تجسيدا للعقل¹. وبهذا يعبر شايم عن عمق الحجاج.

2- شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا والتموقع المتصل المنفصل بأرسطو منهجيا:

يبدأ (شايم بيرلمان) بمعية (ألبريخت تيتيكا) ، بالإعلان الصريح، عن تموقعهما في التراث الأثيني بين جدل وخطابة (أرسطو)، رافضين الانضمام إلى التقاليد الديكارتيّة التي هيمنت بل شكّلت مركزية الفكر الغربي خلال القرون الثلاثة الأخيرة يقول (بيرلمان وتيتيكا):

« la publication d'un trait consacré à l'argumentation et son rattachement à une vieille tradition , celle de la rhétorique et de la dialectique grecques, constituent une rupture avec une conception de la raison et du raisonnement, issue de descartes, qui a marqué de son sceau la philosophie occidentale des trois derniers siècle »².

فأول ما هاجم فيه (ديكارت) الباحثين الأمور الاحتمالية والتقريبية، ذلك أنّ (ديكارت) كان يرى بأنّ الأمور التقريبية هي أمور كاذبة تقريبا، ولا يمكن لها بناء البرهان، فالبرهان أساسه عند ديكارت البداهة والتي هي الخاصية المميزة عنده، فالبرهان ينطلق من الأمور الواضحة ليصل إلى الأمور الواضحة، عكس الحجاج الذي يراه (بيرلمان)، والذي مجاله الأمور التقريبية والمحتملة والمقبولة³. والعقلانية ينعثها (بيرلمان وتيتيكا) وفق التّصور الديكارتي بمعناها الواسع، أنّها ما كانت موافقة للمناهج العلمية، إذ يرى بأنّ المؤلفات المنطقية تسعى إلى التّحقق من الفرضيات لانبنائها، ولا تغامر إلا ندرّة في معالجة تقنيّات الدليل في العلوم

¹ - المرجع نفسه، ص195.

² - Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation, Editions de l'université de Bruxelles, 6^{ème} édition 2008, p01.

³ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 61.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation, p01.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

الإنسانية. فالمنطق التابع لديكارت يجد شهيته في الأدوات التحليلية التي تتميز بالضرورة واللزوم، الأمر الذي دعا المناطق الرياضيين منذ قرن - حسب شايم- إلى حسم الأمر التحليلي في المنطق الصوري فقط، وكل استدلال يقع خارج الصورية لا ينتمي إلى العقل إنَّ العقل حسب هاته الصيغة يراه (ديكارت) قادرا على حل جميع المشاكل، والعقل ينعته (شايم) بالعاجز حين يتعلق الأمر بمجال غير مجال التحسب، فالتجربة والاستنباط المنطقي لا تعين في حل المشاكل التقريبية، الأمر الذي جعلنا عرضة للاستسلام¹ ويستمر (بيرلمان وتيتيكا) ضاربين النموذج العقلاني وذلك بالانتقاد التاريخي، فدعا عن التاريخ الحديث (باسكال) و(كانط وهنري برغسون) والذين هم من المعارضين للنزعة الديكارتيّة إلاّ أنّه يصفهم بأنهم لم يتخلوا عن تأثيرات ديكارت، أو بعبارة تقرب الصّحة من تأثيرات حصر ديكارت المعرفة في مفهوم العقل البديهي الملزم² ويستمر (بيرلمان) و(تيتيكا) منتقدين حتّى (أرسطو)، وذلك حين قسّم الملكات العقلية، بين الأدلّة الجدلية، والأدلّة التحليلية، والأدلّة المرتبطة بالتقريب إلى جانب الأدلّة المرتبطة بالضرورة، وأدلّة المجادلة والحجاج إلى جانب أدلّة البرهان³، وبعد هذا يؤكد الباحثان ضرورة التصدي للبداهة من أجل فتح مشروع لنظرية الحجاج⁴ كان هذا سببا رئيسياّ مباشرة لبيرلمان وتيتيكا لكتابة مشروع نظرية الحجاج؛ فعصور

¹ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 62.

Voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p02/03.

² - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر، رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 63.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p03/04.

³ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص63.

voir , Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p/04.

⁴ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر، رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص63.

voir , Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p/04/05.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

البداية يجب أن تتراجع. ويفتح المجال لعصر الإشهار وتسيير المعلومة والدعاية لكي تأخذ حقها بطريقة مقننة، وهو أمر دعا (بيرلمان) إلى التّموقع في الشكل الخطابي الأرسطي بطريقة جديدة¹. فالمكانة والأمر كذلك للمعلومة فعلا.

ويذكر الباحثان تبريرا للارتباط الاصطلاحي بخطابة وجدل (أرسطو)، فموضوع تحليلهما يشبه أدلة (أرسطو) الجدلية في (المواضع) وتطبيقها في (الخطابة)، وقد ربط درسيهما بالخطابة والجدل وفضلاً إشهار مصطلح الخطابة بدل الجدل، وذلك بسبب تداول الفلسفة لمصطلح الجدل والذي بقي لقرون طويلة يدلّ على المنطق نفسه، بخلاف مصطلح الخطابة الذي أهمله التّداول الفلسفي، زد على ذلك أنّ الجدل والذي هو فن للتفكير في الآراء المقبولة والاحتمالية التي نميل إليها بتفاوت لم يتمّ استثمار فكرة الميل فيه ذلك الاستثمار الذي حقّفته الخطابة إذ فكرة الميل جوهرية في الخطابة². وبهذا فمصطلح الخطابة هو الأرجح.

ويصحّح (شايم بيرلمان) الخطابة القديمة تصحيحاً تتفاوت نسبه، فأحياناً يكون غزيراً شديداً وأحياناً أخرى قليلاً لطيفاً، وذلك للاختلاف البين بين المشهدين السوسيو تاريخيين، الأثيني قديماً والأوروبي حديثاً³، فبالنسبة لموضوعات الخطابة -حسب (شايم وتيتيكا)- فقد كانت فناً للكلام في جمع أو حشد في ساحة عامة بلغة منطوقة لهدف كسب الميل، فهذا الكسب يراه (شايم وتيتيكا) هو أساس كل فاعلية حجاجية. غير أنّ هذا الأمر لا يمكن أن يستقرّ

¹ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 64.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p05/06.

² - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 64، 65.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p06/07.

³ - تتحكّم النظرة اللاصورية المنطقية تحكماً كبيراً في هذا المصنف، كما أشرنا إلى إشكال اقتراح المنطق اللاصوري من قبله.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

حديثاً لمجرد العرض الحجاجي بواسطة الكلام في حشد مجتمع في ساحة كنمط¹. فكسب الميل هو الركن الأساس في التفاعل الحجاجي.

إنّ اهتمام القدامى يتغيّر الحصول على أستاذ للفصاحة، على عكس (شايم وتيتيكا) اللذان يسعيان للارتقاء بالمنطق اللّاصوري، أمّا بالنسبة لإشكالية المشافهة القديمة فيدعمها بالنصوص المكتوبة، بل يعطي المركزية حديثاً للنص المكتوب نظراً لدور الطباعة². ويضيفان بأنّ الكتابة بنيتها غير البنية الشفهية ذات الطول والقصر المتفق عليهما³. ويصرحان بالأمر الذي يحتفظان به بحذافيره أو بصفة جوهرية (يشكّل الأساس المتين لمصنفهما) والذي هو المخاطب الشفهي أو الكتابي⁴. فالمخاطب هو أساس قيام العملية الحجاجية.

ويضربان الفكرة الخطابية قديماً في عمقها إذ ينعانها بالاستعجالية، والتي تروم الوصول إلى النتيجة في أسرع وقت ودون عناء، لاستغلال الجهلة، والتي أثبت التاريخ تراجعها أمام التحاليل الفلسفية (أفلاطون في محاورات جورجياس)⁵. فالخطابة يجب أن تقدّم أكثر من دليل حتّى تكون نزيهة.

¹ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 65.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation p07.

² - مثلت الكتابة قوة ميديولوجية حقيقية حديثاً.

³ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 66.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p08.

⁴ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 66.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p08.

⁵ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 66.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

إنّ (بيرلمان وتيتيكا) يتوجّهان إلى مستمع كوني، فلا يتجاهلان نوعيّة النفوس، كما ينوعان التقنيّات الحجاجية بشكل موسّع، إذ تشمل جميع المجالات حتّى المحاورات اليومية¹. فالعمل والأمر كذلك ليس لهدف مستعجل وموجه لجماعة محدّدة بل لمستمع كوني. فالمجال هو كوني.

والحجاج الذي يحصرانه هو كسب ميل النفوس عن طريق اللّغة/الخطاب التأثيري، فالذي يرسل المثال دون أن يقول أي شيء، أو الذي يلاطف أو يلطم أو الذي يمارس دعاية كما هي صورتها في القرن العشرين، يمكنه أن يحقق نتيجة، لكنهما لا يهتمّان بهذا إلّا إذا تمّ ذلك بالاعتماد على اللّغة²، ولذلك نجدهما يدعوان المناطق لإكمال نظرية الحجاج اللّغوي فقد دعيا لدراسة وسائل التّدليل في العلوم الإنسانية والقانون والفلسفة، وذلك بدراسة الحجاجيّات كما هي مقامة عند أهل الدعاية في الصّحف والخطابات والمرافعات و الفلسفات³. وأهمّ غاية يرمي إليها المؤلّفان هو التأسيس للمعقوليّة والحرية في الاختيار فحجاجهما هو المقزّم للعنف يقول صولة: "فالحجاج عندهما معقوليّة وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورّة، ومن أجل حصول التّسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطيّة واللّامعقول اللّذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللّذين

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p09.

¹ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص67.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation p09/10.

² - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص68.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation, p10.

³ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص69.

voir : Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p13.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

يطبعان الجدل. ومعنى ذلك كلّه أنّ الحجاج عكس العنف بكل مظاهره¹. فالحجاج عندهما موجود من أجل المعقولة وحرية الاختيار.

وعليه فموضوع الحجاج:

« L'objet de cette théorie est l'étude des technique discursives permettant de provoquer ou d'accroître l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment »²

وغايته:

« Le but de tout argumentation, avons-nous dit, est de provoquer ou d'accroître l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment : une argumentation efficace est celle qui réussit à accroître cette intensité d'adhésion de façon à déclencher chez auditeurs l'action envisagée (action positive ou abstention), ou du moins à créer, chez eux, une disposition à l'action, qui se manifesta au moment opportun. »³

هذا هو التعريف الصريح الذي اقترحاه، والمؤسس من أجل المتلقي بالاعتماد على اللغة/الخطاب* المعقلن بطريقة المنطق اللأصوري. يقول (شايم) ناعتا مشروع/كتابه بأنه مشروع يهتم بالأدوات الخطابية التي ترمي إلى كسب ميل النفوس بالتقنية التي تستعمل اللغة⁴. فيبثني صولة على هذا الأمر: "ويتمثل فضل كتاب بيرلمان وتيتيكا، حسب رأينا، في أنّه

¹ - عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج" الخطابية الجديدة لبيرلمان وتيتيكا ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص298.

² - Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p,5.

³ - Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p,59.

*- يقصد به بيرلمان اللغة/اللّوغوس/ الكلام نفسه المؤسس على خيار العقل.

⁴ - شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا، مقدمة كتاب مصنّف في الحجاج، تر: رشيد الراضي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج05، ص 67.

Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca Traité de l'argumentation,p10,

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

حاول بصراحة وبجرأة في أحيان كثيرة أن يخلّص الحجاج من ريقه المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة مقرباً إياه من مجالات استخدام اللغة مثل: مجال العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون¹ والتي لها منطقتها الخاص بها (المنطق الطبيعي).

3-المصطلحات التقنية لشايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا:

قدّم الباحثان مجموعة من المصطلحات كالوقائع والحقائق والمواضع... والتي تعبّر تقنياً عن مشروعهما. فما هو حالها في مشروعهما؟

نحاول حالياً أن نراقب جهازه أو بناءه الحجاجي من خلال معجمه أو رؤيته للظاهرة الحجاجية:²

- **المقدمات:** وهي التي تؤسّس نقاط انطلاق الحجاج وأهمّها:

- **الوقائع:** "بما أنّها ثابتة لا شكّ فيها، فإنّها تصلح لتأسيس نقطة البداية "فهي تمثّل ما هو سلوك مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس... والتّسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلّا تجاوباً منه مع ما يفرض على جميع الخلق إذ الواقع يقتضي إجماعاً كونياً"³.

- **الحقائق:** " فيعمد إليها الخطيب - والمحاجج بصفة عامة - للرّبط بينها وبين الوقائع ليمنح حجاجه بداية قوية نافذة، فالحقائق تقوم على فكرة الربط بين الوقائع، وبذلك فهي تتأسّس في الغالب على مفاهيم فلسفية ودينية وعلمية،"¹

¹- عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج" الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص348. يراعي المصنّف في جوانب كثيرة منه العلاقات التي تربط الحجاج بالمنطق في حين ظلّ كتاب (تولمين) مائلاً إلى الصرامة المنطقية.

²- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج عند بيرلمان، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص193. 194. وينظر: التفاصيل في كتابه، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر-، ط1. لبنان: 2008، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ص111 وما بعدها.

³- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج عند بيرلمان، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص193.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

- الافتراضات: "وإن كانت مسلماً بها من قبل المعنيين سلفاً، إلا أنّ التسليم القويّ بها في إطار الخطاب لا يكون كذلك مالم تشفع بأدلة وأنساق برهانية تدعمها. ثم إنّ الافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيرة تبعا للوسط والمقام والمتكلم والسامعين، لأنّها تقاس بالعادي والعادي مفهوم مجرد يختلف باختلاف القدرات والإمكانات الفردية والجماعية"²

- القيم: فهي عنصر أساسي من عناصر الحجاج، وإلى البحث عنها يرجع (بيرلمان) أصلا في اهتمامه بنظرية الحجاج، وللقيم دور بارز في مجالات العلوم الإنسانية، إذ عليها يعتمد في تغيير مواقف السامعين ودفعهم إلى الفعل المطلوب. والقيم نوعان. مجردة كالعدل والشجاعة ومحسوسة كالوطن وأماكن العبادة، وتخضع هذه القيم لتراتبية يجب احترامها والوعي بها من لدن المحاجج، فاحترامها ووعيتها عاملان فاعلان في تحقيق الخطاب"³.

- المواضع: "فتعتبر مقدّمات أعمّ وأشمل من كل العناصر السابقة، وقد اعتبرت في البلاغة اليونانية القديمة مخازن للحجج على كل من يروم أن يقتبس منها عماد برهنته"⁴.

- مواضع الكم: نستطيع بواسطتها أن نثبت أنّ أمرا أفضل من آخر انطلاقا من معايير كمية كقولنا الكل أفضل من الجزء وما يترتب عن هذه القاعدة من نتائج في أحكامنا اليومية في شتى المجالات"⁵.

- مواضع الكيف: فتكمن خاصيتها الحجاجية في وحدتها الشكلية في مواجهة الجمع مثل: موضع الحقّ في ذاته الذي يباين كل ما عداه من باطل. وكل "هذه المقدمات، فيما يرى (بيرلمان) تتفرّع إلى ضربين: أحدهما مداره على الواقع وهو الخاصّ بالوقائع والحقائق والافتراضات، والآخر مداره على المفضّل وهو المتعلّق بالقيم ومراتبها وبالمواضع...

¹ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج عند بيرلمان، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص193.

² - المرجع نفسه، ص193.

³ - المرجع نفسه، ص193، 194.

⁴ - المرجع نفسه، ص 194.

⁵ - المرجع نفسه، ص194.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

وللحجاج في هذه المستويات مظاهر متعدّدة، منها ما يولّده المقام ومنها ما يهتدي إليه المحاجج بحذقه ووعيه بطاقات مخاطبيّه المعرفيّة وظروف القول عامة ... فهذه المقدمات والفرضيات التي يؤسّس عليها الحجاج ليست ذات فاعلية في ذاتها بمعزل عن كفاءة الخطيب ووعيه. واللذين بهما تكتسب عناصر الحجاج شحنتها الحجاجية¹.

وعلى الخطيب إزاء ذلك أن يتميّز بالتقنيّة من أجل الظفر بالمتلقي وقد اختزل (برلمان وتيتيكا) التقنيّات في طريقتين هما الفصل والوصل: "أما الوصل فيقوم على ضمّ الفكرة إلى الفكرة وإن تباينت، وجعل الواحدة بسبب من الأخرى للوصول إلى نتيجة واحدة. من ذلك على سبيل المثال مايسميه (بيرلمان) الوصل المؤسّس على بنية الواقع (مثل: الحجج القائمة على الوصل السببي ومثل: حجّة السلطة) وما يسميه الوصل المؤسّس للواقع مثل: الاستعارة والتمثيل).

إنّ الحجج القائمة على الوصل يربط فيها بين أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وجعلها مقبولة ومسلّمًا بها، وذلك بجعل الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها بحيث لا يمكن التسليم بأحدهما دون أن يسلم الآخر. ومن هنا جاء وصفها بأنّها حجج اتصاليّة أو قائمة على الوصل.

إنّ طرائق الوصل في الحجاج تعتمد إلى العناصر المتباينة فتدمج أحدهما في الآخر وتجعل أحدهما بديلا من الآخر . وأمّا طرائق الفصل فبالعكس إذ يعتمد فيها إلى ما هو كل. فيحدث فيه فصل بين حقيقته وظاهره كأن نقول هذا الرجل ليس رجلا أو ما هكذا يكون

¹ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج عند بيرلمان، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 195.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

العدل (في الحديث عن وضع ما)¹. فالوصل هو تقريب العناصر المتباعدة من بعضها والفصل هو إحداث التباين بين العناصر المتقاربة.

رابعاً: ميشال مايير والحجاج:

يعلق الباحث (عبد الله صولة) على روافد نظرية الحجاج عند (مايير) فيقول: "مفهوم الحجاج عند مايير استخلص بعضه من مفاهيم المدرسة الفرنسية (بمن فيها من أعلام بلجيكا مثل: بيرلمان) فهو مسبق إليه على وجه التبسيط والتعليم. أمّا بعضه الآخر فيكاد يكون من صنعه وكذّ ذهنه"²

وسياقياً استفاد (مايير) من (بيرلمان) و(دكرو) وأعلام المنطق اللانسقي ونظرياتهم وتموقع في أثرهم؛ فكلّ الفلاسفة ونجوم العلم الذين يرومون إحداث منعرج يعودون إلى دراسة وتحليل تاريخ الظاهرة التي ينعرجون عنها.

وعليه أودّ أن نتفق بأنّ (مايير) فلسف الظاهرة الحجاجية لغويًا وفق التحديدات المنطقية اللانسقية، فهو يثني على هذا التاريخ المنعرج عن الصورية ويستمرّ مبدعاً. ولذلك نجد (مايير) يتابع ذكر الأعلام الذين ناضلوا من أجل هذا التحول وفي مسحه هذا نفهم مدى إرادة تموقعه ضمن هذا التاريخ قارئاً مراجعاً ومبدعاً، هذا التاريخ يمتدّ من (فيتغنشتاين) مروراً بغرايس وأوستين وسورل وستراوسن وبيرلمان وصولاً إلى دكرو الذي نعت الخطاب كلّه بأنّه إشهاري...³. فاللغة هي من حيث الطبيعة إشهاري.

¹ - عبد الله صولة ، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته ص35. وينظر، عبد الله صولة في، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، وبيرلمان وتيتيكاه، في مصنف في الحجاج القسم الثاني، الفصول الثلاثة الأولى بالنسبة للوصل والفصل الرابع بالنسبة للفصل.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص37.

³ - ينظر، تقديم محمد أسيداه، لترجمته، ميشيل مايير، اللغة والمنطق والحجاج، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته ج5، ص14، 15.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

ومن بين نجوم المنطقيات اللانسقية الذين يسعون إلى مركزية اللغة، وبناء منطق على أساسها، يمسخ (مايير برلمان وذكرو) ويربطهما أو يشابكهما مع مفهومه للحجاج أو يوضح مدى تشابكهما معه وفي الآن ذاته يعلن زاويته الجديدة الإبداعية، وقد أحسن الربط عندما ارتبط بهما مفهوميًا وبالضبط بتحليله نتائج مفهوميهما يقول: "في مقابل هذا التقليد الأنكلوساكسوني الذي يثابر في أثر (فيتغانشتين)، في تخليص فكرة اللغة من هوسها التركيبي، لوحظ نشوء مدرسة فرنسية خالصة - أضم إليها البلجكيين أيضا - تهتمّ بالعلاقات بين المظهر والمضمّر؛ علاقات ستسمّى تداوليات أو دلاليات مندمجة أو حجاجا. لكن الحدّ الأخير يعدّ أكثر ملاءمة، لأنّه يغطي مقولات ظهرت وتمكّنت في إشكال مخالف، إنّ الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين القول المظهر والقول المضمّر. ويبدو لي هذا التعريف مناسباً أكثر من أي تعريف آخر يمكن تقديمه. ويخصّص بيرلمان الحجاج باعتباره ما: "يستغرق كلّ حقل الخطاب الذي يهدف إلى الإلزام والإقناع أيا ما تكون السامعة التي يتوجه إليها، وأيا ما يكون الموضوع الذي يتناوله". إنّّه لو واضح أنّ الإلزام والإقناع ليسا إلاّ نتيجتين لعلاقة المظهر والمضمّر، تلك العلاقة التي يحددها بيرلمان تبعا لعلاقتها بالآخرين، وبحسب هذا الضمّ، فإنّ البلاغة تصبح صيغة من صيغ الحجاج، ويصبح دور المكوّن البلاغي كما عند ذكرو كامنا في البحث داخل المقام عن العناصر القابلة لملء الخانات الفارغة المسجّلة في دلالة الجملة، وفي القيام بذلك حسب التعليمات القابلة للقراءة في تلك الدلالة... وهكذا يكون التأويل البلاغي هو حساب قيمة الدالة، بعد تعرف قيمة الموضوع. والواقع، أنّ هذه العلاقة على النحو الذي يصفها به ذكرو ليست علاقة بلاغية، لأنّه لا وجود لأية إشارة تخصّص إرادة إقناع الغير. زد على ذلك أنّ الأمر يتعلّق بوجود مسبق لأطروحة خاصة في الحجاج تقضي بوجود مؤشّر حجاجي في المعنى الحرفي للجملة يستدعي ما يوجد مضمرا في السّياق للإيحاء بنتيجة مقنعة أو غير مقنعة¹. ويستطرد (مايير) شارحا هذا النّص بنص

¹ - ميشيل مايير، اللغة والمنطق والحجاج، تر: محمد أسيداه، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 24، 25.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

أكثر خصوبة ويتسق مع سابقه، فيوضح فيه أنّ غايات (بيرلمان) و(دكرو) هو ما تتميز به نظريته: "ها نحن الآن إزاء وجهة نظر مغايرة في العلاقات بين ما هو مضر وما هو مظهر، متسقة مع تلك التي عرضت في الفقرة السابقة، إن لم نقل متكاملة معها، وهي بدورها غاية في الثراء والخصوبة ... لقد وقفنا عند بيرلمان على تصور للنتيجة باعتبارها إذعانا (المضر) لدعوى استنادا إلى قيم السامعة، ثم يتمّ بسطها على مستوى الحجة (المظهر). ويتضمّن المظهر عند (أنسكومبر) و(دكرو) على المستوى اللغوي نتيجة تقبلها السامعة أو لا تقبلها. توحى بها المتغيّرات الحجاجية المحايثة للجملة، فالعلاقة بين المظهر والمضر هي التي تؤسّس معقوليّة المظهر، والقيمة الحجاجية ليست شيئا يضاف إلى المظهر ولكنها على العكس من ذلك، ما لأجله يقال المظهر على النحو الذي يقال به. وأمّا المضر فليس مسألة مقتضيات فحسب، يأخذها المتكلم في الحسبان؛ بل إنّه ما يوحي به المظهر أيضا أو حتى نتكلم مثل غرايس ما يستلزمه: أي ما يفرض الخطاب استنتاجه من واقع ما يقوله ومن السياق الذي أنجز فيه"¹، هذا الذي نتحدّث عنه هو ما يتقاسمه مع أعلام الحجاج خصوصا (بيرلمان ودكرو). أمّا الشرح الذي يكاد (مايبر) يختصّ به في صياغته هو ربط اللّغة بالاستشكال أي بالسؤال والجواب. بل جعل اللّغة وحدة استشكاليّة. هذا هو التوجيه الجديد الذي هو من إبداعه والذي يصوغه في قانون يقول: "يمكن أن نصوغ القانون العام الآتي: بما أنّ الوحدة الأساسية للّغة هي الزوج سؤال/ جواب فإنّ استعمال اللّغة يحدّد دائما تبعا لها"² ويحدث عن هذا التوجيه الجديد أربع نتائج³:

- كل استعمال للّغة يمثل جوابا عن مشكل، حتّى عندما يتعلّق الأمر بالتعبير عنه؛
- غاية اللّغة لا تتمثّل في التعبير عن المشاكل بل في التعبير عن حلولها؛
- تقييم اللّغة حاجزا بين المضر (الذي يكون عديم الصورة) والمظهر الذي له (صورة)؛

¹ - ميشيل مايبر ، اللّغة والمنطق والحجاج، تر: محمد أسيداه، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 28، 29.

² - المرجع نفسه، ص 82.

³ - المرجع نفسه، ص 32.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

➤ عندما نجيب عن مشكل ما بالتعبير عنه، فإنّ هذا الحلّ الجزئي الذي يستدعي على نحو صريح حلّاً مكّماً يرسم صورياً باعتباره حلّاً جزئياً.

ولذلك فمايبير يبحث أو يفاوض المسافة الموجودة بين السؤال والجواب، يقول بشأن المسألة: "إنّ المسألة هي أيضاً الجواب وإذا ما ألقينا السؤال فإننا نلغي معه الجواب وإنّما المسألة تكمن في ذلك الاختلاف بين ممارسة السؤال وامتدادات السؤال الحمّالة للأجوبة المتعدّدة"¹

هذا التّوجيه هو الذي تتميّز به نظرية (مايبير) عن باقي النظريات. وهو موقعة الحجاج في نظرية المسألة العامة. وهذا التّموقع هو الذي يقّدّم نتائج جديدة بالنّظر إلى الموقع الجديد.

حلّ إذن مايبير اللّغة في إطار نظرية المسألة حتّى وصفها في قانون عامّ بأنّها وحدة استشكاليّة، ويكمن الحجاج بالضبط في مفاوضة المسافة بين السؤال والجواب أو بين المظهر والمضمّر.

ويمكن السيطرة على معجمه الحجاجي في ثلاثة مصطلحات مجموعة في القول التالي: "إنّ السؤال هو العائق أو الحرج أو ضرورة الاختيار، أي أنّه دعوة إلى اتّخاذ قرار، والبتّ في السؤال يتمّ بالإجابة عنه، وهذا يستلزم أنّه لا وجود لسؤال دون جواب وأنّ الضرورة الداعيّة إلى السؤال التي يمثلها هذا الجواب تحدّد اضطراراً سيرورة شاملة يحيل فيها أحدهما على الآخر. إنّ السؤال بما هو سيرورة للمساءلة، هو ديناميّة مسار يتجه نحو الحل"². فالسؤال هو عنصر دلالي موجود من أجل الجواب والجواب عنصر دلالي موجود من أجل السؤال.

إنّ الذي يسعى إلى إحداث التّوافق بين النظريات السابقة- نشير إلى القارئ الذي يتابع متابعة ضمنيّة النظريات- من خلال نتائجها وبغض النّظر عن مراكز انطلاقها ومرجعياتها يجد مواطن التّداخل؛ ومن بين مواطن التّداخل أنّ النظريات تنهل من التشكل المنطقي

¹ - محمد القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسألة لميشيل ميار، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص390.

² - ميشيل مايبير، اللّغة والمنطق والحجاج، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص33/34.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

اللانسقي، وترتبط بخطابة وجدل أرسطو قديما، وتحاول استخدام اللغة جميعا في قالب حجاجي وأنها كلها نظرية مبنية لأجل المتلقي، ومتمركزة حول اللوغوس، فمثلا: (مايبر) يشير إلى مواطن الاشتراك بصراحة، ولا يمكننا أن نلوم (دكرو) - نظرا لنسقيته المحددة - على إشارته القليلة لـ (برلمان)، إلا أن الاشتراك ضروري بينهما لأنهما يحلان نفس الموضوع ولكن كل بطريقته، ووجود الاختلاف العلمي الأنيق بين النظريات هو الأمر الايجابي - ولولا هذا الاختلاف العلمي لما ازدهرت بحوث الحجاج ولظلت تتحيز لنفسها ومن هنا صيغ التعريف العام للحجاج والذي حاول (كريستيان بلونتان) أن يقبض به على جميع النظريات يقول: "هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"¹، فباللغة/اللوغوس/الخطاب جمع الحجاج في الاستخدام² وأود أن تبقى البحوث الحجاجية ضمن نظريات متفرقة من المبادئ المنهجية مجتمعة من حيث النتائج المتكاملة، ونقصد بالنتائج المتكاملة تلك النتائج التي تسد الثغرات المنظرية أو الزاوية التي يتناول بها الحجاج، وعليه فالمتأمل غير العميق يجد صعوبة هذا التشنت الايجابي.

خامسا: أوزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر والحجاج:

1- التاريخ والطبيعة المنهجية العلمية: عندما تذكر التداولية المندمجة مخصصة في الحجاجيات اللسانية سرعان ما يرتبط اسمها بنجمين لسانيين هما: (أوزوالد دكرو) وصاحبه (جون كلود أنسكومبر): إذ هما من افترضا هذا المشروع وبرهنا على نتائجه. ويمكن القول أنهما أسسا مدرسة فرنسية خالصة لهذا التوجه؛ وكما أسلفنا فإن طبيعة العقل الغربي هي

¹ - Christian Plantan ، Essais sur l'argumentation p.13.

نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج" الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 350.

² - هاته تأملاتي الضمنية للتوافق الحجاجي.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

طبيعة تؤمن بالنسبية في تقييم النتائج، وما إن تكتشف زاوية للدراسة ونتيجة حتى تبحث عن بديل أفضل منها، لعلني أصف هذا بسياسة البدائل في توفير النضج العلمي. وقد وصف رشيد الراضي التداولية المندمجة في سياقها التاريخي يقول: "ينحدر توجه الحجاجيات اللسانية من أصلين اثنين، أحدهما تمثله النزعة التداولية في اللسانيات، والتي جاءت معبرة عن إخفاق المقاربات الصورية للظاهرة اللغوية، والثاني تمثله أعمال الخطابة الجديدة مع رائديها بيرلمان وتيتيكا، والتي بدورها قامت نتيجة إخفاق المحاولات الصورية لنمذجة الفاعلية التبادلية"¹، وقد عمق هاته النظرة حينما استمر يصف تجاوزها أو إكمالها التي وقّرت لها إبداعيتها ونجوميتها في الحقل موضوع الوصف يقول: "غير أنّ هذا الانتساب لا يعني الوفاء الحرفي لأطروحات هاته المدارس، فقد مثّلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من هذه الأطروحات، لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه ومتميز بخطة عمله، درس ينطوي على نضج نظري كبير يوشك أن يخرج من دائرة النظريات الفلسفية في اللغة ليلحقه بحظيرة الممارسة العلمية اللسانية المضبوطة"²، وقد تمثّلت حسب (الراضي) مجاوزة الحجاجيات اللسانية للتوجه التداولي الكلاسيكي (والذي يوصف عادة بالمبعثر الوقائع) بأن لمّت شتاته. وذلك حينما أقبلت على خطوة جريئة مغامرة، وفق برنامج علمي، طرح هاته الخطوة هو إدماج الوقائع التداولية في قلب الدرس الدلالي، والحال تلك جاء مشروع الحجاجيات اللسانية: "مسكونا بهاجس التدقيق والتنسيق لهذا النوع من الدراسة، فكان التدقيق في تعيين موضوع الاشتغال، الذي سيغدو محصورا في تلك المعطيات التداولية التي تنطبع في بنية اللغة، وبالتالي تسمح بمعالجتها معالجة لسانية ملموسة. بل أكثر من ذلك سيصرف هذا التوجه عنايته كلّها إلى مظاهر أكثر تحديدا ضمن هذه المعطيات التداولية، وهي التي تتصل بالفاعلية الحجاجية لا غير، وكان التنسيق بتعيين

¹ - رشيد الراضي، مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر ودكرو، مجلة عالم الفكر، الكويت:

أكتوبر/ديسمبر 2011، ع2، مج40، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص193.

² - المرجع نفسه، ص 193.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

الحدود النظرية لهذا التوجه، والخطة الدقيقة التي سيسير على ضوءها مشروع التداولية المدمجة في صورتها المدققة والمنسقة، والخطوات المضبوطة، التي ستقود إلى تحويل التداولية من مجرد تأملات فلسفية عامة إلى الاندراج في سلك الأبحاث العلمية الناضجة¹. لقد أكد (بيرلمان وتيتيكا) أنّ الوقائع تحضر في سياق التفاعل الخطابى الحجاجى متلونة بسيرة التذاوت² الذي يقوم بين المتكلم والمخاطب، فهناك تذاوت يطل الوقائع فيشحنها ويغلفها حجاجيا. لذا فمجازة اللسانيات - وإن ضمنا ودائما حسب الراضى - في تعميق فرضياتها ونتائجها، التي أثبتت التداخل بين الوقائع والذوات المتفاعلة حجاجيا.

ف نجد بأنّ هذا الأمر لم يف؛ بطموح (دكرو وأنسكومبر) فيما يخص طبيعة العلاقة بين الوقائع والخطاب في سيرة التفاعل الحجاجى لأتّهما سيعلنان - على الأقل في مرحلة من تطوّر هذه النظرية - أنّ الأمر لا يقف عند حدود علاقة كيفما كانت درجة عمقها - بين الوقائع من جهة والخطاب بما هو سيرة تذاوتية من جهة ثانية، فالبحت الفعلى في الحجاج بصورته التي تتعكس وتتطبع في الصياغة اللسانية للوقائع يكشف عن حقيقة أعمق من ذلك بكثير، وهي أنّ التمايز بين هذه الوقائع وصياغاتها اللسانية غير موجود أصلا، لأنّ اللغة في كليتها إن هي إلاّ ترجمة للوقائع في سياق حركية حجاجية متصلة، أو بعبارة أخرى تحويل حجاجى للوقائع، بحيث يكون كل استعمال للغة هو في حدّ ذاته حجاجا بغضّ النظر عن السياق الخارجى لهذا الاستعمال وأغراضه المخصوصة مادام الحجاج مؤصلا في الأنسجة القاعدية للغة³، ويمكن صياغة هذا القول بعبارة أخرى نقول فيها؛ بأنّ دكرو وزميله

¹ - رشيد الراضى، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر ودكرو، مجلة عالم الفكر، 2011، ع2 مج40، ص194.

² - التذاوت ، هي الترجمة العربية الرائجة للمصطلح الفرنسى (l'intersubjectivité) الذي يفيد التفاعل بين الذوات". رشيد الراضى، المظاهر اللغوية للحجاج، ط1. المغرب: 2014، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، بيروت، لبنان ص11.

³ - رشيد الراضى، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر ودكرو، مجلة عالم الفكر، 2011، ع2 مج40، ص 194، 195.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

جعلاً اللّغة وحدة حجاجية. والمميّز في هاته النظرية أنّها نظرية ابيستمولوجية بامتياز فهي بين فترة وأخرى تلاحظ مبادئها ونتائجها وفروضها فتكمل فتتقد فتصحح. الأمر الذي أدى بها إلى تقسيم تاريخها إلى خمس مراحل:¹

❖ **المرحلة الأولى:** وهي التي تميّزت بالنظر إلى اللّغة والحجاج بوصفهما منفصلين بصورة تامّة، وفي هذه المرحلة لا نكاد نجد أدنى فرق بين هذا التوجّه والتقليد الذي كان سائداً في درس الخطابة فيما يخصّ العلاقة بين اللّغة والحجاج.

❖ **المرحلة الثانية:** وهي التي حصل فيها نوع من التفاعل مع الفلسفة التحليلية، وفي هذه المرحلة بدأ التقدّم خطوات إلى الأمام في جسر الهوة بين الحجاج واللّغة، إذ رغم بقاء القول باستقلال الحجاج عن البنيات اللغوية، إلّا أنّنا نجد بداية للحديث عن انعكاس الحجاج في اللّغة عبر بعض الخصائص الدلالية الأساسية التي تميّز الملفوظات، وقد تجلّى ذلك على وجه الخصوص في التميّيز بين المحتوى الإخباري العباري (posé) والمحتوى الاقتضائي"

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 13، 12. تضعنا نظرية (دكرو) بين اتجاهين، منهجية سوسيرية ممثلة في البنيوية، ومكوّن أو رهان يدعم به النظرية هو المكوّن التداولي، وأطراف محيطية به مثل (بيرلمان) يستلهم منهم ولو ضمناً. إلّا أنّ توجّهه هو لساني تداولي يقع بين مفاوضة اللسانيات البنيوية والتداوليات. كما نشير إلى عدم التفرّق بين التخصصات خصوصاً اللسانية، فالازدهارات العلمية اللسانية صارت بفعل حوار التخصصات عن طريق الاقتراضات والتشابكات ف،"التفريقات التقليدية بين الاختصاصات العلمية في العلم والإنسانية صارت لاغية، فأصبحنا نقف على دراسات تسوي بين علمين عدّاً سابقاً منفصلين مختلفين، نحو ما فعلته الباحثة (أنا جوبير) في قراءتها بعض آثار (جون جاك روسو) قراءة أسلوبية تداولية، ولعلّها في ذلك إنّما تشايح مذهب مواطنتها (كربرات أوركيني) التي عرفت البلاغة بأنّها،" قبل كلّ شيء هي نظرية الوجوه أو نظرية طرق تحريف الكلام وتحويله، ولكنّها أيضاً في نطاق الإرث الأرسطي (الذي تابعه (بيرلمان وتيتيكا) في مؤلفهما مصنّف في الحجاج البلاغة الجديدة" هي دراسة فنّ الإقناع ودراسة الوسائل الناجعة للتعبير، إنّ الصوّر والوجوه البيانية تعلّل تداولياً"، صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1. سوريا: 2008، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ص10، 11. ونجد عند (دكرو) ترابطاً كبيراً بين المكوّن اللغوي والمكوّن البلاغي في نظرية الشكّل المقلاع. ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللّغة، ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص354، 355، 356.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

❖ **المرحلة الثالثة:** وهي المرحلة التي يمثلها صدور كتاب (الحجاج داخل اللغة) سنة (1983). حيث سيكتشف (أنسكومبر ودكرو) في هذه المرحلة - وهو ما يدل عليه عنوان الكتاب - حقيقة خطابية بالغة الأهمية، وهي وجود عوامل حجاجية في بنية الجمل ذاتها، ومن ثم سيتم التأكيد على أن اللغة مشبعة بالقيم الحجاجية التي تحضر جنباً إلى جنب في دلالة الجمل مع القيم الخبرية (descriptive).

❖ **المرحلة الرابعة:** وهي المرحلة التي أصبحت فيها الدراسة تميل إلى موقف جذري لا يرى في الجمل اللغوية برمتها إلا مظاهر لحركة حجاجية شاملة، وقد تحقق هذا الأمر بالعودة إلى مفهوم الموضع ذي الجذور الأرسطية الذي يفسر كيف يستوطن الحجاج في الطبقات القاعدية للغة.

❖ **المرحلة الخامسة:** وهي المرحلة الزاهنة التي لازال يشتغل في إطارها هذا التوجه وتتميز بالمراجعة الشاملة التي انطلقت من المساءلة النقدية لمفهوم الموضع في ضوء المنطلقات الأساسية لهذا التوجه والمتمثلة تحديداً في مبادئ المقاربة البنيوية ذات الأصل السوسيري... لتنتهي إلى إعادة النظر في النواة الصلبة للنظرية الحجاجية اللسانية، أي ما يتعلق بفكرة وجود الحجاج داخل اللغة.

وبالنسبة لنظرية (دكرو وأنسكومبر) منهجياً من خلال موقعها بين النظريات اللسانية؛ نستطيع القول بأن (دكرو وأنسكومبر) فاوضا المسافة الموجودة بين البرنامج السوسيري البنيوي اللساني الخالص والبرنامج التداولي الذي يصعب التحكم فيه نسقياً، فأخرج من النسق والانسق صيغة تحليلية جديدة اسمها الحجاجيات اللسانية ذات البعد النسقي. فالباحثان حافظا على المنهجية السوسيرية وطوّراها بالمضامين التداولية. أو تناولا المضامين التداولية بالمنهجية السوسيرية.

وعلى وجه العموم نكون لسانياً وتداولياً بين النظام واستعمال النظام، إذ: "تعرف التداولية بأنها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديداً اللسانيات، وإذا

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

تحدثنا عن استعمال اللّغة فلأنّ هذا الاستعمال ليس محايدا ، من حيث تأثيراته، في عملية التّواصل ولا في النظام اللّغوي في حدّ ذاته... وليس من الساذج أن نقول أخيرا إنّ استعمال الأشكال اللّغوية ينتج عنه بالمقابل إدراج للاستعمال في النّظام نفسه¹. وبالنسبة لبحثنا كما أشرنا يهّمنا من بين النظريات التّداولية بالضبط، التّداولية المدمجة والتي انتشرت كمصطلح في نطاق التّحليل التّداولية المنجزة حول أعمال (ج ك أنسكومبر وأوزوالد دكرو)².

فالتداولية المدمجة في الدلالة: "هي بحث في الجوانب التّداولية المسجلة في بنية اللّغة ودلالة الجملة لاستخراج الأشكال اللّغوية ذات القيمة التّداولية لا القيمة الوصفية التمثيلية أي ما يعبر عن حالة الأشياء في الكون، لضبط شروط استعمالها إذن: فالموقف المبدئي للتّداولية المدمجة هو أنّ اللّغة تحقّق أعمالا لغوية وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون"³ وظاهرة الأعمال اللّغوية كما هو معروف لها تاريخ إذ؛ هو مفهوم مرتبط بظهور التّداولية ذاته، وعليه: "ليس تاريخ التّداولية بمعدوم، ولكنّه غير ممتدّ في الزمان إلّا قليلا (ثلاثون عاما). والمفارقة، أنّ التّداولية ليست صناعة ولدت من برنامج بحث صيغ صياغة مجردة، كما هو حال العلامة مثلا التي اتّبع على الأقل في تقاليد القارة الأوروبيّة، البرنامج الذي أطلقه سوسير في بداية

¹ - جاك موشر وأن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية ، تر: مجموعة من الباحثين بإشراف عزالدين المجذوب، التداولية واللّسانيات والعرفان، تر، شكري المبخوت ، المركز الوطني للترجمة، تونس، دار سيناترا، ص20.

² - جاك موشر وأن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص35.

ينظر أيضا: جاك موشر وأن روبول، التداولية اليوم علم جديد للتواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1. لبنان: 2003، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت.

مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي-، ط1. لبنان: 2005، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت.

³ - شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللّغة، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص354.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

القرن، ويمكن أن نحدّد منطلق التداولية في أعمال فلاسفة اللغة*، وبالخصوص في سلسلتى محاضرات قدمت بجامعة هارفارد (محاضرات وليم جيمس) ألقاها سنة 1955 (جون أوستين) ...، فقد أدخل (أوستين) في سلسلة محاضراته المخصّصة للفلسفة، مفهوما سيصبح محوريا في التداولية، وهو مفهوم العمل اللغوي، مدافعا بذلك عن الفكرة القائلة بأنّ اللغة في التواصل ليس لها أساسا وظيفة وصفية بل لها وظيفة عملية. فإن نستعمل اللغة فإننا لا نصف العالم بل نحقق أعمالا هي الأعمال اللغوية. فكان وجود ظواهر لغوية خاصة بالدلالة على العمل اللغوي أحد برامج البحث الأولى التي اعتمدها اللسانيون لتأسيس التداولية¹. فالتداولية والأمر كذلك غير معدومة التاريخ.

وقد مثّلت الأعمال اللغوية التي انتهت إليها نظرية أفعال اللغة الأنكلوساكسونية: "منطلق أعمال (دكرو وأنسكومبر) في بناء النظرية الحجاجية اللسانية، وسيشكل مفهوم الفعل اللغوي في المراحل الأولى من تطوّر هذه النظرية، مرتكزا للحديث عن الفاعلية التلّفظية ومن ضمنها الحجاج ... ولكي يتبيّن بجلاء كيف تمّ وصل الحجاجيات اللسانية بنظرية الأفعال اللغوية نذكر بشكل مركز ذلك التمييز الذي أقامه (أوستين) بين مظاهر ثلاثة يتضمّنها الفعل اللغوي ... فقد اعتبر (دكرو وأنسكومبر) أنّ الملفوظ عموما (والملفوظ الحجاجي على وجه الخصوص) ما هو إلاّ إنجاز لمظهر مخصوص من هذه المظاهر الثلاثة هو الفعل

*- يمكن مراجعة فلاسفة اللغة العادية في: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، ط1. لبنان: 1993، دار التنوير، ص13 وما بعدها. وينظر أيضا:
جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام - ، تر: عبد القادر قنيني، ط2، المغرب: 2008، إفريقيا الشرق.

أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري - ط1، المغرب: 1988، منشورات عكاظ.
العياشي أدراي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني- من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها - ط1، الرباط: 2011، دار الأمان.

حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات (علم استعمال اللغة) ط1. الأردن: 2011، عالم الكتب الحديث.

¹ - جاك موشر وأن رويول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 22، 21.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

التكلمي من حيث هو إنجاز قولِي مصحوب بقصدية معينة¹ وتعليقا على هذا كله يمكن القول بأن الفعل الكلامي/التأثيري مرّ إلى الحجاج، إذ كما هو معلوم منذ قليل، هو فعل مرتبط بمقاصد المتكلم، وهاته المقصدية تنعياً لإحداث القبول، فتزداد تأثيريته حينها بالتموقع في الأدوار الحجاجية التي تعمل على إحداث القبول؛ وعليه: "لفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب، ومن أهمها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية التي أرادها (أوستين وسورل) له، ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتي التأثير والإقناع في بعض مقامات التخاطب. وعليه يمكننا الحديث عن الحجاج لاتصاله بوظائف الفعل الكلامي عموماً وبقيمتي النجاح والفشل على الأخص والتي قيّد (أوستين) بروزهما بالفعل التأثيري تحديداً".² ومن هذا وبالنسبة للفعل التأثيري؛ فإنّ (أوستين) قد جمع هذه بصفة عامة فتزك مجاله مفتوحاً لشكّه، وكأنّه يوحي بالضبط إلى أنّ فكرة التأثير خصبة ينبغي توسيعها بالتأسيس لبحوث جديدة فيها يقول: "وهو بالضبط مصطلحنا لازم فعل الكلام، ولا نتعرض إلى تعريف هذه الفكرة وتحديدها تحديداً دقيقاً، وإن كانت بطبيعة الحال تحتاج إلى ذلك"³. وعليه فالدرس الحجاجي اتخذ فعل التأثير منطلقاً له، إذ أثره غير خاف في المنطلقات الحجاجية ذات التوجه اللساني (دكرو مثلاً)⁴. إذ: "الألفاظ والأقوال والعبارات التي نستعملها وننتجها في حياتنا اليومية لها طابع حجاجي واضح وقوة حجاجية بارزة، نسعى من خلالها إلى التأثير في المتلقي ودفعه إلى تبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معين، أو اتخاذ موقف ما من قضية من القضايا"⁵ فالقوة الحجاجية وجدت من القوة الإنجازية عن طريق التأثير في

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص28.

² - مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب، التداوليات علم استعمال اللغة ص59.

³ - جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام-، ص131.

⁴ - شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص352.

⁵ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ط1. المغرب: 2007، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، ص133.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

المتلقي، فنظرية (دكرو) نجدتها تنطلق من فكرة أننا نتكلم عامة بقصد التأثير وهي فكرة مستلهمة من أعمال (أوستين وسورل) وطوّرت في إطار الدرس الحجاجي¹ وعليه إذا كان فلاسفة مدرسة أوكسفورد اشتهروا بالقوة الإنجازية فإنّ (دكرو) والحجاجيين اشتهروا بالقوة الحجاجية للأقوال².

2- موقع الحجاج في التداولية المدمجة: صحيح أنّ نظرية (دكرو) أدمجت المكوّن التداولي في الوصف الدلالي، إلاّ أنّها لا تجعل جميع الوقائع التداولية موضوع دراستها، بل تركز: "تركيزاً متتامياً على تلك الوقائع التي لها ارتباط باستعمال مخصوص للغة هو الاستعمال الحجاجي"³ فالموضوع الحقيقي هو دراسة القوة الحجاجية الموجودة كأصل في بنية اللغة والتي لها ارتباط باليات التوجيه الموجودة أيضاً في بنية اللغة⁴ وهاته النقطة هي التميّز الواضح عن باقي نظريات الحجاج. وهذا التميّز لم يتأتّ دفعة واحدة بل في تسلسل تاريخي؛ عدّلت فيه النزعة البنيوية المغفلة للعوامل التداولية الخارجية، والتداولية الكلاسيكية والخطابة الجديدة المعرضين عن المظاهر البنيوية للوقائع التداولية خصوصاً المرتبطة بالحجاج. فكان الحسم عسيرا عندما حصل توطين الحجاج في البنية الداخلية للغة عن طريق مصنّف "الحجاج داخل اللغة"⁵ وعليه ماهي حدود العلاقة بين حجاجيات (دكرو) ومنهجية (دي سوسير)؟

¹ - المرجع نفسه، ص 08.

² - المرجع نفسه ص 134.

³ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 41.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 42.

⁵ - المرجع نفسه ، ص 44.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

نقول إنّه إذا كانت اللّغة تدرس في ذاتها ولذاتها من منظور (سوسير)، وفق الوظيفة التواصلية، الخبرة، فإنّ اللّغة تدرس في ذاتها ولذاتها من منظور دكرو وفق الوظيفة الحجاجية*

وعليه إذا كان (سوسير) حدّد العلامة بوصفها نسقيا، فيغدو الرهان رهان جملة في التحليل، فإنّ (دكرو) حدّد مكان العلامة الجملة كوحدة دنيا للوصف الدلالي. فيغدو الرهان في التحليل رهان خطاب/ نص/ حوار، وقد "وجد دكرو وأنسكومبر نفسيهما مدفوعين بتوجيه من التقاليد التوليدية التي كانت تمثل النموذج العلمي المهيمن في مجال اللسانيات إبان فترة السبعينيات، إلى التسليم والقبول على نحو تلقائي باعتماد الجملة أساسا لدراسته الدلالية، أي الوحدة الدنيا للوصف الدلالي والتي سيتمّ النظر إليها بوصفها قاعدة لهذا الوصف تحتل موقعا مناظرا للموقع الذي تحتله العلامة في اللسانيات السوسيرية، ومن ثمّ يتعيّن أن يتمّ إسناد المدلول إليها، وهذا المدلول هو بالذات ما سيصطلح عليه بـ "الدلالة" في الحجاجيات اللسانية"¹. فالجملة هي الوحدة الدنيا للوصف الدلالي عند (دكرو).

* - يمكن مراجعة الأمر في: فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، دط. المغرب: 2008، إفريقيا الشرق، المغرب، 2008.

أحمد مومن، اللسانيات -النشأة والتطور-، ديوان المطبوعات الجماعية، بن عكنون، الجزائر، ق3. الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية -دراسة تحليلية إستمولوجية-، دط. الجزائر: 2001، دار القصب للناشر. ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر، سعد مصلوح، وفاء كامل، ط2. 2000، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

مبارك حنون، مدخل للسانيات سوسير، ط1. المغرب: 1987، دار تويقال، الدار البيضاء. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري- منشورات عكاظ، المغرب. التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دط. الجزائر: 2008، دار الوعي للنشر والتوزيع، الربوينة.

¹ - رشيد الرازي ، المظاهر اللغوية للحجاج، ص53.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

استبقى (دكرو وأنسكومبر) من منهجية (سوسير) العلاقات التراكيبة الأفقية التي تسمح بتأليف الجمل مع الجمل الأخرى ضمن نسق تألفي خطابي. ف: "حصر نمط التأليف الخطابي الذي ينبغي أخذه بالاعتبار في الوصف اللساني؛ وذلك بالوجه الذي يصير معه من الممكن القيام بتحديد تراكيبي للجمل بموجبه تتمايز هذه الأخيرة فيما بينها، وهذا الملح التألفي الخطابي الذي سيتم الاعتماد عليه دون غيره هو الذي سيصطلح عليه بالحجاج، أي إن دلالة الجملة تتحدد انطلاقاً من مجموع التأليفات الحجاجية، التي تتيحها الجملة، وهذه التأليفات يتم تعيينها عبر تحديد الإرشادات الخاصة بكل جملة على حدة، وتتميز هذه التأليفات بطابعها الداخلي الخالص الذي لا يرتبط على أيّ نحو بالمعطى الإخباري الخارجي"¹، فالتأليف والحال تلك محصور بتوجيه حجاجي أصلي فيه.

يتم كل هذا وفق طبيعة ابيستمولوجية لها مكانتها في الغرب وهي بناء النموذج، فالمهمة العلمية لا مكان لها إذ كانت تجمع الوقائع وتصنفها، إذ العلمي بوصف (دكرو): "البحث الذي يحاول أثناء تفسيره للظواهر الملاحظة في الطبيعة، أن يضع تمثيلاً مصطنعاً للكيفية التي تنتج بها هذه الظواهر"². فالعلمي هو الذي يقدم الجهاز الواسف للظواهر.

ويفرق (دكرو) بين الجملة والملفوظ، فالجملة تنتمي إلى نموذج الوصف (اللغة الواصفة) أما الملفوظ فهو تحقيق للجملة بطريقة واقعية في حياة الناس اليومية يقول دكرو: "من أجل استحضار تلك الصلة الملاحظة بين المعنى والملفوظ استحضاراً نسقياً، أرى أن أخصّ الجمل التي تعتبر الملفوظات تحقيقاً لها بموضوع نظري أسميه "دلالة"، إن هذا الإجراء يبدو لي هاماً من حيث إنني أفترض إمكان صياغة قوانين تقوم من جهة بحساب دلالة الجمل

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 55.

² - 51. Ducrot les mot du discours نقلًا عن ، رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 56.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

انطلاقاً من بنيتها النحوية المعجمية، ومن جهة أخرى بالتنبؤ عبر هذه الدلالة لمعاني الملفوظات¹

وقد أثار (دكرو) الانتباه إلى: "ظاهرة تتمثل في كون المتكلمين بلغة معينة، يمتلكون القدرة على منح معنى للملفوظات التي يتم إنجازها بواسطة هذه اللغة"²، وتتم عملية تحديد الدلالة عن طريق الإرشادات، ذلك أنها: "عبارة عن مجموعة من التوجيهات، تقدمها الجملة لأولئك الذين يهتمون بتأويل ملفوظ معين من ملفوظاتها، وتطالبهم بالبحث في وضعية الخطاب عن المعطيات التي تفيد بصورة ما في إعادة بناء المعنى المقصود من المتكلم... وعلى هذا الأساس تكون دلالة الجملة هي خلاصة إرشاداتها، أي تلك الإرشادات التي تتضمنها هذه الجملة والتي تمكن المخاطبين من إسناد المعنى لملفوظاتها، أي حين تردّ هذه الملفوظات في سياقاتها الاستعمالية المتنوعة، وكذلك يكون المعنى الذي يمكن اشتقاقه من هذه الجملة متعدداً ومتغيراً بحسب الأوضاع والسياقات المتغيرة أيضاً"³. فالإرشادات موجودة في الجملة وينبغي على محلّ الملفوظ أن يستشفها منها.

3-المصطلحات التقنية لأزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر: هذه إذن هي الرؤية المنهجية التي تسير عليها نظرية (دكرو وأنسكومبر) الحجاجية، وهي رؤية لها معجمها التقني الذي يجسدها، وهو فيما يلي:

- مفهوم الحجاج: "إنّ الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، إنّ كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أنّ التسلسلات الخطابية محددة

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 60، 61.

² - المرجع نفسه، ص 59.

³ - المرجع نفسه، ص 62.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

لا بواسطة الوقائع (les fait) المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي يتمّ توظيفها وتشغيلها "وإذا أردنا أن نجتمع معجما تقنيًا لنظرية الحجاج عند (دكرو) ينبغي علينا أن نشرح هذا القول المفهومي المحدد للحجاج تحديدا تقنيًا والذي يكاد يستجمع المفاهيم التي تشتغل عليها النظرية.

هاته المفاهيم تستدعي مصطلحاتها في شبكة واحدة والتي هي: الاستدلال، الحجاج، السلم الحجاجي وتبعاته (الصريح، الضمني، الحجّة، النتيجة، الرابط، العامل، التوجيه) وهاته المصطلحات كلّها مخزنها الموضوع أو المبدأ الحجاجي.

الاستدلال والحجاج ومخازنهما أي المواضيع الحجاجية أو المبادئ الحجاجية:

إنّ وضع الروايز بينهما يعني وضع كل مصطلح في سياقه، وضع الاستدلال في منطق الصوري، ووضع الحجاج في منطق الخطابي، وقد أورد رشيد الرازي ستّة فروق بين المصطلحين يقول مفصلاً فيها على التوالي: "إنّ العبارات التي ترد في المصوغات البرهانية توجد مستقلة بعضها عن بعض، وتتألف فيما بينها على أساس جملة من العلاقات الصورية الصارمة، دون مراعاة للقيم الداخلية التي تتضمنها هذه العبارات (معانيها إحالاتها الخارجية)... بخلاف ذلك تتميز العلاقة الحجاجية التي تنشأ في الخطاب الطبيعي، بأنّ تعالق الملفوظات فيها يستجيب لاعتبارات داخلية محضة، مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته، أي أنّ المحتوى يلعب دورا حاسما في الانتقال بين الوحدات في العملية الحجاجية ... في الاستدلال البرهاني يكفي إيراد دليل واحد لتكون النتيجة مثبتة أو منفية... بخلاف ذلك يتميز الاستدلال الحجاجي بأنّ عدد الحجج التي يتألف منها لا يكون محددا... يتميز البرهان باستقلاله التأم عن الذات الإنسانية وما يتعلّق بها، فالأصل في البناءات البرهانية أنّها جملة من العلاقات الموضوعية القائمة بذاتها والمستندة على قوانين عامة تستمد قوتها من ذاتها وتفرض سلطتها على غيرها... بخلاف ذلك لا يكون للعلاقة الحجاجية أي معنى إذا لم تستحضر سياق تداولها الإنساني الخاص... يتميز الحجاج

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

بارتكازه على ما يسمى بالمواضع، والمواضع هي مجموعة من القيم والمعايير والعلاقات المتميزة بطبيعتها الظنية واللايقينية، ولكنها مع ذلك تتمتع بشهرة ومقبولية لدى عامة الناس نتيجة توافقها مع الحس القويم المشترك، إنّ هذه المواضع تقوم في الحجاج مقام القوانين والقواعد العقلية الضرورية التي يقوم عليها الاستدلال في المصوغات البرهانية (المقدمة الكبرى في القياس)،... هناك خاصية أخرى تميّز الحجاج عن البرهان، وهي متفرعة عن الخاصية السابقة، فقد قلنا إنّ الموضوع المشترك قاعدة عامة يقبل بها أغلب الناس وليس كلهم، ويرجع ذلك إلى طبيعته الظنية المتحصلة من مرجعيته القيمة والثقافية النسبية المتغيرة بحسب المقامات والسياقات والعوائد والظروف والأحوال، من هنا كان الحجاج الذي يشكّل الموضوع قاعدته مفتوحا دائما على الاعتراض وقابلا باستمرار للدحض والتفنيد والمنازعة فكل عملية حجاجية يمكن مواجهتها بعملية حجاجية معارضة تتأسس على مواضع معاندة تعكس مرجعيّات قيمية مغايرة، وهذا بخلاف البرهان الذي يكون ملزما على الدوام لطبيعته اليقينية الكلية... ممّا جعل الخطاب الحجاجي يقبل الورد في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يلزم فيه التصريح بكل مكوناته¹.

- السّلم الحجاجي: "السّلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرّمز لها كالتّالي:

ن = النتيجة ب ج د حجج وأدلة تخدم النتيجة ن

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذ ذاك إلى السّلم الحجاجي بالسّمطين الآتيتين:

كل قول يرد في درجة ما من السّلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى (ن).

¹ - رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 185 إلى 192.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن)، فهذا يستلزم أن (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

➤ حصل زيد على الشهادة الثانوية

➤ حصل زيد على شهادة الإجازة

➤ حصل زيد على شهادة الدكتوراه

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وتنتمي إلى السلم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة، من قبيل كفاءة زيد أو مكانته العلمية ولكن القول الأخير هو الذي يرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد ومكانته العلمية.¹

التوجيه: ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي: "ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي ويعني هذا المفهوم أنه إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا، فإذا كان القول معلما؛ أي مشتملا على عديد الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب. أما في حالة كون القول غير معلم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذ ذاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق والخطاب العام². ويتم هذا بالعوامل والروابط الحجاجية المحققة لفظا، وبالاستنتاج إذا انعدمت الروابط والعوامل.

- **الروابط والعوامل الحجاجية:** "الروابط تربط بين قولين، أو بين حقتين على الأصح (أو أكثر)، وتساعد لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل

¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 59، 60.

² - المرجع نفسه، ص 62.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

للرابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ... أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا، وجلّ أدوات القصر¹. فوظيفة الرابط الربط، ووظيفة العامل الحصر.

- **الحجة والنتيجة:** وتعدّ العلاقة بين الحجة والنتيجة توضيحا مميّزا للمصطلحات السابقة وقد اقترح (دكرو) لذلك تعريفا لكليهما مطورا جدا يقول العزاوي فيه: "ونشير إلى أنّ مفاهيم الحجة والنتيجة كانت، في التّصور السابق الذي نجده عند (دكرو)، وخاصة في كتابه السلام الحجاجية عبارة عن أقوال، أمّا في التّصور الذي نجده في أعماله الأخيرة، فإنّ هذه المفاهيم أعطيت لها دلالة واسعة ومجردة، فالحجة، حسب هذا التّصور الجديد، عبارة عن عنصر دلالي يقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نصّ، أو قد تكون مشهدا طبيعيا أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك والحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السّياق، والشّيء نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما"². فالحجة والنتيجة موجودان لأجل بعضهما في العملية الحجاجية.

- **المواضع أو المبادئ:** "المبادئ الحجاجية إذن هي مجموعة من المسلّمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية معيّنة، والكل يسلم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أنّ العمل يودّي إلى النّجاح، وأنّ التّعب يستدعي الراحة، وأنّ الصدق والكرم والشجاعة من القيم النبيلة والمحبّبة لدى الجميع، والتي تجعل المتّصف بها في أعلى المراتب الاجتماعيّة، والكل يقبل أنّ انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا، وبعض هذه

¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 63 .

² - المرجع نفسه، ص 58.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم¹. فالمواضع هي القاسم المشترك بين أفراد المجموعة اللغوية.

-تعدّ الأصوات واقتراض المفاهيم: وظيفة الموضع تتمثل في تحقيق التأليفات الخطابية فالترابط الحجاجي بين الملفوظات إنّما يبني على قاعدة المواضع. وليس استنادا إلى طبيعة الوقائع الخارجية، يقول الباحثان... إذا كنا نستنتج من ملفوظ "م" ملفوظا "ف" فإنّ ذلك ليس لأنّ "م" يشير إلى واقعة "ل" و"ف" يشير إلى واقعة "ق" وأنّ حدوث "ل" يجعل من حدوث "ق" أمرا محققا، وإنّما لأنّ "م" يعرض "ل" بوجه يجعل من المشروع إعمال موضع أو سلسلة من المواضع تقودنا إلى الملفوظ "ف" الذي يمكن أن نرى فيه قناعا لسانيا ل"ق"². يتّضح من خلال هذا كلّهُ أنّ الترابطات بين الحجج والنتائج متحقّقة بتشغيل المبادئ/المواضع.

ووظيفة المواضع دعت إلى تقليص دور العوامل والروابط الحجاجية إذ: "النتيجة المباشرة لإدراج مفهوم الموضع في الحجاجيات اللسانية تتمثل في التراجع الملموس لدور العوامل والروابط، فالإرشادات الحجاجية لم تعد وفق هذا المنظور مرتبطة بالعوامل والروابط... فوظيفة العامل إذن هي مجرد الإشارة إلى الكيفية التي ينبغي وفقها إعمال الموضع، أمّا التّأليف بين الحجة والنتيجة فهو من عمل الموضع"³.

إنّ الحديث عن الموضع هو حديث عن اشتراك لغويّ عن معجم يوضّح رؤية قيمية للعالم* بين المتكلم والمتلقي ذات بال، وإعادة الارتباط بذلك المعجم، أصبحت تتيح دورا مركزياّ للذي يريد إعمال ذلك المعجم/الموضع أي المتكلم، فالتركيز هنا أصبح يهتمّ بالمتكلم وأصبحت

¹ - المرجع نفسه، ص66.

² - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص192.

³ - المرجع نفسه، ص220.

*- ينظر كتب: توشيهيكو ايزوتسو، حول نظامية المعجم المشكلة ب رؤية حسب رؤية العالم. الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، تر: هلال محمد الجهاد، ط1. لبنان: 2007. المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن، تر: عيسى علي العاكوب، ط1. سوريا: 2008، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الملتقى.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

قيمة المتلقي لا يركز عليها تركيزا كما في السابق، وقد دعا الموضوع نفسه ضرورة إلى توضيح تشكلاته. فالذي يؤدي الموضوع ليس متكلمًا واحدًا، بل متكلمون كثر إنهم باصطلاح (دكرو) أصواتيون، فقد حاول كل من (دكرو) و(أنسكومبر) تحقيق إدماج نسقي لمفهوم الأصواتية في اللسانيات، والحجاجيات اللسانية خصوصا، فأصبحت الأصواتية لها ارتباط وثيق وتأثير وتأثر بعناصر النظرية خصوصا الموضوع: فـ: "النظرية الأصواتية تقوم على تفكيك مقولة المتكلم المتوحد لتكشف عن تعدد الأصوات في الملفوظات الخطابية بين متكلمين ومتلقّين* حسب (دكرو) يتصرفون داخل هذه الملفوظات كما تتصرف الشخصيات فوق خشبة المسرح"¹. هذا التمثيل هو حدّ أو مفهوم للأصواتية حسب (دكرو)*، يقول

* - مفهوم المتكلم والمتلقّ حسب دكرو، يقول الراضي في المتكلم بحسب دكرو: "أنّ المتكلم هو الشخص الذي يرد في الخطاب باعتباره المسؤول عن الملفوظ (مع التأكيد أنّ هذا الأمر يظهر في معنى الملفوظ ذاته)، أي باعتباره شخصا ينبغي أن تنسب إليه مسؤولية هذا الملفوظ، فإليه يحيل الضمير "أنا" وسائر العلامات الأخرى المرتبطة به. إنّ تمثّل مفهوم المتكلم على هذا النحو يتيح لنا تمييز تعدد صوتي ناتج عن نوع من التمايز بينه وبين الناطق الواقعي من جهة، ومن جهة أخرى عن تمايز داخلي بين وجهين من الأوجه التي يتبدى بها المتكلم داخل الخطاب...". رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 158. أما بالنسبة للمتلقّ فيقول دكرو، "إنّ المتلقّين عند دكرو هم أولئك الأشخاص الذين يفترض أنّهم يعبرون عن ذواتهم داخل الفاعلية التلقظية دون أن يكون ذلك من خلال الكلام الصريح والمباشر، ف "كلامهم" هو ممّا يوحي به التلقظ. يتعلّق الأمر هنا بما ينبغي ملاحظته من أنّه عادة ما يرد في التلقظ الذي ينسب لمتكلم مخصوص ما يعبر عن وجهات نظر متلقّين آخرين ومواقفهم ووضعهم دون أن يكون لهم قول بالمعنى الملموس للكلمة". ينظر: O.Ducrot, le dire et le dit, p204. نقلا عن: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج: ص169. ويشرح الراضي دكرو فيقول: "إنّ هؤلاء المتلقّين ينظر إليهم ضمن هذا التصوّر كأصوات لا تسند للمتكلم (بمعنى أنّه لا يتحمّل مسؤوليتها)، ولكنها تتفاعل داخل نشاطه التلقظي. إنّها مواقف ووجهات نظر لأشخاص آخرين غير المتكلم (المتلقّون) يتمّ تعريفها داخل الفاعلية التلقظية للمتكلم، بحيث لا يأخذ هؤلاء المتلقّون وظيفة التكلّم المباشرة" ينظر: رشيد الراضي المظاهر اللغوية للحجاج، ص169.

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص22.

* - عبر المبخوت عن كيفية استعمال الموضوع باستحضار عبارة (أنسكومبر) فقال: "ويمكن ... أن نختصر التحوير الذي أدخله مفهوم الموضوع على نظرية الحجاج في اللغة فيما يلي،... "ما كانت بعض التراكيب والأساليب تمثّل تعليمات وتوجيهات حجاجية منذ المستوى اللغوي فإنّ الجملة التي تنجز في مقام مخصوص لا تقضي إلى نتيجة محدّدة إلاّ بالإحالة على موضع من المواضع "... ويمكننا كذلك أن نصوغ هذه الفكرة بطريقة أخرى هي، "إنّ دلالة الجملة هي مجموع

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

(الراضي) - مستندا إلى دكرو - موطدا التشابك بين الأصواتية والموضعية: "وعموما يمكن القول إننا من منطلق المنظور الأصواتي سنعتبر وجهة نظر المتلفظين في سياق النظرية الموضعية هي بالذات تلك العملية المتمثلة في استدعاء موضع معين عبر إعمال صورة من الصور الموضعية، فهذه الوقائع لن تظل وفق المنظور الأصواتي أفعالا لمتكلم متوحد، وإنما ستصير وقائع متعددة يتقاسمها المتكلم مع المتلفظين، أي إن استدعاء المواضع وإعمالها كما تحدثنا عنها في سياق النظرية الموضعية هي بالذات تدخلات المتلفظين وأصواتهم المتنوعة كما بسطنا القول فيها خلال عرضنا للنظرية الأصواتية، وهذه التدخلات والأصوات إنما تكون خاضعة لتدبير وتوجيه المتكلم الذي يؤدي هنا دور المخرج المتحكم في مسرح الحركة النلفظية، فهذا المتكلم يتصرف في حركة المتلفظين لحسابه الخاص ويدفعهم إلى سوق وإعمال المواضع بالوجه الذي يفيد غايته ويحقق مقصده"¹.

ويستطرد (الراضي) موضحا العلاقة بين الموضع والأصواتية وذلك بضرب مثال غاية في الربط بين المصطلحين، فهو مثال بلغة أصواتية موضعية في آن يقول: "زيد تقى لکنه كسول ... إن الجزء الأول يستدعي متلفظا معينا وهذا المتلفظ يطبق الصورة الموضعية التي تتجه عموما إلى أنه بقدر ما تكون القوى بقدر ما تكون الإيجابية أي تقوى إيجابية، ثم يظهر أمامنا متلفظ آخر يرد في صورة من يستند إلى هذه الصورة الموضعية لكي يستنتج منها نتيجة معينة (مثلا يستحق هذه المهمة). ثم يرد الجزء الثاني الذي نجد فيه تعارضا للمتكلم مع هذا المتلفظ الأخير ودحضا للنتيجة (استحقاق المهمة) عبر حجاج آخر يستند إلى موضع معاند "بقدر ما يكون الكسل بقدر ما تقل الإيجابية) ومن ثم تصير النتيجة هي عدم (عدم استحقاق المهمة)، وذلك بمقتضى ما سبق تقريره من أن القاعدة الإرشادية للرابط

المواضع التي تمكن من تطبيقها ما إن يقع قول الجملة. وما اختيار جملة ما في مقام ما دون غيرها إلا اختيار لتطبيق هذا الموضع دون غيره...". شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب، حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص383.

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص226.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

(لكن تفرض رد الملفوظ ككل إلى الوجهة الحجاجية للجزء الواقع بعد الرابط... وقد ذهب (دكرو) إلى حدّ الحديث عن متلفّظين معجميين، فالمتكلم حين يستعمل كلمة فهو يستدعي هؤلاء المتلفّظين المعجميين، الذين يبيثون المواضيع في دلالة الكلمات وهو ما قد يوحي بأنّ الأصواتية محايدة للمعجم ذاته، حيث تنتشر فيه الأصوات مادام أنّ دلالة الكلمات إنّما هي إشعاع من المواضيع كما سبق القول؛ فالمتكلم حين يستعمل كلمة اجتهاد يرى في الخطاب صوتا يفيد أنّ الاجتهاد مصدر تعب وأنّه عامل نجاح وأنّه موجب أجر... إلخ وكل موضع من هذه المواضيع يعبر عن صوت متلفّظ من المتلفّظين والمتكلم يمكنه أن يتحيز على أنحاء مختلفة تجاه هذه المواضيع الأصوات، فيتماهى مع هذا ويتعارض مع ذلك ويصادق على ذلك بقدر أو بآخر من التماهي والتعارض والمصادقة... وعموما، فإنّ الأصواتية يمكن أن نجد صياغتها ضمن النظرية الموضوعية¹. (فمثال الراضي) جسّد العلاقة الرصينة بين المواضيع والأصواتية.

ويصف (دكرو) أبحاثه رفقة (جون كلود انسكومبر) والتي ينزل الكلام فيها منزلة الإشهار يقول: "إنّ الأبحاث المتعلقة بهذا الأمر، وقد قمت بها صحبة (جون كلود أنسكومبر) وسميها الحجاج في اللسان، تطمح إلى مدّ هذه الأطروحة إلى مدى أوسع من المواضيع المشتركة التي بوّبتها البلاغة. وحسب وجهة نظرنا، فإنّ كل ملفوظات لسان تأخذ وتقتلع معناها من جزاء كونها تضطلع بدور من يلزم المخاطب باستخلاص صنف معين من النتائج، وإنّ كل كلام هو إشهاري في جوهره، وليس الكلام إشهاريا فقط لكونه يحمل بعض المعلومات التي تجدها تفرض بعض النتائج، إنّه إشهاري لأنّ قيمته الداخلية تطابق المتتالية التي يعلن عنها ذلك الكلام. إنّ ما يريد قوله هو ما يريد أن يجعل الآخر يقوله. هكذا تقدّم

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 226، 227.

الفصل الأول: النظريات الحجاجية اللسانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات)

ملفوظاتنا ذاتها بمعزل عن كفاءتها في تأسيس برهنة، بوصفها أصل كل خطاب حجاجي أو استمراراً له¹. فالكلام بتحديد (دكرو) من حيث الطبيعة هو إشهار.

إنّ الملاحظة العامة التي يمكن إقامتها على هاته النظرية، أنّها نظرية مرنة تتمثّل ابستمولوجيا حقيقية؛ فهي تراجع وتمارس الإكمال على نفسها دائماً ودليل ذلك مسرح أحداثها الذي شاهدناه . من الانفصال عن الدراسات الحجاجية التي لا تزال تفرز بين المكوّن التداولي والمكوّن اللغوي إلى تأصيل الحجاج في اللغة إلى تطعيم النظرية بالمواضع والأصواتية إلى المنتحمت الدلالية وآفاقها المتوقعة.

¹ - أوزوالد دكرو، السلام الحجاجية، نقلا عن: صابر الحباشة، لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط1. سوريا: 2010، دار الحوار للنشر والتوزيع، ص255.

الفصل الثاني: مادّة البحث ومنهجية التحليل

التّوافقي في الكتابات اللّسانية الحجاجية

العربية الحديثة

إنّ المتأمل للكتابات الحجاجية العربية الحديثة يجدها كتابات متعدّدة المادّة، ومادّتها إن أردنا جمعها نقبض عليها من خلال الخطاب بكل صورته، وعليه وفيما عثرنا عليه من خطابات حاولنا إحداث تصنيف للمادة الحجاجية العربية الحديثة كالتالي:

- 1- القرآن الكريم مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
- 2- حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم والخطبة بصفة عامة مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
- 3- الصورة (الإشهار مثلاً) مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
- 4- الشعر مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
- 5- النثر بأجناسه (سيرة، أمثال، نصوص عامة،...) مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
- 6- الخطاب العلمي الحجاجي التراثي مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث:
 - ❖ الخطاب العلمي التراثي اليوناني مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث؛
 - ❖ الخطاب العلمي التراثي العربي مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
- 7- الخطاب العلمي الحجاجي العربي الحديث مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
- 8- الخطاب الحجاجي الغربي الحديث مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.

نحاول تاليًا وبإيجاز تصديق هذا التّصنيف بتحديد الكتابات العربية الحجاجية الحديثة التي ستكون نماذج للدراسة.

فمن الدراسات الحجاجية اللسانية العربية الحديثة التي أخذناها كنماذج للدراسة مايلي:

- ✓ كتابات عبد الله صولة؛
- ✓ كتابات عزالدين الناجح؛
- ✓ كتابات أبوبكر العزاوي؛

✓ كتابات محمد طروس؛

✓ كتابات رشيد الراضي؛

✓ كتابات محمد العمري.

إنّ اختيار هاته النماذج يكون تلبيةً للتصنيف الذي أحدثناه في مادة البحث، إذ تحتوي هاته الكتابات على جميع موادّ التصنيف من جهة، ومن جهة أخرى تحتوي هاته الكتابات على تحليلات لسانية حجاجية خالصة تفوق من حيث الكمية والنوعية الدراسات الحجاجية العربية الحديثة الأخرى. وبعد الاطلاع على هاته الكتابات وجدنا أنّه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

1. قسم نعتناه بالدراسات الحجاجية اللسانية العربية الحديثة التوافقية؛ وذلك لأنها

تستعمل جميع النظريات الحجاجية الغربية وتوافق فيما بينها بتقريب مفاهيمها من بعضها البعض أثناء التنظير والتطبيق، كالنظرية الحجاجية المنطقية والنظرية الحجاجية البلاغية والنظرية الحجاجية الفلسفية والنظرية الحجاجية اللسانية. ونقصد بهاته الكتابات النماذج:

➤ كتابات عبد الله صولة؛

➤ كتابات عزالدين الناجح.

2. قسم آخر نعتناه بالدراسات الحجاجية اللسانية العربية الحديثة الأحادية أو

الخلافية؛ وذلك لأنّ هاته الكتابات تفرّق هاته النظريات عن بعضها البعض، فكل نظرية لها نسقها الخاص بها؛ فالنظرية البلاغية لها نسقها، واللسانية لها نسقها والفلسفية لها نسقها، والمنطقية لها نسقها، لذلك نعثر على هاته النظريات منفصلة عن بعضها البعض أثناء التنظير والتطبيق في هاته الكتابات العربية الحجاجية الحديثة، ونقصد بهاته الكتابات النماذج:

➤ كتابات أبوبكر العزاوي؛

➤ كتابات محمد طروس؛

➤ كتابات رشيد الراضي؛

➤ كتابات محمد العمري.

أولاً: تصنيف الكتابات العربية الحجاجية من حيث مادة البحث: إنّ الملاحظ المتأمل للكتابات الحجاجية العربية الحديثة يجدها كتابات متعدّدة المادة، ومادتها إنّ أردنا جمعها نقبض عليها من خلال الخطاب؛ الخطاب بكلّ صورّه، ويمكن أن نعزّز كلامنا هذا بما قاله (العزاوي): "توكّد الحقيقة التّأليّة؛ وهي أنّ الحجاج نجده... في كل أنماط الخطاب وأنواع النّصوص: نجده في الخطبة الدينيّة والقصيدة الشعريّة والمحاورة اليوميّة والمفاوضات التجارية واللافتة الإشهاريّة والخطاب السياسي ومرافعة المحامي والرواية أو المسرحيّة الأدبيّة والمناظرات الفكريّة ومناقشة الأطروحات الجامعيّة والكتابات العلميّة وغيرها... كل النّصوص والخطابات التي تتجزّ بواسطة اللّغة الطبيعيّة حجاجيّة، لكن مظاهر الحجاج وطبيعته تختلف من نصّ لنصّ، ومن خطاب لخطاب"¹، واستناداً للقول وفيما عثرنا عليه من خطابات حاولنا إحداث تصنيف للمادّة الحجاجيّة العربيّة الحديثة كالتالي:

- 1 القرآن الكريم مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
 - 2 حديث الرسول ﷺ والخطبة بصفة عامّة مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
 3. الصورة (الإشهار مثلاً) مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
 4. الشعر مادة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
 5. النثر بأجناسه (سيرة، أمثال، نصوص عامة،...) مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.
 6. الخطاب العلمي الحجاجي التراثي مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث:
- ❖ الخطاب العلمي التراثي اليوناني مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث؛

¹ - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 09، 10.

❖ الخطاب العلمي التراثي العربي مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.

7. الخطاب العلمي الحجاجي العربي الحديث مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.

8. الخطاب الحجاجي العربي الحديث مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث.

نحاول تاليًا وبإيجاز تصديق هذا التّصنيف بتحديد الكتابات العربيّة الحجاجيّة الحديثة التي تؤدّي هاته العناوين:

1- القرآن الكريم مادّة لغويّة للبحث الحجاجي العربي الحديث: تعدّ من الدّراسات الحجاجيّة العربيّة الحديثة التي اتّخذت القرآن الكريم مادّة لغويّة؛ دراسة الباحث (عبد الله صولة) الموسومة بـ (الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية)، وقد استطاع الباحث أن يثبت الحجاج في بنيته، أي؛ الحجاج موجود في بنية الخطاب القرآني ذاته. ومن الدّراسات أيضًا دراسة الباحث (أبو بكر العزاوي) من خلال كتابه (الحجاج والخطاب)، فنجده درس في كتابه هذا سورة "الأعلى" وقال مبرّرًا تحليله لهاته المادّة: "لقد كان هدف هذا البحث هو إبراز بعض جوانب الحجاج والاستدلال الطبيعي في الخطاب القرآني... إنّ هذه الدراسة محاولة لاستجلاء بعض المظاهر الحجاجيّة لهذه السورة القرآنية، وهناك بالطبع مظاهر حجاجية وتداوليّة أخرى مبنوثة في هذه السورة"¹. ويضيف مصنّفًا هاته المادّة أي القرآن الكريم على أنّها خطاب طبيعي فيقول: "القرآن الكريم خطاب إلهي كتب بلّغة طبيعيّة هي اللّغة العربيّة، وهو موجه إلى كافة البشر، فهو إذن خطاب طبيعي، يحكمه المنطق الذي يحكم الخطابات الطبيعيّة، وبعبارة أخرى فهو خطاب يقوم على الحجاج والمنطق الطبيعي والاستدلال غير البرهاني"². فالقرآن والأمر كذلك، يمكن أن يخضع للأدوات التي تحلّل اللّغات الطبيعيّة.

¹ - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 27.

² - المرجع نفسه، ص 27.

وفي مكان آخر، أي؛ في كتاب (الاستدلال البلاغي) لـ (شكري المبخوت). حلّل الباحث الآية (22) من سورة الأنبياء في ضوء ظاهرة بديعية من البلاغة العربية وهي ظاهرة (المذهب الكلامي)، وقد أعاد (المبخوت) تحليل تلك الآية وذلك نظرا لعدم كفاية تحليل القدامى؛ فهو يرى في هاته المادة اللغوية القرآنية وفرة حجاجية ينبغي إثباتها والتحليل القديمة محتاجة للتعزيز؛ لذلك نجده يقول: "وانطلاقا من هذا التصوّر نفسه يثير تحليل البلاغيين بعض التعجّب. فهم يبنون في العادة تحاليلهم على المعطيات النحويّة التي تعلّموا منذ الجرجاني، بالخصوص النّظر في دقائقها وطرق تصريفها في القول لاستخلاص النّكت التي يريد المتكلّم أن يدلّ بها على مقاصده. فلئن كانت العودة إلى صورة القياس الاستثنائي في المثال المعتمد الذي عرضنا أهمّ ما في تحليلهم له دالة على تفاعل البلاغة والمنطق والكلام في المنظومة القديمة فإنّ النتيجة التي توصلوا إليها حكمها التعريف الذي انطلقوا منه أكثر ممّا حكمها تحليلهم لتركيب الآية. لذلك سنعمد إلى إعادة تحليل هذا الشاهد (أي الآية 22 من سورة الأنبياء) استنادا إلى مبادئ التّحليل التّحوي البلاغي مسلّمين أنّ الآية قول له مقام حجاجي يسعى إلى مطابقته"¹. وقد جعل (المبخوت) الحجاج بهذا قيمة مضافة في التحليل.

وقد استعمل القرآن الكريم في موضع آخر على سبيل التّناس سواء بمعناه أو بنصه الحرفي وذلك في دراسة للباحث (علي عبد النبي فرحان) التي وسمها بـ "وظيفة التّناس الحجاجية والتأثيرية في (مقامات الحريري) فتوظيف الحريري للمادّة القرآنية هو حتّ لبنية مقاماته على الإقناع يقول المحلّل في هذا الأمر: "وخالصة القول إنّ الحريري وظّف من

¹ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ط2. ليبيا: 2010، دار الكتاب الجديدة، ص139.

أجل تحقيق النّجاعة لبنيته الحجاجيّة كل طرائق القول الممكنة؛ ليتحوّل نصه (المقامات) إلى بناء مقنع يرمي إلى إقناع المتلقّي والتأثير فيه، رغبة في نجاح مشروعه الإبداعي...¹.

و نجد (صابر الحباشة) بدوره في موضع آخر من خلال كتابه (التداولية والحجاج - مداخل ونصوص-) حلّل المفردة القرآنيّة واعتبرها مادّة حجاجيّة خصبة ذات أهميّة تضاهي أهميّة التركيب والنص يقول: "ليست حجاجيّة المفردة القرآنيّة بمعزولة عن حجاجية التركيب أو الجملة أو الآية أو السورة أو النص... ولكننا حاولنا تبين حجاجيّة المفردة بوصفها نواة دالة على إسهام هذا العنصر اللّغوي المحدود في توليد طاقة حجاجيّة فعّالة ذات مدى بعيد في تبليغ مقاصد القول"².

ثم نجد كذلك (إدريس حمادي) يقارب الحجّة في الاستخدام القرآني من خلال الخطاب المرتبط بسيّدنا إبراهيم عليه السلام وقومه"³.

وفي مجلة (فصل الخطاب) الصادرة عن مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر الموجود مقره بجامعة ابن خلدون بتيارت حلّل الباحثون القرآن من خلال الزوايا التّالية:

- زروقي عبد القادر، الاستراتيجية الحجاجيّة لبلاغة الصّمت - قراءة في حجاجية الحذف في القرآن الكريم -؛
- بن يمينة رشيد، القصص القرآني والبعد الفلسفي الحجاجي في تفسير الفخر الرازي؛
- خلادي محمد الأمين، إعجاز الحوار والحجاج في القصص القرآني؛

¹- علي عبد النبي فرحان، وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري، ضمن كتاب، الاستدلال الحجاجي، ص242.

²- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1. سوريا: 2008، صفحات للدراسات والنشر، ص61.

³- إدريس حمادي، الحجّة في الاستعمال القرآني، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص172.

- مغربي محمد رضا، الأسلوب الحجاجي في القرآن الكريم وسبل استثماره لدى المؤسسة التربوية - وقفة تأملية مع آية من القرآن الكريم.-

ونجد دراسة أخرى لـ: (عزالدين الناجح) تعالج سورة الإخلاص إذ نراه باحثا يعدد مادته اللغوية في اختباره الحجاجية على العربية؛ ومن بين مواد القرآن الكريم متمثلا في سورة الإخلاص، فقدم دراسة بعنوان: (العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال مقارنة تداولية لسانية لسورة الإخلاص)، ويبرر الناجح ارتباطه بالقرآن تبريرا اختياريا يقول: "قبل الخوض في الجانب الإجرائي من المقارنة نود التنبية إلى أن اختيار موضوع الاختبار (أي السورة القرآنية) ليس له مبررات سوى قصرها ونجاعة تطبيق النظرية وسرعتها والبيّن في هذا الملفوظ - سورة الإخلاص - هو حجاجية بنيته الكلية"¹

يحاول هؤلاء الباحثون استتطاق المادة اللغوية القرآنية حجاجيا كل بكيفيته التي سنعمل على وصف بعض حدودها التطبيقية والإبداعية وتحديد مدى استجابتها للكفاية النظرية.

2- حديث الرسول ﷺ والخطبة بصفة عامة مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:

عن طريق التناص نجد الحديث الشريف مادة محللة عند الباحث (علي عبد النبي فرحان) من خلال دراسته (وظيفة التناص الحجاجية التأثيرية في مقامات الحريري) يقول: "لم يقتصر التناص الديني على النص القرآني، بل شمل أيضا الحديث النبوي الشريف"².

وفي مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها تقدم الباحث (جمعان بن عبد الكريم الغامدي) للخطبة النبوية ليستتطق طاقتها الحجاجية فقال: "يتناول هذا البحث الحجاج في الخطبة النبوية، ويحتوي على ثلاثة مباحث: مبحث حول الخطابة والحجاج بوجه عام. وقد

¹ - عزالدين الناجح، "العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال مقارنة تداولية لسانية لسورة الإخلاص"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر: ديسمبر 2007، ع06، ص04

² - علي عبد النبي فرحان، وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري، ضمن كتاب، الاستدلال الحجاجي ص236.

تمّ التركيز فيه على دراسة الخطبة النبوية بوجه خاصّ، يليه مبحث ثان حول المسار الحجاجي للخطبة النبوية، وثالث جرى فيه التحليل الحجاجي، كما وضّح الباحث في نهايته أنموذجا مقترحا للحجاج في الخطب النبوية¹

وفي الكتاب نفسه قدّم خالد يعقوبي دراسة بعنوان: (خطبة طارق بن زياد من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي بحث في الحال والمقام). وقد أكّد مقبوليّة الخطبة للبحث الحجاجي يقول: "تعدّ خطبة طارق بن زياد من النصوص الفنيّة الإشكاليّة بامتياز، لما أثارته وتثيره من جدل وسجال حاد بين مؤرخي الأدب ودارسيه، خاصة بين الشرق والغرب، أي بين الرفض والإثبات. بعيدا عن جحود الجاحدين وإنكار المنكرين وتشكيك المشكّكين، نحاول في هذا المقال بسط هذا النصّ الخطابي للفحص والمساءلة، قصد مقارنة بنيته الأدبيّة من منظور حجاجي يتغيّيا فهم توليفة المقال في ضوء المقام وشروط الحال"².

3- الصورة: (الإشهار مثلا) مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:

يعدّ خطاب الصورة أحد أهمّ المواد التي تعنتي بها التخصّصات في العلوم الإنسانية؛ خصوصا العلوم اللغوية ذات البعد المقامي، وقد عثرنا عربيا على عدّة دراسات. ففي مجلة مخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري - جامعة بسكرة - أراد الباحث (بلقاسم دفة) أن يقارب الصورة الإشهارية العربيّة؛ فتقدم بدراسة عنوانها: (استراتيجية الخطاب الإشهاري-

¹ - جمعان بن عبد الكريم الغامدي، "الحجاج في الخطبة النبوية"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللّغات وآدابها، السعودية: 2013، ع10، ص275.

² - خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج04، ص332.

دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية الحديثة-)، فحاول الباحث أن يوضح الحجاج السليم والحجاج المغالط في المادة الإشهارية العربية¹.

وفي مجلة مخبر تحليل الخطاب، عاين الباحث (عزالدين الناجح) الصورة الإشهارية من خلال المفهوم، كون المفهوم يستنتق الضمني من الخطاب الإشهاري وذلك بدراسة عنوانها المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري².

وفي دراسة ل: (محمد الولي) موسومة بـ (الحجاج والإشهار -أفيون الشعوب المعاصر-) جعل الباحث الإشهار مادة حجاجية بامتياز ورأى بأن باحثها الحجاجي سيصيب غلتها كثيرا لأنّ دواعي دراستها كثيرة: يقول: "الإشهار ضرب من ضروب الحجاج أو الخطابة"³. ويضيف: "إنّ الربط بين الخطابة وبين الإشهار له أكثر من مبرر"⁴. ولعلّ مبررات الربط هي سوق الرأسمالية وثورة وسائل الاتصال من الراديو وصولا إلى الانترنت، إته مادة خصبة للبحث الحجاجي⁵.

وفي دراسة أخرى ل: (نعمان بوقرة) معنونة بـ (القيمة الحجاجية في النصّ الإشهاري). درس المقامة البشرية للهمذاني مشيرا للمواطن الإشهاريّة في النصوص التراثية العربية مثل: جمهرة خطب العرب⁶.

¹ - بلقاسم دفة، "استراتيجية الخطاب الحجاجي - دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية-"، مجلة مخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر: 2014، ع10، ص489.

² - عزالدين الناجح، "المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري"، مجلة مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر: 2007، ع2، ص263.

³ - محمد الولي، الحجاج والإشهار أفينون الشعوب المعاصر، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج04، ص260.

⁴ - المرجع نفسه، ص263.

⁵ - المرجع نفسه، ص265.

⁶ - أحالنا الباحث على كتاب، أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية بيروت، 1357 هـ.

4- الشعر مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:

بالنسبة لمادة الشعر نجد لها ارتباطا كبيرا بالبحث الحجاجي العربي الحديث، فهذه (أمينة الدهري) نعثر عليها توضّح هاته المادة حجاجيًا أثناء تحليلها الحجاجي لكتاب (طوق الحمامة) لابن حزم¹؛ إذ تسائل الذاكرة الشعرية العربية من خلال موقعها في كتاب (طوق الحمامة) تقول موضحة الاهتمام بهاته المادة: "يأتي الاهتمام بعلاقة النظم الحزمي بالموروث الشعري، من حيث إضاءته لبعد آخر من أبعاد مسافات طوق الحمامة، الذي أوحى منذ البدء بافتراض اعتباره كتاب مسافات بامتياز. إذ تسمح بعض الإشارات الواضحة إلى أشعار القدامى من استجلاء الباعث على استدعائها، والمقصد من محاورتها، مثل معلقة طرفة في قسم هجر التذلل، والإشارة إلى خمريات أبي نواس في باب السلو، ثم البحث في علّة مزار الطيف عند الطائيين أثناء الحديث عن فضل التنوع"².

وفي تحليلاته الحجاجية المختلفة أبرز الباحث (أبو بكر العزاوي) أنّ الشعر مادة خصبة للمساءلة الحجاجية، إذ يرى بأنّه يوجد شعر حجاجي وشعر غير حجاجي³. ويؤكد هذا الأمر مسلّمًا: "ومع تسليمنا بوجود شعر حجاجي، فإننا نؤمن بأنّ طبيعة الحجاج وقوّته تختلف من نصّ شعري لآخر، وكلما كان الشاعر صادقًا في معاناته، ساعيا إلى تبليغ خطاب ما، راميًا إلى التخاطب والتواصل مع الآخرين له غاية واضحة وهدف محدد يرمي إليه، كلما كان شعره أكثر حجاجية، ثم إنّ نسبة الحجاج وارتباطه بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التداولية

¹ - استعملت الدهري النسخة، ابن حزم ، طوق الحمامة، ضبطه سعيد محمود عقيل، بيروت: 2007، دار الجيل.

² - أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1. الدار البيضاء:

2011، ص126.

³ - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 36.

والاجتماعية هو من المبادئ التي تقوم عليها نظرية الحجاج في اللغة، بل وأغلب النظريات الحجاجية القديمة والحديثة¹. فلشعر عنده قيمة تأثيرية ينبغي فحصها حجاجيا.

ونادى (محمد العمري) اقتداء بـ: (روبول Reboul) ومتبنيًا طرح (مايير) إلى ضرورة هدم الثنائيات الشعرية الخطابية، وضرورة حثّ فرص التناسق بينهما. يقول العمري مقتديًا متبنيًا أهمية الشعر أو مساهمته في بناء البلاغة يقول: "وفي هذا الإطار يرى ميشيل مايير أنّ للبلاغة كلية يتطلّب الخروج من المقابلة القضيوية بين الوجود واللاوجود التي بني عليها تفريق أرسطو بين الشعرية والخطابية، حيث: الشعر لا وجود يحتمل الوجود" والخطابة "وجود يحتمل الوجود". أو بعبارة أقرب إلى المصطلحات المستعملة في القراءة العربية لأرسطو: الشعر كذب يحتمل الصدق، والخطابة صدق يحتمل الكذب، فبدل هذا التطابق القضوي الوجودي يمكن تحقيق وحدة البلاغة باعنا التفاعل القائم على الإشكال والمساءلة². وبذلك ف: (العمري) أشكل القيمة القضيوية وبحث فرصة التخييل نافيا الصدق والكذب.

وقد غطى النثر على الشعر في الدراسات الحجاجية بسبب التفريق المصدري (من حيث النشأة) للحجاج. إذ الحجاج من (أرسطو) إلى المحدثين مرتبط بالخطابة و تدخل الشعر في مجال الحجاج يرجع إلى ما بعد التأسيسات أي مع (أوليفي روبول، ومايير...)

5-النثر بأجناسه (سيرة، أمثال، نصوص عامة،...) مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث: غطى النثر بكثرته كمادة على بقية المواد الأخرى التي أشرنا إليها منذ قليل مثل الشعر، وذلك لارتباطه بالجنس الخطابي، فالخطابة تمارس بطريقة نثرية.

ففي كتاب (الخطاب والحجاج) نجد الباحث المغربي (أبو بكر العزاوي) يحلّل جنسا من أجناس النثر وهو "المثل" وقد دعا الباحث هاته المادة لما عثر فيها من قيم حجاجية؛ إذ

¹ - المرجع نفسه، ص36،37.

² - محمد العمري، البلاغة بين التخييل والتداول، ط2. المغرب: 2012، أفريقيا الشرق، ص21.

يراهنا بمثابة المواضيع/المبادئ الحجاجية يقول: "إذا كانت المبادئ الحجاجية تتمثل في مجموعة من الأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة، وكانت تتصف بالعمومية والتدرجية والنسبية، فإننا نعتقد أنّ أغلب الأمثال تبدو متماثلة مع هذه المبادئ. فهما يشتركان في خاصية العمومية والخصائص الأخرى، وقد سبق أن أشرنا إلى أنّ الأمثال تتضمن خبرات الشعوب وحكمها وخلاصة تجاربها الحياتية، ولذا نجد أنّ مضامينها ومحتوياتها تتمثل في مجموعة من الحقائق العامة والمعاني الكلية"¹. وننتقل من المثل كموضوع حجاجي إلى جنس قريب منه. ففي دراسة لعزالدين الناجح منشورة في مجلة تحليل الخطاب عنوانها (مقاربة تداولية لحكمة عطائية-) نجده يستدعي الحكمة للتحليل فلاحظ ضمانياتها المتعددة وقصّ تعدداتها بالمواضع والعوامل الحجاجية يقول: "... وهذان العنصران؛ العوامل الحجاجية والمواضع هو ما به يمكن أن تتقلص الاستلزمات ويتضح الفاسد منها من الصواب فيها هذا إذا لم نقل نعتبر الحكمة في حدّ ذاتها موضعا يحتكم إليها ومخزن حجج يحاج بها. فهي من قبيل الأمثال المتعارف عليها من منظومة اجتماعية ما وبعبارة أخرى هي في ذاتها موضع. ويؤيدّ تصورنا هذا ما أورده أحمد زروق في شرحه لهذه الحكمة (زروق أحمد، ت899هـ)... حيث يورد الشيخ مقاربة تقوم أصولها على النظرية اللغوية عند الأصوليين على محوري المفهوم والمقتضى بأصنافهما فكانت الحكمة بذلك، أي بما تحتويه من مفاهيم ومقتضيات، بمثابة الموضوع بل دعنا نقل بمثابة مسلمة الانطلاق أو بلفظ الفلاسفة بديهية"².

مرة أخرى؛ وهاته المرة يقارب (الناجح) الخطاب السردى متمثلاً في الرواية وذلك في دراسة عنوانها ب: (انسجام الخطاب الروائي المغاربي من خلال مقاربة حجاجية للمنظر الخامس من رواية السد لمحمود المسعدي)، وقد رأى الناجح في الحوار الموجود على مستوى السرد

¹ - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص81.

² - عزالدين الناجح، "مقاربة تداولية لحكمة عطائية"، مجلة مخبر تحليل الخطاب، الجزائر: ماي 2008، جامعة تيزي وزو ع3، ص37. ينظر كذلك كتاب الحكم لابن عطاء الله الإسكندري.

قيّما حجاجية خصبة¹. وفي دراسة ضخمة وذلك في كتابه (الحجاج في الخطاب القانوني) درس (الناجح) المدونة القضائية حجاجيا، ونعلم بديهيّا بأنّ القضاء مملوء بالأدلة الحجاجية بل إنّ (شايم بيرلمان) كان محاميا وكان من خلفيات حجاجيته القانون، وتمثلت المدونة النظرية القانونية التي اعتمدها الناجح في مجلة الأحوال الشخصية التونسية (نموذج 1) والمجلة الجنائية التونسية (نموذج 2)². والمهمّ أنّ القانون مملوء بالضماني ومن حقّ الحجاجيين اكتشاف الضمنيّات في هاته المادة.

وقد درس محمد العبد سبعة عشر نصّا عربيا قديما وحديثا من مختلف المجالات والمشاكل لرصد البنى الحجاجية³.

ودرست (هاجر مدقن) في كتابها (الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه) كتاب (المساكين للرافعي)، وعن تلك الملاءمة الحجاجية للنصوص الأدبية تقول هاجر مدقن: "كان لمنهج تحليل الخطاب كآلية درس واستقراء دور في استنباط أنواع الخطابات الحجاجية... وإبراز أهمّ خصائصها ومدى فاعليتها في تشكيل الحجاج ك مجال مفتوح يستوعب قدرا واسعا من عملية التواصل الإنساني - المنطوق والمكتوب معا - كما مكنّ من إثبات إمكانية توفّر الحجاج في النصوص الأدبية خاصة بعدما أبعدت من قائمة النصوص الحجاجية (بمعنى عام)، بل وتوفّره بأكثر من وجه من خلال الخطابات الحجاجية المستخرجة من المدونة ميدان البحث: "كتاب المساكين للرافعي"⁴

¹ - عزالدين الناجح، "انسجام الخطاب من خلال مقارنة حجاجية للمنظر الخامس من مسرحية السد لمحمود المسعدي" ضمن أعمال الملتقى الدولي لتحليل الخطاب، كلية الآداب تيزي وزو، الجزائر: 2009، ص12.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، دط. تونس: 2012، نيرفانا دار بوجميل للطباعة والنشر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

³ - محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، دط. القاهرة: 2005، ص 199 وما بعدها.

⁴ - هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ط1. الجزائر: 2013، منشورات الاختلاف، ص 195.

وقاربت الباحثة (أمينة الدهري) خطاب السخرية عند (الجاحظ) وعند (أبي حيان التوحيدي) وخطاب (طوق الحمامة) لابن حزم الأندلسي. و في إطار السخرية ذاته درس (محمد العمري) الخطاب الساخر عند (الجاحظ). من خلال مؤلفه (البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول). وفي تأسيساته الأولى سنة 1985 (أي العمري). درس الباحث الخطابة في القرن الأول الهجري، حينما بدأ دورها يزداد في البيئة العربية على إثر صراعاتها الجديدة وغير العادية¹.

وتناولت المؤلفات الجماعية المادة النثرية، إذ درس "علي عبد النبي فرحان" مقامات الحريري وذلك بإثبات وظيفة التناص الحجاجية². أما بالنسبة للمقال فنجد المقال السياسي موضوعا للبحث الحجاجي؛ إذ درسه (حاتم عبيد) من خلال دراسة موسومة بـ "من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف"³

وللقصّ نصيب في البحث الحجاجي إذ؛ نعثر على الباحث (محمد نجيب العمامي) يقارب أقصوصة القلعة لجمال الغيطاني في دراسة موسومة بـ (البعد الحجاجي في أقصوصة القلعة) لجمال الغيطاني، ويرى (العمامي) أنّ القصّ له مقبولية كبرى كمادة حجاجية بل العلاقة وطيدة بين القصّ والحجاج يقول: "والعلاقة بين القصة التخيلية والحجاج مغلّة في القدم سواء تعلّق الأمر بالأدب العربي أو بالأدب الغربي. فليس خافياً أنّ في بعض الأشكال القديمة كالحكاية المثلّية والخرافات.... حكاية مروية مستخدمة استخداماً حجاجياً. إلا أنّ

¹ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية-، ط2. المغرب: 2002، أفريقيا الشرق.

² - علي عبد النبي فرحان، وظيفة التناص الحجاجية والتأثيرية في مقامات الحريري، ضمن كتاب، الاستدلال الحجاجي ص223 وما بعدها.

³ - حاتم عبيد، من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص61.

الأشكال القصصية تطوّرت. وصار من خصائصها الفنيّة التلميح والإيحاء والغموض وإخفاء المقاصد¹. وهذا الإخفاء تعرّض له الباحث من منظور الضمني في الحجاج².

ونجد دراسة أخرى معنونة بـ (بلاغة الحجاج في سخرية الرحالين العرب من بلاد العم سام) للباحث (عبد النبي ذاكر)، وهي دراسة حجاجية لمادّة نثرية. وقد أثار الباحث السخرية حجاجيا فقال: "لقد شكّلت السخرية بما هي استراتيجية خطابية حجاجية وأسلوبية أحد أهمّ أقنعة المحتمل في الرحلات العربيّة إلى أمريكا. فما علاقة السخرية الغيريّة بالمحتمل؟ وكيف تتأسّس العلاقة بينهما وتنبين في النصوص الرحلية على خلفية حجاجية مقنعة؟"³ وهو إذ يقول هذا فهو يجد حجة لمشروعية هاته المادّة النثرية لأن يطالها البحث الحجاجي.

6- الخطاب العلمي الحجاجي التراثي مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:

الخطاب العلمي التراثي اليوناني مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث: لا يمكن لأيّ باحث أن ينكر مصدرية التراث اليوناني خصوصا المرتبط بأرسطو في تشكيل معظم نظريات الحجاج، وعليه يصير علينا واجبا أن نشير إلى الدّراسات العربيّة الحديثة التي درست الحجاج اليوناني في ذاته ولذاته وكذا تلك الدّراسات التي استعانت به. إذ لا يمكن أبدا التغافل عن إرث (أثينا). فمن الدّراسات الحجاجية العربيّة الحديثة التي ارتبطت بالظاهرة الحجاجية في الإرث اليوناني على شكل كتب أو مقالات مستقلة نذكر على سبيل المثال: دراسة للباحث الحسين بنو هاشم موسومة بـ (بلاغة الحجاج الأصول اليونانية) حاول فيها الباحث تأصيل الإشكالية الحجاجية في مهدها متابعا تطورها في النّسق الأثيني يقول:

¹- محمد نجيب العمّامي، البعد الحجاجي في أقصوصة القلعة لجمال الغيطاني، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته ج4، ص205.

²- المرجع نفسه، ص205.

³- عبد النبي ذاكر، بلاغة الحجاج في سخرية الرحالين العرب، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص

"انصبّ عملنا في هذا الكتاب على دراسة الأصول النظرية لبلاغة الحجاج عند اليونان. حيث تناولنا هذه البلاغة منذ نشأتها في صقليّة، مروراً بتطورها في أثينا على يد السوفسطائيين ومعلمي صناعة الخطابة. إلى أن استوت نسقا نظريا على يد أرسطو وهو النّسق النظري الوحيد الذي عرفه تاريخ بلاغة الحجاج إلى حدود العصر الحديث، والذي لا تشكل بلاغة الحجاج الحديثة سوى امتداد له"¹. وحلّل (هشام الريفى) النّضج النظري للحجاج عند (أرسطو) في المؤلف الجماعي الذي أشرف عليه (حمادي صمود) بدراسة عنوانها (الحجاج عند أرسطو). ونجده أي الريفى يصرّح بمادّته في النّسق الأثيني: "فمن الضروري حينئذ أن نقدّم في إيجاز معقد الخلاف بين أفلاطون والسوفسطائيين في خصوص وجه ممارستهم للقول الحجاجي. وأن نجلو المسافة الفاصلة بين المسلكين اللذين أخذ فيهما كلّ من أفلاطون وأرسطو في نقد الحجاج السوفسطائي عموما وأن نتدبّر بالخصوص الفرق بين مشروع صناعة القول الحجاجي الذي اقترحه الأستاذ وهو مشروع رسم خطوطه الكبرى في محاورة فيدر والصناعة التي بناها التلميذ. وهي صناعة بناها في أجزاء ثلاثة من الأورغانون وفي ذلك المشروع وفي هذه الصناعة مبادئ صادرة عن تصوّرين للحجاج والمعرفة مختلفين"². و بعدها يحسم (الريفى) في ضبط مادّته: "المواضع والتبكيّات السوفسطائيّة والخطابة ثلاثيّة تناول فيها أرسطو مسأليّة الحجاج، فيها كتب تجمع بينها مسأليّة واحدة وتشارك في العود من تلك المسأليّة، غير أنّ شراح أرسطو في الغرب منذ القرون الأولى اتفقوا في انتساب الكتابين الأوّلين إلى الأورغانون واختلفوا في أمر الخطابة وفنّ الشّعْر فقد اعتبر الجمهور منهم إلى حدود القرن الخامس أجزاء الكتاب ستة"³. وفي المؤلف نفسه نجد (حمادي صمود) درس منشأ الظاهرة الحجاجيّة وذلك من خلال قراءة خلفيّاتها، بدراسة

¹ - الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص 11.

² - هشام الريفى، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 54.

³ - المرجع نفسه، ص 92، 93.

أسماءها: في الخلفيّة النّظرية للمصطلح أي الحجاج؛ حيث أبرز المادّة الحجاجيّة في التراث اليوناني من خلال أسباب نشأتها، وهو إذ يعرض أسباب نشأتها من خلال الخلفيّة فهو يقارنها بأسباب نشوء البلاغة العربيّة¹. فالباحث قارن البلاغتين.

وتناول الباحث (محمد طروس) الظّاهرة الحجاجيّة في التراث اليوناني ووصفها بالبلاغة التقليديّة، حيث عمل على تحليل تلك البلاغة، فيصرّح بمادّة تحليله يقول: "ندرج داخل المقاربات البلاغيّة، كل الأعمال التي تناولت الحجاج من زاوية بلاغيّة، واعتبرته تقنيّات وآليّات خطابيّة موجّهة إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه. مميّزين في هذه المقاربات بين البلاغة التقليديّة التي انطلقت مع أرسطو واستمرت بعده شارحة أو مفسّرة أو موسّعة أو مطبّقة متخذة في الغالب طابعا تعليميا"².

وفي المؤلّف الجماعي (الحجاج مفهومه ومجالاته) نجد مقالات كثيرة تناولت الحجاج عند اليونان منها:

❖ أحمد يوسف: البلاغة السوفسطائية وفتحة الحجاج؛

❖ محمد أسيداه: السفسطة وسلطان القول؛

❖ محمد الولي: السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية؛

❖ حمو النقاري: حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع؛

❖ رشيد الراضي: السفسطات في المنطقيات المعاصرة.

ووجود هاته المقالات في مؤلّف واحد كمادّة هو دليل على الاهتمام بنشأة الحجاج. ولم يخل مؤلّف جماعي آخر من الاهتمام بالتراث الحجاجي اليوناني كمادّة ففي العمل الجماعي

¹ - حمادي صمود، مقدّمة في الخلفيّة النّظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص 11 وما بعدها.

² - محمد طروس، النّظرية الحجاجيّة من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقية واللّسانية، ص 14.

(البلاغة والخطاب) الذي أشرف عليه محمد مشبال تأمل محمد الولي محاورات أفلاطون وجورجياس وفيدر بدراسة وسمها بـ: "تأملات في محاورتي أفلاطون وجورجياس وفيدر"¹ وعلى سبيل الاستعانة بنشأة الحجاج لم تخل المؤلفات التالية من تطرّقها للحجاج اليوناني القديم. وذلك من أجل بناء بحوثهم انطلاقاً من خلفيات الظاهرة الحجاجية:

❖ علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والتمثال - نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري-؛

❖ جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة؛

❖ أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب؛

❖ هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه².

ومن أجل إبراز كتاب (شايم بيرلمان)، استعان (محمد الولي) بمصادر الحجاج القديمة فقدم لأفلاطون وأرسطو ثم بيرلمان. وكأنّ الأمر تصحيح³، وذلك في مجلة عالم الفكر التي خصّصت للحجاج في سنة (2011). وفي دراسة (النويري) للبرالوجيسم نجده استعان بالسفسطائية لتحديد البرالوجيسم.⁴

¹ - محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون وجورجياس وفيدر، ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، ص 49 وما بعدها.

² - علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والتمثال - نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري-، ص 14 وما بعدها. وينظر أيضاً:

جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 11 وما بعدها.

أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، ص 04 وما بعدها.

هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ص 39 وما بعدها.

³ - محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، الكويت: أكتوبر - ديسمبر 2011، ع2، م40، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 11 وما بعدها.

⁴ - محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 403 وما بعدها.

7- الخطاب العلمي التراثي العربي مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:

استدعى الباحثون الحجاجيون العرب المحدثون التراث العربي القديم، وجعلوه مادة لبحوثهم الحديثة إما لحتّ هاته المادة على التّفدّم وتقليبها بالمفاهيم الحجاجية الغربية أو لاكتشاف مواطن الحجاجية فيها. ومن البحوث الحديثة التي استدعت التراث/المادة على هاته الرؤية نذكر:

الدّراسة المقارنة التي تقدّم بها (حمادي صمود) في الخلفية النظرية للمصطلح حول أسباب نشأة الحجاج ونشأة البلاغة؛ إذ نجده فرّق تمام التفريق بين أسباب نشأة البلاغة الغربية عند أرسطو ونشأة البلاغة عند العرب، وأتاح في ذلك فرصا قليلة للتشابه مثل: مدونة الجاحظ. يقول (صمود) مصرّحا باختلاف المادتين من حيث النشأة: "لقد كانت الدواعي إلى نشأة البلاغة مختلفة تماما عن دواعي نشأة الخطابة"¹.

وفي الأعمال الجماعية دائما (كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته) نجد، المناظرة حاضرة في التحليل الحجاجي العربي الحديث. فساهم في هذا المؤلف الباحث (عبد العزيز لحويديق) بدراسة موسومة ب: "الحجاج في المناظرة مقارنة حجاجية لمناظرة أبي حنيفة مع الملحدين"². وفي التناظر دائما درس (حافظ إسماعيلي علوي) تراث (ابن حزم الأندلسي) بدراسة وسمها: (التّحاج والتناظر - آليات كشف التّغليط وآداب التناظر في تراث ابن حزم الأندلسي)³. وفي المؤلف نفسه نجد دراسة أخرى للباحث (أحمد أتركرمتر) درس المحاجة النحوية التي تمت

¹ - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 19.

² - عبد العزيز لحويديق، الحجاج في المناظرة، ج04، ص 316 وما بعدها ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته.

³ - حافظ إسماعيلي علوي، التحاج والتناظر، ضمن كتاب، الاستدلال الحجاجي، ص 123 وما بعدها.

بين أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس من خلال دراسة موسومة بـ (الحجاج في المناظرة – مقارنة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتى بن يونس)¹.

وفي نفس المؤلف أيضا تناول (علي محمد علي سلمان): الحجاج عند البلاغيين العرب مثل: الجرجاني عبد القاهر، والسكاكي... وغيرهم فهؤلاء ارتضاهم مادة حجاجية².

ودرس (محمد علي الواسطي) المادة البلاغية القديمة من تشبيه ضمني واستعارة ومذهب كلامي... كل ذلك في مقال ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته بعنوان: (أساليب الحجاج في البلاغة العربية فكانت تلك المصطلحات مادته الحجاجية)³. ودرس (الحسن بنعبو) المادة الفقهية في مقال عنونه بـ: (استئناف القول في الطبيعة الحجاجية للمقال الفقهي على شرط أبي حامد الغزالي)، وفي هذا الأمر يوضح الباحث استعمال مادته: وسنعمل في هذا المقال على بيان الطبيعة الحجاجية للمقال الشرعي مستنديين في ذلك على مواقف المحقق الأصولي والمنطقي أبي حامد الغزالي⁴.

وارتضى (الحسن مودن) المجاز مادة لدراسته الحجاجية وذلك بمقال عنونه: (حجاجية المجاز والاستعارة-) وذلك في الدرس البلاغي العربي القديم. وقد استثار هذا المفهوم عند الجرجاني والسكاكي خصوصا⁵.

وتقدم (شكري المبخوت) للمدونة التراثية العلمية العربية محللا وقد عبّر عن نفسه بنفسه فقال: "لهذا الكتاب صلة بشواغل علمية بعضها شخصي وبعضها مؤسسي ولكنها تقود في

¹ - أحمد أتركمرت، الحجاج في المناظرة، ضمن كتاب، الاستدلال الحجاجي، ص 149 وما بعدها.

² - علي محمد علي سلمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن كتاب، الاستدلال الحجاجي، ص 09 وما بعدها.

³ - محمد الواسطي، أساليب الحجاج في البلاغة العربية، ج03، ص 142 وما بعدها.

⁴ - الحسن بنعبو، استئناف القول في الطبيعة الحجاجية للمقال الفقهي على شرط أبي حامد الغزالي، ج03، ص 316.

⁵ - حسن المودن، حجاجية المجاز والاستعارة، ج03، ص 155 وما بعدها،

جملتها إلى سؤال جماعي اتخذ صيغا مختلفة: أين يبرز مبحث الحجاج في مدونة الثقافة العربية القديمة؟ في كتب المناظرات والجدل؟ في متون علم الكلام؟ في أصول الفقه؟...¹ ودرس (محمد مشبال) في كتابه البلاغة والسرد: الحجاج في أخبار الجاحظ فوضّح ما وضّح من قيم سردية عن طريق الحجاج.²

واستدعى (حسن المودن) قائمة من الباحثين التراثيين: مثل الجاحظ، الرماني، السكاكي، العسكري،... وذلك لبناء نموذج نسقي لبلاغة الخطاب.³

واستعمل (الناجح) آلية التقديم والتأخير عند كل من الجرجاني والسكاكي وذلك لبناء بحثه الضخم (الحجاج في الخطاب القانوني). وذلك على سبيل الاستعانة.⁴

ودرس (حسن خميس الملح) الدرس النحوي حجاجياً أي حاول أن يثبت فيه طرق الحجاج من خلال مقال موسوم ب: (الحجاج في الدرس النحوي).⁵ وقد حلّل (علي الشبعان) أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري بالاستراتيجية الحجاجية لروث أموسي.⁶ ودرس (محمد العمري) التداخل بين الخيال و التداول وحاول أن يؤسس للأمر في البلاغة العربية.⁷

8-الخطاب العلمي الحجاجي العربي الحديث مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:

¹ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص 09.

² - ينظر، محمد مشبال، البلاغة والسرد- جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، دط. المغرب: 2010، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي.

³ - ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي - نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب -.

⁴ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني ص 155 وما بعدها.

⁵ - حسن خميس الملح، الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، الكويت: أكتوبر- ديسمبر، 2011، ع2، م40 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 119 وما بعدها.

⁶ - ينظر: علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والتمثال - نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري-.

⁷ - ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول.

تناولت (هاجر مدقن) بسرعة وفي أربع صفحات الحجاج عند (طه عبد الرحمان) وعند (محمد العمري) وذلك في بناء بحثها المعنون بـ (الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه)¹.

وفي حجاجية المجاز والاستعارة تعرّض الباحث (حسن المودن) لمناولة (طه عبد الرحمان) لحجاجية الاستعارة فكانت مادّة من مواد مقالته². وعن طريق التّقدّ تعرّض (عبد الرزاق بنور) لبحوث (عبد الله صولة وشكري المبخوت). فكانت تقديمات الباحثين لنظريات الحجاج منقودة من طرفه حيث شكّك في سلامة نقلها من خلال مرجعيّاتها بدراسة معنونة: (الأطر الايديولوجية لبعض نظريات الحجاج)³ وتتول (صولة) من قبل (صابر الحباشة) في كتابه: (التداولية مداخل ونصوص) وذلك على سبيل التّعريف بكتابته حول القرآن⁴.

وفي مبحث كامل في المؤلف الجماعي (البلاغة والخطاب) تكاتف من أجل دراسة (محمد العمري) أربعة باحثين بأربعة عناوين مدرجة تحت عنوان كبير: (نحو بلاغة عامة -مقاربات لمشروع محمد العمري البلاغي-). والبحوث على التوالي:

❖ محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقارنة لمشروع محمد العمري؛

❖ إدريس جبيري، سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة؛

❖ محسن الزكري، الحجاج والتداول في البلاغة العربية القديمة عند محمد العمري؛

❖ محمد الموساوي؛ عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي⁵.

ودون أن ننسى معالجة (عزالدين الناجح) (الحجاج في الخطاب القانوني)، إذ نجده ذكر كمية من الدّراسات الحجاجية العربية مثل: المؤلف الجماعي الذي أشرف عليه (حمادي

¹ - هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ، ص 59 وما بعدها.

² - حسن المودن، حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص162 وما بعدها.

³ - عبد الرزاق بنور، الأطر الايديولوجية لبعض نظريات الحجاج، ج02، ص311، وما بعدها.

⁴ - صابر الحباشة، التداولية مداخل ونصوص، ص 45 وما بعدها.

⁵ - هاته الدراسات موجودة ضمن كتاب، البلاغة والخطاب، ص 241 وما بعدها.

صمود، دراسات عبد الله صولة)،... وذلك على سبيل الاستعانة بها في تحليله الحجاجي¹.

9-الخطاب الحجاجي الغربي الحديث مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث: ونقدّم في هاته النقطة -دون إطالة- ملاحظة عامّة، وهي أنّ الدّراسات العربيّة الحجاجيّة تكاد تكون مادّتها الأساسيّة في بناء بحوثها هي الدّراسات الحجاجيّة الغربيّة، إذ؛ تستغلّ الكفاية النظريّة والتطبيقيّة للخطاب الحجاجي الغربي المصدر وتستخدمه في بناء خطاب اللّغة العربيّة.

ثانيا: الكتابات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة التوافقية (عبد الله صولة وعزالدين الناجح أنموذجا):

1-الخطاب الحجاجي اللساني الغربي عند (عبد الله صولة):

إنّ المدوّنة الحجاجيّة للباحث (عبد الله صولة) نعدّها بداية خطابا متلقى من بيئة لغوية غربيّة وبيحث عن بيئة لغوية عربيّة يزدهر فيها، فعلاقة (صولة) والحال هذه، هي تلقي الخطاب الحجاجي اللساني الغربي، أو مفاوضة مسافة لسانية حجاجية موجودة بين الغرب والعرب، وستكون علاقتي بخطاب "صولة" هي تلقي خطاب (صولة) ببحث كيفية تلقيه للخطاب الغربي، وذلك حتّى نمسك بالكيفيّة المنهجية التي يثيرها أثناء التلقي، هاته الكيفيّة نسعى إلى وصف حدودها وعلميّتها، وإبراز جوانب إبداعها حين التبييء؛ وعليه نكون نسعى حينها إلى تقدير حجم المساهمة في تبييء النظريات الغربيّة علميا منهجيا، وبذلك نكون قد حزنا علاقة متوالدة متناصلة، ذلك أنّ العلاقة في أبده تعريف لها تنشأ من المسلّمة التاليّة: "كلّ علاقة تنتج بواسطة علاقة"، ومعنى هذا بالنسبة لنا أنّ هناك علاقة تلقّ أولى لصولة تكون منطلقا لعلاقة تلقّ أخرى - أمثلها أنا- بالنسبة لصولة، هذا هو حال العلاقات تنتمي

¹- ينظر، عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص14 وما بعدها.

هكذا منطقيًا، غير أنّ الذي يجمع العلاقات هو النصّ/الخطاب الذي يتوسّط بل تدور حوله العلاقات .

إنّ الفاحص المتأمّل لخطاب (صولة) والباحث لكيفية تلقيه للخطاب الغربي وتسييره عربيًا، يملك أن يعثر على عدّة بوّور، تمثّل هذه البوّور ربما غايات يتوخاها (صولة) تحقيقًا ومن بين هاته البوّور/الغايات وهي مرماه ما يلي:

➤ تحقيق كفاية تمهيدية ونظرية للخطاب الحجاجي اللساني الغربي بغية تعريف القارئ العربي بالإشكالية؛

➤ تحقيق كفاية تطبيقية وذلك بتحديد مادة لغوية وعلمية (القرآن، النثر، البلاغة العربية...)؛

➤ و تحقيق أبعاد إبداعية من خلال مفاوضة المسافة بين التّنظير والتّطبيق، وذلك من خلال إتقان التّلقّي فالتّطبيق فتأصيل برامج وفرضيات ونتائج الخطاب الغربي الحجاجي في وسط الملامح الحجاجية التراثية ممثلة في البلاغة، وبعبارة أخرى في وسط الخطابات العلمية العربية ذات الملمح الحجاجي، وذلك بغاية فتح الآفاق للزدهار.

تكاد تكون هاته الأمور التزامات باحث يتغيّا البرهنة عليها، أو بلغة حجاجية إحداث

القبول فيها. فما هي أحوالها في خطابه؟

نحاول أن نقبض على كل هاته الأمور وذلك بتمثّل تلقيه الأوّل لنكون على صلة قريبة به

أثناء التّلقّي، وكل ذلك من خلال أمرين:

➤ -علاقة خطابه بالخطابات المتلقّاة من جهة، فخطابه يحوز خطابات، أو بلغة

أصواتية، أصوات متعدّدة مختلفة، تعبّر عن وجهات نظر علمية، يجمعها حقل واحد

هو حقل الحجاج، وبسيرها بتلقّ علمي متكّم حقيقي هو (صولة). فكيف حدّد صولة

تعاون وتنافر تلك الأصوات في خطابه؟

➤ والجهة الثانية هي متولّدة عن هاته التي منذ قليل، والتي هي مرتبطة بمسير الخطاب، والتي يعمل من خلالها على تشعيب النصّ ليس فوضى أو اضطراباً، وأنّما من خلال آليات وخيارات بإتاحة الفرصة لانتقاء العناصر الدلالية. فيغدو النصّ بالنسبة لمتلقيه كأنه عنصر دلالي موجود من أجل عنصر دلالي آخر، يتمّ ذلك بتوجيه يحوكه المبدع ليس حياكة خارجية، وأنّما بالتنبه إلى الروابط الموجودة في بنية هاته العناصر الدلالية ذاتها أي بنية اللّغة/الخطاب.

وعليه يمكن أن يكون خطاب (صولة) ممثلاً بالأصوات الحجاجية اللسانية، والتي هي (مخازن حجاجية)، ويكون دور (صولة) اكتشاف الروابط التي تحدّد كيفية استعمال تلك الأصوات/المخازن الحجاجية. ووظيفتنا نحن إزاء ذلك هو وصف تلك الأمور، والصفحات القادمة تحاول أن تقدّم إثباتات مقبولة لذلك.

أ- نسق الكفاية النظرية من خلال القراءة الابستمولوجية التاريخية: إنّ الواصف

لخطاب (صولة) يجده خطاباً مليئاً بالملاحظات الغزيرة الناجمة عن القراءة التاريخية الابستمولوجية للظاهرة الحجاجية، فهو يعرض لعلماء الحجاج ويبرّر خصوصية كلّ نظرية قديماً هناك في (أثينا) وصولاً إلى أوروبا حديثاً، فبالنسبة للسياق اليوناني نجده أقام معاملة مع مصطلحين هما علامة من علامات الظاهرة الحجاجية في إرث (أثينا)، وسعى إلى أن يأخذ مكاناً وسطاً بينهما اقتداءً ببرلمان حديثاً يقول: "... فأهمّ منه فيما نحن منه بسبيل، أن نبحت في الحجاج من جهة علاقته بالجدل من ناحية وبالخطابة من ناحية أخرى، ففيما اطّلنا عليه وإن كان غير كثير، وجدنا للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل: مفهوم نجده مرادفاً للجدل ونجده خاصّة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة خاصّة ونجده

عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال)، ومفهوم له في العصر الحديث؛ وهو مفهوم أدق وأعمق من المفهومين السابقين، ذلك لأنّ الحجاج قد أخذ شيئاً فشيئاً في الاستواء مبحثاً فلسفياً ولغويّاً قائم الذات في العصور الحديثة مستقلاً عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية أخرى، وهذا المفهوم الذي للحجاج هو الذي سنعتمده في عملنا بعد أن ندخل عليه من التغيير ما يمكن...¹، إذا لاحظنا هذا القول فإننا سنلاحظ الخصوصية الاستمولوجية، التي تؤمن بالتصحيح والإكمال، فصولة اختار المفهوم الحديث الذي هو مفهوم مصحح ومراجع عن التصورات القديمة الأرسطية، والتي ربّما وقعت فيها الدراسات العربية القديمة نتيجة الارتباط التاريخي بالترجمة اليونانية، وباختيار المفهوم الثالث يكون بذلك رفض الدراسات العربية القديمة والتي يذكر منها:

❖ -أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج؛

❖ -بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن؛

❖ -جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

واستمر الأمر نفسه في الدراسات العربية الحديثة والتي يذكر (صولة) منها: حمّو الهادي، مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم.

وقد برّر صولة رفضه عندما استشهد بهاته الدراسات قائلاً: "إنّ اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفاً للجدل ومراوحتهم بينهما في الاستعمال واستخدامهم أحدهما معطوفاً على الآخر باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل من

¹ - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2. لبنان: 2007، دار الفارابي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، دار المعرفة للنشر، الجمهورية التونسية، ص8،9.

حيث هو صناعة منطقيّة¹، كما رفض أيضا المفهوم الذي يجعل الحجاج قاسما مشتركا بين الخطابة والجدل ويبرّر ذلك أنّ الحجاج الجدلي: "من قبيل ما عرض له أرسطو في كتابه الطوبيقي... ومداره مناقشة الآراء مناقشة نظريّة محضة لغاية التأثير العقلي المجرد... وأما الخطابي فمن قبيل ما عرض له (أرسطو) في كتابه الخطابة، وهو حجاج موجّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصّة، في مقامات خاصّة والحجاج ههنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي وإنما يتعدّاه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالاته ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحّة الواقع"²، ومن خلال مناقشة (أرسطو) للجدل والحجاج كلّ في كتاب (الطوبيقي والخطابة) استنتج منه صولة تشبّثت العقل البشري إلى ملكات متنافرة، جدليّة خطابيّة، وعليه فالذي يربط الحجاج بالخطابة فإنّ الخطابة موضع اتّهام لكونها مناورة، والذي يربطه بالجدل أيضا هو موضع اتّهام، ذلك أنّ الجدل لا يلمّ بما ينشأ في خطاب اللغات الطبيعيّة³.

وإزاء هذا الإشكال، يقترح صولة مفهوما ثالثا، وهو مفهوم تموقع فيه من خلال قراءته لتاريخ الظاهرة الحجاجيّة من جهة، ولدوقه أو سلوكه الابيستمولوجي الذي يؤمن بالمراجعة والتّصحيح للمبادئ والفروض والنتائج، فتدوّق (صولة) ابيستمولوجيّة الدّراسات الحجاجيّة الغربيّة الحديثة وتموقع فيها، وقد يبدو للقارئ بأنّه تموقع فيها مباشرة، ممّا يحثّ على غرابة هذا التّموقع، وممّا يزيد هاته الغرابة تموقعه بين عديد النظريات والتي يراها الجمهور مختلفة عن بعضها، إنّه أمر يقودنا إلى تعدّد الأصوات في تلقّياته، الأمر الذي يدعونا إلى تبرير هذا على مستوى الكفاية النظريّة التطبيقية.

¹- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ط2. لبنان: 2007، دار الفارابي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، دار المعرفة للنشر، الجمهورية التونسية، ص 15.

²- المرجع نفسه، ص 17، 18.

³- المرجع نفسه، ص 20.

إنّ البحث في تضاعيف كتبه يؤدي بنا إلى التبرير، والذي سنحاول وصفه قدر الإمكان. فقد عثرنا على صولة يقول موضّحًا تموقعه وخياره النظري: "للحجاج سبيل ثلاثة غير هاته التي تربطه بالخطابة، وهي موضع اتهام لكونها مناورة، وغير تلك التي تربطه بالجدل، وهي موضع اتهام بالقصور عن الإلمام بكل ما ينشأ في خطاب اللغات الطبيعية من وجوه المحاجّات. وقد أخذت هاته السبيل الثالثة في اللّحوب شيئًا فشيئًا منذ (1958) تاريخ صدور كتابين في الحجاج يضعانه في إطار فلسفي عام، ولم يكن أحد من المؤلفين على الأرجح بمطلع على ما كان يصنع الآخر... ثمّ إنّ الحجاج ما فتى حتّى صار بعد مع (أنسكومبر) و(دكرو) يعالج في إطار لساني محض أو يكاد، وقد حاول (مايبر) أن يستثمر الجهود الفلسفية واللسانية المذكورة في إطار نظرية أوسع هي نظرية المساءلة... التي شرع في وضع لبناتها الأولى في الفصل الأخير من كتابه (المنطق والكلام والحجاج)... على أنّ القوم لم يكتفوا بجعل الحجاج مستقلا عن الجدل والخطابة فحسب، وإنّما استطاعوا أن يبرئوه من تهمة الدعاية والاستمالة و المغالطة اللائطة به في أصل نشأته في كنف الخطابة"¹

نستخلص من هذا القول أن صولة يتصرّف تصرفًا ابيستمولوجيًا كما أشرنا، وذلك بالتّموقع في هاته السبيل الثالثة المراجعة لمن سبقها (أرسطو) والمراجعة لذاتها، فبرلمان غيره (دكرو) و(دكرو) غيره (مايبر)، ولكن (صولة) وهو ما نحاول إثباته يجمعهم تلقياً مقلّصا هوة الاختلاف بينهم، وهذا التلقي هو تلقّ منهجي وكأّنه بلغة الحجاجيين وصل حجاجي، سنوضّح مبرراته من جهة، ومن جهة ثانية كيفية موقعة (صولة) للإشكالية الحجاجية برمتها في منطق الخطاب، - وهي فرصة اشتراك نظريّات الحجاج التي يجمعها - فهاته النقطة هي فرصة من فرص وصله للنظريات الحجاجية المختلفة، إنّ هاته الفرصة ستقدّم مغزى ابيستمولوجيًا هامًا في كفايته النظرية والتطبيقية.

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص21.

هذا تحديد تلقيناه من (صولة)، تتشارك فيه أربعة خطابات، خطاب (أرسطو) وخطاب (شاييم برلمان) و(ألبريخت تيتيكاه)، وخطاب (أوزوالد دكرو) و(جون كلود أنسكومبر)¹. وخطاب (ميشال مايير) هاته الخطابات/الأصوات يمكن أن نفترضها عناصر دلالية ضخمة كل عنصر موجود على التوالي من أجل عنصر آخر؛ أي ابتداء من أرسطو وصولاً إلى (مايير)، وهاته الروابط الموجودة بين الخطابات، هي روابط ابستمولوجية - ذات منحى إيجابي - إنها روابط موجودة في بنية الخطاب ذاته، والتي انتبه إليها (صولة) تلقياً.

منذ قليل؛ اكتشفنا الرابط الأول بين الإرث اليوناني القديم/أرسطو وبين نظريات الحجاج برمتها، وقد تمّ توضيحه مع صولة بمصطلحي الجدل والخطابة، ونحاول أن نعزّز ذلك إذا ما تحدّثنا عن المنطق اللأصوري الذي أساه (برلمان) والذي أتاح الفرصة لتشكّل مفهوم الحجاج، يقول (شاييم برلمان) مستنداً إلى أرسطو مصحّحاً إيّاه- : "لقد قابل (أرسطو) الاستدلالات التحليلية كالتقياسات بالاستدلالات الجدلية، أي تلك التي نصادفها في المناقشات والمجادلات المختلفة حينما يتعلّق الأمر بمدافعة الآراء المقبولة... فإذا كان المنطق الصوري هو منطق البرهان فإنّ المنطق غير الصوري هو منطق الحجاج، وإذا كان البرهان يتراوح بين الصّحة والاعتلال، بحيث يكون ملزماً في الوضع الأول، ولا قيمة له في الوضع الثاني فالحجج تتراوح بين درجات متفاوتة من القوّة والملاءمة والإقناع، لا يتعلّق الأمر في الحجاج كما في البرهان ببيان كون قيمة موضوعية كالصّدق تنتقل من المقدمات إلى النتيجة، بل ببيان أنّنا قادرون على الظّفر بقبول السامعيين لمعقوليّة ومقبوليّة قرار من القرارات، انطلاقاً ممّا يسلمون به مسبقاً، وانطلاقاً من القضايا التي يميلون إليها بقدر كاف من التوتّر فالخطاب الإقناعي يتوخّى إذن نقل الميل، أي تلك الخاصية الذاتية التي لها القدرة على

¹ - ينظر الكتب التي يقصدها صولة وهي لأصحابها:

-Stephen Edelston Tuolmin , les usage de l'argumentation .

-Chaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation .

-J.C Anscombe O.Ducrot, l'argumentation dans la langue.

-Michel Meyer , Logique, Langage et l'argumentation.

التّغير بتغيّر الذّوات... إنّ النّسق الصوري يرينا ماهي النّتائج المتولّدة عن الأواليات، سواء اعتبرت هاته الأخيرة قضايا بديهية أو مجرد افتراضات اتّفق على قبولها، فالأواليات في النّسق الصوري ليست أبدا موضوع تنازع، إذ يفترض فيها أن تكون صادقة موضوعيا أو بالتواضع¹. يكون الحال وفق هذا أنّه تمّ تجاوز البنية الحجاجية الأرسطية بواسطة هاته البنية التي يقترحها (برلمان) وهي بنية مستخلصة من استخدام اللّغة الطبيعيّة، وتظهر قيمة التجاوز بشكل إيجابي بين خطاب (أرسطو) وخطاب (برلمان) من خلال استمرار صولة بمراقبة الروابط الاستمولوجية بين الخطابين/العنصرين الدلاليين الضّخمين المنتميين إلى حقبتين تاريخيتين - وهاته الرّوابط موجودة طبعا في بنية الخطاب ذاته من خلال المفهوم والمبادئ المنهجية-، فمن مفهوم الجدل والخطابة يتجاوز (صولة) إلى مفهوم ثالث يقول: "في حدود ما فهمناه من التعريفين السابقين صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى بكيفية تجعل الحجاج شيئا ثالثا لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة لنقل معهما إنّه خطابة جديدة ... الجدل لعبة نظرية، أمّا الخطابة فليست لعبة، إنّها وسيلة عمل اجتماعي وتكمن طرافة الحجاج عند (برلمان وتيتيكا) حسب رأينا في جعلهما الجدل في خدمة الخطابة، والخطابة في خدمة الجدل، فهو لها عماد وهي له امتداد"²، ويستمر (صولة)

¹ - شايمة برلمان، المنطق الصوري والمنطق غير الصوري، تر: أسامة الممتي، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة-، دط. الأردن: عالم الكتب الحديث، ج5، ص 193. وتحدث رشيد الراضي عن الحجاج أو منطق الحجاج والذي يختلف عن الاستدلال البرهاني كالتالي:

- مساره حوار، يستخدم أحكام القيمة التي تعتمد على المقبولية وهدفه الإقناع على أسس عقلية بلا إلزام، مقابل الاستدلال البرهاني الذي مساره عقلي، يخاطب الإدراك ولا يقبل اللبس وأحكامه إلزامية.

- برهنته لا شخصية وهي ليست ملزمة ومجالها الرأي الممكن، في حين أنّ الاستدلال برهنته لا شخصية ملزمة ومجالها اليقينيّات.

- الحجج تكون في كثرة ونسبية وجمهورها خاصّ وكوني ويعتني بالبحث عن الأفضل، في حين أنّ الاستدلال جمهوره كوني وحجته واحدة. ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والبرهان، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته- دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة-، ج1، ص185 وما بعدها.

² - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 28.

داعما الأمر بطريقة مباشرة يقول: "وفي هذا الصدد يتساءل المؤلفان عما إذا لم يكن (أرسطو) قد ساهم في تكريس هذه النظرية الثنائية القائمة على التضاد في مفهوم الحجاج بوضعه لمصنّفين اثنين مختلفين يتناولان موضوعا لهما، وهو مصنّف (الطوبيقي) الذي يوافق النوع الأوّل من الحجاج ومصنّف الخطابة الذي يوافق النوع الثاني منه ... إنّ قيمة تعريفي (برلمان وتيتيكاه) للحجاج تكمن في القضاء على هاته الثنائية في مفهوم الحجاج فعندهما كما هو واضح من التعريف الثاني خاصّة أنّ العمل الحاصل بواسطة الحجاج على صعيد العقل، وهو عمل التأثير النظري والإذعان والتسليم (وهو غاية الجدل عادة) مؤدّ إلى العمل السلوكي الذي كانت من جملة مصادره في منظور الخطابة العاطفة الملهبة والمشاعر الجياشة، ومعنى ذلك أنّ العمل المترتب على الحجاج ليس متوسّلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنّما هو عمل هياً له العقل والتدبر والنظر، وهكذا تكون قوى الإنسان (العقل، الهوى) عندهما قوى متضامنة متفاعلة لا قوى منعزلا بعضها عن بعض. وهو ما يدعمه قولهما منذ فاتحة كتابهما بأنّ حجاجهما أو "خطابتهما الجديدة" مرتبطة بالجدل والخطابة عند اليونان ولكنه ارتباط تجاوز الاتّباع إلى الإبداع في رأينا"¹

إنّ الروابط الاستمولوجية المستخلصة من بنيتي الخطاب؛ خطاب (أرسطو) وخطاب (برلمان)، أدّت إلى توجه العنصر الدلالي الأرسطي إلى عنصر دلالي بيرلماني تمثّل في إيجاد مفهوم للحجاج مبني على المبادئ المنهجية المعلنة منذ قليل، وهذا الأمر يراقبه (صولة) متلقياً إياه بطريقة كيفية أي؛ مفهوم الحجاج البيرلماني فيصوغه ترجمياً: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"²، ويكمل صولة مستكملا الروابط فيقول: "ثمّ إنّ الحجاج ما فتى حتّى صار بعد ذلك مع (أنسكومبر ودكرو) خاصّة

¹ - المرجع نفسه، ص28، 29.

² - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص27.

يعالج في إطار لساني محض أو يكاد¹، إنَّ تلقي هذا الوصف هو دعوة من صولة إلى أن مفهوم الحجاج ومبادئه ووظيفته المنهجية نقلت من عنصر دلالي/خطاب (برلمان) إلى عنصر دلالي آخر هو خطاب (دكرو) و(أنسكومبر)، والرابط الاستمولوجي الذي يجمع العنصرين الدلاليين والمستخلص من بنيتي العنصرين هو اختصارا اللسانيات المحضة يتلقى (صولة) هذا الأمر بكيفية أخرى: "لنا أن نتحدّث عن هذين الباحثين في مؤلفهما المشترك الحجاج في اللّغة (وفي تواليف دكرو وعموما) من حيث بنيته من ناحية ومن حيث وظيفته من ناحية. فالحجاج عندهما كامن من حيث بنيته في اللّغة ذاتها كما يدلّ على ذلك عنوان كتابهما، لا فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقيّة أو شكلية أو رياضية كما هو الشّأن عند (برلمان وتيتيكاه). فقد قالوا: "إنَّ الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولاً ق1 (أو مجموعة أقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر ق2 ويكون ق2 هذا قولاً صريحاً أو ضمناً وإذن فالحجاج عند (أنسكومبر ودكرو): إنجاز لعملين هما عمل التصريح بالحجة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرّحاً بها أو مفهومة من ق1... على هذا النحو يكون الخطاب المبني على تتابع ق1 وق2 تتابعا صريحاً أو ضمناً في شكل سلسلة من الحلقات الحجاجية الممكنة... لقد حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق اللّغة لا في البحث عمّا هو واقع خارجها... إنَّ اللّغة تحمل بعداً حجاجياً في جميع مستوياتها... ووظيفة الحجاج عندهما تكمن في التوجيه، حتّى أنّهما حصرا دلالة الملفوظ في التوجيه الناتج عنه... يقول الباحثان: "إنَّ المحاجة من أجل حصول النتيجة ن بواسطة أ (أي استخدام أ من أجل بلوغ النتيجة ن) إنّها هي في نظرنا ضرب من تقديم أ على أنّها ينبغي أن تؤدي بالمتلقّي إلى استنتاج ن، وجعل أ علّة لاعتقاد ن"².

¹ - المرجع نفسه، ص 21.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 36.

إنّ الحديث من خلال نصّ (صولة) هذا الضّم الغزير المادّة - والذي يحمل في بنيته روابط ابستمولوجية متلقاة بكيفية خاصّة عن إبداع موجود في بنية علمية عند (دكروو أنسكومبر-)، هو حديث انتقال من عنصر دلالي ضخم/خطاب إلى عنصر دلالي ضخم/خطاب جديد في الحجاج، ويمكن شرح التّرابط الابيستيمي بكيفية أخرى أو بتلقي آخر كالتالي:

❖ الوقائع التّداولية عامّة والحجاجية خاصّة موجودة في بنية اللّغة ذاتها فتدرس اللّغة في ذاتها ولذاتها، ووظيفة اللّغة حينها هي الوظيفة الحجاجية في ذاتها ولذاتها؛

❖ -هاته التّنتيجة/العنصر الدّلالي الضّم/خطاب (دكروو) كان نتيجة لحجّة موجودة في الخطابة الجديدة التي كانت تفرّق وتعلّل بأنّه يوجد تداخل بين الوقائع السياقية والدّوات التي تؤدّي تلك الوقائع والتي تعمل على جعلها حجاجية، أو قولبتها حجاجيا. ومنه يستمرّ (صولة) رابطا مرّة أخرى، إذ نجد هذا العنصر الدّلالي الضّم/الخطاب هو حجّة/علّة لنتيجة أو عنصر دلالي أضخم هو مساءلة (مايير). يتابع (صولة) هاته المسلسلة فيقول: "مفهوم الحجاج عند (مايير) استخلص بعضه من مفاهيم المدرسة الفرنسية (بمن فيها من أعلام بلجيك مثل برلمان) فهو مسبق إليه يُلخّصه على وجه التّبسيط والتّعليم. أمّا بعضه الآخر فيكاد يكون من صنعه وكدّ ذهنه. من ذلك الذي هو مسبق إليه تعريفه للحجاج يقول: "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمّنيّه"... وقيام الحجاج على قسمين صريح وضمّني عند (مايير) وعند غيره من الحجاجيين من المهتمّين بتحليل الخطاب، هو الذي يجعله ذا صبغة حوارية أي مسرحا تتحاور على ركحه الأطراف وتتفاوض... إنّ علاقة الضّمّني بالصريح، هي على صعيد لساني محض... أمّا القسم الذي يكاد (مايير) يختصّ به في صياغته لمفهوم الحجاج فهو القسم المتعلّق بربط الحجاج بنظرية المساءلة... لقد رأينا (مايير) يعرّف الحجاج بقوله: "هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمّنيّه. ونضيف في ضوء نظرية المساءلة التي صاغها فنقول: إنّ ظاهر الكلام هو الجواب

وضمنيه هو السؤال¹، يتمثل دعم العنصر الدلالي/الحجّة للعنصر النتيحة في توسيع المفهوم، أي توسيع الصريح والضمني؛ إذ ارتبط الصريح والضمني بالسؤال والجواب، فكأنّ الصريح هو الجواب في نظرية المساءلة والضمني هو السؤال، فيصبح الحال والأمر كذلك؛ أن يمارس الكلام الضمني والصريح في إطار الاستشكال العام. وعليه تغدو الإشكالية الحجاجية تعالج بصفة عامة حسب (مايبر) بقوله التالي: "وبصفة عامة، فإنّ السائل الذي يجد نفسه أمام الجواب سيعمل على استشكاله على نحو فعلي إذا لم يكن جواباً نهائياً ويثير سؤالاً فالجواب الذي يتعلّق فيه السؤال بمعرفة ما يكون جواباً عنه هو طلب للمعنى، غير أنّ هذا الجواب، وعلى العكس من أنماط الأجوبة الأخرى، ينصبّ فخاً عن قصد للسائل الذي يستدرجه (استنتاج) إلى جواب آخر، ويفعل ذلك بفرض نفسه في بادئ الرأي باعتباره ثابتاً على نحو تأويل، وذلك بالسّماح له بالوصول إلى الحلّ دون أن يضطرّ إلى طلب ذلك على نحو صريح من المتكلم"².

وبعبارة صريحة مرّة أخرى عند (صولة) يقلّص فيها الفروق بين نظريّات الحجاج وذلك عن طريق اللّوغوس يقول: "لقد قامت بلاغات القرن العشرين في مجملها على بعث بلاغة أرسطو... ويبدو عمود اللّوغوس أكثر الأعمدة جدّة من حيث إلحاحه على الكلام وجعله إيّاه في صدارة الحجاج أو البلاغة وهذا ما يقوّيه إلى روح القرن العشرين الذي جعل اللّغة من أهمّ قضاياها"³.

وعليه فإنّ عمل (صولة) من خلال هذه السلسلة هو تقليص البون بين النظريات الحجاجية، فالإكاملات والمراجعات تلك، هي حتّ ابستمولوجي أي من حيث المفهوم

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 39.

² - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة-، ص 48.

³ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة-، ص 30.

والمبادئ المنهجية والنتائج، وكل حثّ شكّل نسفاً جديداً مكمّلاً بالنسبة إلى النّسق القديم وتكمن محاولة (صولة) في النظريات الحجاجية برمتها على مستوى الكفاية النظرية في إحداث الحوار الاستمولوجي بين الأنساق الحجاجية.

نكون بذلك قد تلقينا (صولة) بإثبات تلقياته للظاهرة الحجاجية الغربية اببيستمولوجياً وكل ذلك بطريقة نسقية.* ونستمر في تلقي (صولة) تلقياً نسقياً وصفيّاً، ولكن هاته المرة بمتابعة تلقي (صولة) لتاريخ الظاهرة الحجاجية أو تحقيقاتها التاريخية، وأودّ بعبارة أكثر وضوحاً أن أسترجع تاريخ الظاهرة الخطابية/ الحجاجية/ البلاغية وبالضبط تاريخها الحديث والذي يقول (صولة) فيه متلقياً: "أما الغاية الثانية... وتتمثل في هدم الثنائية الضدية التي قامت عليها البلاغة في الغرب فهي اليوم كما يشير إلى ذلك (روبول)، بلاغتان: بلاغة الحجاج ومن أعلامها (برلمان) على سبيل المثال، فقد كان اهتمامه منصباً على درس الحجج ومصادرها أكثر من انصبابه على درس الأسلوب، وبلاغة الأسلوب من ناحية أخرى، ومن أعلامها جون كوهين"¹. إن (صولة) ميّال للربط والتعاون وهذا سلوك ثابت فيه في خطابه ككلّ، إذ؛ يربط مرة أخرى بين عنصر دلالي ضخم/ تحقيب تاريخي للبلاغة، هو الأسلوبية بعدما أهمل هذا التحقيب بل وكان سبباً يهدّد سقوط البلاغة بعنصر دلالي آخر هو البلاغة كما هي عند (بيرلمان) ومن بعده، إنّه بذلك يدعم تحقياً تاريخياً بتحقيب تاريخي، وقوله هدم ثنائية الأسلوب و الحجاج التي ميّزت العصر الحديث هو اكتشاف الروابط العلمية بين البلاغتين فالعنصر الدلالي - باسترجاع التاريخ- الأسلوب مع العنصر الدلالي الآخر الحجاج يمكن أن يتكتّلان وحدة واحدة؛ فيصيران حجة تسير من أجل نتيجة واحدة/عنصر دلالي ضخم

*- انتقد صولة النظريات الحجاجية الغربية في، (ص40) من كتابه، الحجاج في القرآن. وهذا دليل على قصور بعض النظريات مما أدى به إلى تمثّلها كلّها لتقليص الهوية بينها؛ متلقياً إياها توافقيّاً؛ وهو بذلك يفتح الباب للاستثمار والأنفع بدل التشتت.

¹- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 55، 56.

واحد هو أسلوب وحجاج متضامنان علميًا. أو بصريح تعبيره: "الأسلوب حجاجي والحجاج يحملهُ الأسلوب"¹

يمكن لنا أن نورد بعض الملاحظات بخصوص مقبولية هذا الهدم والذي نراه قليل الإثبات ذلك أنه ماذا لو طالعنا (صولة) بنصّ لريكور ألقاه سنة (1970) يتحدّث فيه عن القيمة الحجاجية للأسلوب في مقال تابع فيه تاريخ الظاهرة الحجاجية وصراعاتها مع الشعرية والتأويلية يقول ريكور: "ويجب علينا أن نقول في الأخير كلمة عن الأسلوب والتعبير الذي مال المحدثون ميلا شديدا إلى ردّ الخطاب إليه. فلا نستطيع غضّ الطرف عنه لدوره في استمالة المخاطب. فالأساليب البلاغية في المعاني والبيان والبديع تمدّ فنّ الإقناع بفنّ الإمتاع حتّى عندما يستعان بها في الحجاج ولا تساق لمجرد الزخرف والزينة"² هذا القول وكأته كقول (صولة) السابق "الأسلوب حجاجي". فالأمر يكاد لا يختلف. إلا أنّ الاختلاف فقط من حيث فضل سبق لريكور على (صولة). فالأسلوب والحجاج عند (ريكور) عنصران دلاليان ضخمان يدفعان بعضهما البعض لأجل نتيجة واحدة هي تضامن الأسلوب والحجاج.

هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى وبالنسبة لصولة نفسه وفي محطة أخرى ضمن كتاب (الحجاج في التقاليد الغربية)؛ وفي تقديمه لكتاب (بيرلمان) نجده يقدم قراءة تمهيدية لهذا الكتاب، والذي تحدّث فيه عن الاستعارة والكلام الصريح والضماني... إذ نعثر على الجوانب الأسلوبية التي لها دور في خطاب (بيرلمان) إذ؛ أبقى على قيمتها في صنع الظاهرة الحجاجية كما أبقى عليها أرسطو قديما، وفيما ينقله (صولة) نفسه عن (بيرلمان) بخصوص الجوانب الأسلوبية نستشهد بقوله: "يرى المؤلفان أنّ التمثيل في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته باعتباره أداة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية وتظهر قيمته الحجاجية هذه حين ننظر إليه على أنّه تماثل قائم بين البنى وصيغة هذا التماثل العامة هي: إنّ العنصر "أ" يمثّل بالنسبة

¹ - عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص58.

² - بول ريكور، الشعرية، الخطابية، التأويلية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ص206.

إلى العنصر "ب" ما يمثله العنصر "ج" بالنسبة إلى العنصر "د" وهو ما يوضّحه قول بعضهم: ما يؤسّس أصالة التمثيل وما يميّزه من التماثل الجزئي أي ما يميّزه من مفهوم المشابهة المبتدل على نحو ما، أنّه ليس علاقة مشابهة وإنما هو تشابه علاقة... ومعنى ذلك أنّ التمثيل مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة... إنّ التفاعل بين أطراف التمثيل ليشدّد ويلطّف أحيانا فيصبح استعارة ومعنى هذا أنّ الاستعارة مشتقة من التمثيل ومنطقة منه حتى اعتبر (ريتشاردس) الاستعارة حصيلة تفاعل لا نتيجة استبدال. لكن (ريتشاردس) لم يكن يعنيه من القول بالتفاعل في الاستعارة بعد هذا التفاعل الحجاجي في حين يهّم المؤلفين حجاجية الاستعارة انطلاقا من التفاعل الحاصل فيما بين الموضوع والحامل... إنّ لانصهار أطراف التمثيل بعضها في بعض صورا عدّة، وهو إذ يقرب بين مجالاتها المختلفة يسهّل من الناحية الحجاجية حصول آثارها الإقناعية. ومن المفارقة ربّما أن تكون من أكثر ضروب الاستعارة إقناعا وتأثيرا في رأي المؤلفين الاستعارات النائمة... والمقصود بالاستعارات النائمة الاستعارات التي تتوسي أصلها المجازي فغدت من معجم المجموعة اللسانية ومأتى طاقتها الحجاجية حسب المؤلفين مادتها التمثيلية التي يسهل على المخاطبين قبولها والتسليم بها ذلك أنّ هذه المادة ليست معلومة فحسب، وإنما مادة انسلكت بواسطة الكلام في التقاليد الثقافية التي لأصحابه¹. ويقول (صولة) شارحا الأمر بالتطبيق:

قَالَ تَمَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ﴿٥١﴾

[الجمعة: 5]. قَالَ تَمَالَى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَمٍ ﴿٥١﴾

[المدثر: 49 - 51] قال عنه ابن قيم الجوزية: هو من بدیع التمثيل (الأمثال في القرآن)... فالتداخل حاصل بين (أ) و (ج) في كلا المثالين أي بين اليهود والحمار في المثال الأول وبين المشركين والحمير في المثال الثاني. وهذا التداخل حاصل أيضا بين (ب)

¹ - عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة- لبييرلمان وتيتيكا"

ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 342، 343.

و (د) أي بين حمل التوراة وحمل الأسفار في المثال هذا التداخل حاصل أيضا بين (ب) و (د) أي بين حمل التوراة وحمل الأسفار في المثال الأوّل وبين الإعراض عن دين محمد والفرار من القسورة وهي جماعة الرّماة وقيل الأسد في المثال الثاني. وينشأ عن هذا التّفاعل بين أطراف التّمثيل تبادل بينها تأثيرا وتأثيرا فمثلا أكسب الحمار والحمر اليهود والمشرّكين قيمة سلبية اكتسبت أطراف الحامل قيمة سلبية هي أيضا من داخل التّمثيل فكون "الحمار يحمل أسفارا" وكون "الحمر مستنفرة" أمر لا غرابة فيه ولا قيمة سلبية له في حدّ ذاته. ومعنى هذا أنّ الموضوع في التّمثيل لا يكتفي بالتأثر بالحامل وإنّما يؤثر بدوره فيه¹. إنّ هدفنا من الاستشهاد بهذا النصّ الضّخم هو أن ندلّ على الإثباتات التّأسيسية للتّمثيل والاستعارة وهي وجه أسلوبية يدخل ضمن الاستدلال بواسطة التّمثيل وهو من الحجج القائمة على الاتّصال المؤسّس لبنية الواقع عند (بيرلمان وتيتيكا). وسنبرّر ذلك في الكفاية التطبيقية. وعليه؛ إنّ صولة يستأنس ببيرلمان في تأكيد الجوانب الأسلوبية للخطاب الحجاجي.

ونعدّ خطاب (دكرو) و(مايير) خطابا يبحث المسافة الموجودة بين الضّمني والصريح؛ وبين الضّمني والصريح تدرس كثير من الجوانب المجازية، أضف إلى ذلك أنّ تحليل (دكرو) هو تحليل لخطاب اللّغة الطبيعية بكل خصائصه المعجمية، التركيبية، الدلالية والتداولية؛ وهي متضامنة فيما بينها تمثّل أسلوبا. وكأنّ جمالية الأسلوب هي قيمة حجاجية أو جمالية حجاجية.

إنّ هذا التجاوز، هو تجاوز للمنظورية التي اعتنت بالعبارة جماليا فقط، وذلك إلى تجاوز يتمثّل في الظفر بمنظورية أخرى هي المنظورية الحجاجية دون إلغاء للمنظورية الأسلوبية. نستمرّ مرة أخرى - دائما مثبتين التّلقّي النّسقي عند (صولة) ولكن هذه المرّة بطريقة تقنية إجرائية، فصولة يوّد أن يتلقّى (دكرو وبيرلمان ومايير) متضامين متناسقين ومن أوجه هذا

¹ - عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة- لبيرلمان وتيتيكا" ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 341.

التضامن والتناسق، التناسق على مستوى الأسس وأنواع الحجج؛ وبالضبط على مستوى اللوغوس/الخطاب/اللغة يقول: "لقد قامت بلاغات القرن العشرين في مجملها على بعث بلاغة أرسطو بوجوهها أو أنواع حججها الثلاثة المذكورة* ... ويبدو اللوغوس أكثر الأعمدة جدّة من حيث إلحاحه على الكلام وجعله إيّاه في صدارة الحجاج أو البلاغة وهو ما يقربه إلى روح القرن العشرين الذي جعل اللغة من أهمّ قضاياها... وكانت بلاغة (بيرلمان) تشدّد على الكلام في حدّ ذاته، أي على الحجّة نفسها... ويمكن أن نلحق ببيرلمان رفاقه الذين جمعهم به عمود واحد هو العمود الأوسط عمود اللوغوس وخصوصا (دكرو) فهو مثل (بيرلمان) عوّل على الكلام وحده مصدرا للحجج ومسرحا لها ومثله فعل رفيق دربه (أنسكومبر)¹. ومن الناحية التقنيّة يتلقّى صولة النظريات الحجاجيّة دائما بطريقة تعاونيّة نسقيّة يقول بالنسبة للمصطلح التقني أي التوجيه: "على أنّ ما يتيح لنا أن نلحق ببيرلمان بدكرو على وجه الخصوص (ومعه رفيقه أنسكومبر) قيام مناويلهما الحجاجيّة معا على مفهوم التوجيه تقنيّا فعند (بيرلمان) يتحدّد الملفوظ الحجاجي بقدرته على توجيه الأذهان إلى الإذعان، أمّا عند (دكرو) فإنّه لما كان كل كلام حجاجيا بطبعه فإنّ الكلام وظيفته الجوهرية أن يوجّه لا أن يدل"²، وتزداد أهميّة التناسق والتعاون في تلقّي (صولة) من خلال تنبّهه أو تلقّيه لقانون النفع أو الجدوى لدكرو وتقليص الهوة بينه وبين الهيكله الحجاجيّة التقنيّة لبيرلمان وتيتيكا؛ يقدمه (صولة كالتالي): "فقانون النافع يترجمه متأوّل الملفوظ إلى سؤال من قبيل لماذا قال المتكلم ما قال؟ ويستعين في تحصيل الجواب عن ذلك بالمقام أو بالوضعيّة... فهو عندنا أخصّ بالخطاب الحجاجي على الأقل في البلاغة الجديدة ونظريّات

*- يقصد (الايّتوس الباتوس اللوغوس) والنّي تولد ثلاثة أجناس على التوالي، الخطبة المشوريّة، التثبيتيّة، المشاجريّة .

¹- عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته ص32.

²- عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته ص32.

الحجاج التقني عند (دكرو وأنسكومبر). يعتبر (برلمان وتيتيكا) من ناحية (دكرو وأنسكومبر) من ناحية أخرى؛ كل على طريقته، أنّ بين وحدات اللغة تفاوتاً في درجة التعبير حجاجياً عن فكرة ما بحيث يعتمد التعبير بالعنصر (أ) دون العنصر (ب) تطبيقاً لقانون الأنفع حجاجياً... أي فيما كان العنصر (أ) أو الطريقة (أ) أنفع وأجدي من الطريقة (ب)؟¹ هذا الأمر حجة/علة مشتركة كانت دافعاً لإيجاد نتيجة/عنصر دلالي بتوجيه كل من (دكرو وبيلمان) باستشفاف الكيفية من الحجة ذاتها. لكن توجيه (بيلمان) عام وتوجيه (دكرو) خاص ودقيق.

يرى (بيلمان) -حسب صولة- بأنّ اختيار المتكلم ألفاظه تتحكّم فيها غايات حجاجية خصوصاً إذا كان اللفظ (أ) مثلاً والواقع عليه الاختيار فيه عدول عن الكلام العادي، وهذا الاستخدام العدولي هو المقصد الحجاجي - أليس هذا دليلاً على أنّ الجوانب الأسلوبية مستخدمة حجاجياً في الجهاز التقني لبيلمان - ، والمهمّ عند (بيلمان) آلية الاستبدال.

دقّق (دكرو) الأمر أكثر من خلال العوامل والروابط، إذ؛ هاته العوامل والروابط تكسب الملفوظ بعداً حجاجياً في التوجيه نحو النتيجة الضمنية، فالعامل والرابط يحدّد من المسارات المؤدية للنتيجة وعليه، فالملفوظ الذي دخلت عليه العوامل الحجاجية أنفع من الملفوظ المجرد وإذ ذاك نقول بأنّ المتكلم طبّق قانون الأنفع²، يكون بذلك قد حدّد الأسلوب الحجاجي المناسب بهاته الطريقة التقنية؛ إنّ الأسلوب مستخدم وفق الآليات الحجاجية؛ إنّ الحجاج بهاته الطريقة هو استخدام الأسلوب.

ويقرب (صولة) بين (بيلمان ودكرو) من خلال تقنيّتي الفصل والوصل والعامل والرابط الحجاجي المنضوية في نظرية السّلام الحجاجية إذ؛ تتميز:

¹ - المرجع نفسه، ص33.

² - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته ص33، 34.

❖ الأولى بالعموم الفلسفي والشّاعرة؛

❖ والثانية بالدقّة اللّغويّة والخصوصية والتقليص. فصولة قدّر نسبة التّفاوت وقرب

الاثنين من بعضهما فقال: "إنّ الوصل يقوم على ضمّ الفكرة إلى الفكرة وإنّ تبايننا وجعل الواحدة بسبب من الأخرى للوصول إلى نتيجة واحدة، من ذلك على سبيل المثال: ما يسمّيه (بيرلمان) الوصل المؤسّس على بنية الواقع (مثل: الحجج القائمة على الوصل السببي ومثل حجة السّلطة) وما يسمّيه الوصل المؤسّس للواقع (مثل: الاستعارة والتمثيل). إنّ في الحجج القائمة على الوصل يربط بين أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وجعلها مقبولة ومسلّم بها... أمّا طرائق الفصل فبالعكس إذ يعمد فيها إلى ما هو كل فيحدث فيه فصل بين حقيقته وظاهره كأن نقول: هذا الرجل ليس رجلا أو ما هكذا يكون العدل (في الحديث عن وضع ما)... أمّا (دكرو وأنسكومبر) فإنّهما وإن اختلفا عن (بيرلمان) اختلافا كبيرا من حيث المنطلقات وطرق المعالجة للكلام الحجاجي فإنّه يمكن لنا أن نجمل طرائق هيكله العامل الحجاجي للملفوظ عندهما في اثنتين: فهي إمّا بالوصل والضمّ بحيث يأتي العامل الحجاجي الداخل على الملفوظ ليقوّي توجه هذا الملفوظ إلى النتيجة المطلوبة أو هيكله قائمة على الفصل والنقض ممّا يحدثه مثلا الرابط لكن في الملفوظ"¹.

وخلاصة هذه الإثباتات التي تمّت على المستوى الابيستمولوجي (مفهوما ومبادئ منهجية ونتائج تقنية) أنّ (صولة) هو منلقّ مفاوض بامتياز؛ هدفه الأوّل والأخير هو إحداث التّوافق أي؛ يسعى إلى ضمّ الفكرة إلى الفكرة وإنّ تبايننا. فهو باحث -بديمومة- عن فرص اللّقاء وهو في ذلك محقّ؛ خير من أن يتلقّى النظريات مشتتة، إنّه يسعى من أجل انسجام النظريات.

¹ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته،

إنّ خطاب (عبد صولة) من خلال مادّته ينقسم إلى؛ مادة لغوية قرآنية وأخرى علمية تتمثّل في البلاغة العربية القديمة، ويمكن أن نرجى تناول المادّة العلميّة وذلك لغاية تناولها منفصلة لاحقاً.

إنّ تحليلنا للمادّة اللغوية نحاول أن نكشف فيه كيفية تطبيق (صولة) لمنهجية الحجاجية والتي عمل على تنسيق تلقّيها، وكذا كشف صلاحية المادّة اللغوية للمنهجية التي يتبعها خصوصاً تلك المتعلقة بالقرآن الكريم الذي له مقاربات تحليلية مخالفة لمقاربة (صولة) نفسه. إنّ حثّ الترابط من قبل (صولة) بين منهجه ومادّته بالضبط هو غاية. (ننلقاه نحن بدورنا من خلالها و نتمنى أن يكون تلقياً نسقياً ووصفياً).

ب- قراءة في نسق التطبيق (في امتزاج الكفاية النظرية بالتطبيقية):

القرآن الكريم/الخطاب هو عنصر اختباري موجود من أجل منهج، عنصر محلّ له، فيكون المنهج/الحجاج من أجل القرآن الكريم، لقد فاوض (صولة) المسافة الموجودة بين مادّة عمله ومنهجه وبحث سبل التوافق بينهما فجعلهما متضامنين في نسق واحد، أو بصيغة أخرى بحث الروابط التي تقيم التناسب بين القرآن والمنهجية الحجاجية، ينطلق (صولة) في ذلك من مسلمة يسلم بها، ونجده استخلصها من تلقّيه الكفاية النظرية الحجاجية الغربية، يعبر عن مسلمته قائلاً: "إننا نروم الوقوف موقفاً وسطاً بين هذين الطرفين، فالرأي عندنا أنّه ما كلّ حجاج بفصل ووصل، كما أنّه ما كلّ قول بحجاج، وليست اللّغة بكلّ وحداتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاتها، وفوق كلّ هذا وذاك فإنّ لطبيعة النصّ دوراً أساسياً في إكساب لغته بعداً حجاجياً أو عدم إكسابها إياه"¹، إنّها دعوة مهمّة لاستجماع النظريات الحجاجية من أجل القرآن.

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص 40.

فالنص هو استدعاء للمنهج، إذ حسبه ليس طبيعياً إقحام المنهج في تحليل النص، يعتمد (صولة) هاته القيمة في تحليل الخطاب ليشرع موضّحاً التّناسب بين القرآن والمنهج، أو موضّحاً حجاجية القرآن، والتي يراها مميّزة فيه، فقد حلّ مفهوم الحجاج وقسم معانيه وموقع القرآن في هذا المفهوم منطلقاً في ذلك بالمساواة بين القرآن والخطاب، فالقرآن والحال تلك خصبا لأن يكون مادةً اختباريةً وفي هذا تحقيق لحدود تطبيقية ذات بال حجاجي:

❖ يهتمّ الحجاج بالخطاب وتحديد الخطاب المؤثر، فالحجاج منطقته الخطاب، خطاب اللغة الطبيعية، والقرآن مصوغ بلغة طبيعية هي العربية لها سامعها عندما تتشكل خطاباً، وقد ساوى (صولة) بداهة بين القرآن والخطاب يقول: "إننا ننطلق من فكرة بديهية جداً وهي أنّ القرآن خطاب، وكونه خطاباً يقتضي أنّه إقناع وتأثير، فقد حدّد (بنفنيست) الخطاب بقوله: "الخطاب، في أعْم مفاهيمه، كل قول يفترض متكلّماً وسامعاً مع توافر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع"¹. وعليه يستمرّ (صولة) مموقعا أو مثبتا الالتئام بين المادة المتمثلة في القرآن والمنهج/ الحجاج من خلال مفهوم السامع/المتلقي المرتبط بالخطاب من حيث التأثير.

❖ الجمهور الضيق أو الخاص: وهو مصطلح حجاجي طبعاً (نجده عند برلمان) ويمثّل هذا الجمهور - حسب (صولة) - السامعين الأولين أو المتلقين الأولين. وهم المذكورون داخل النصّ القرآني مثل خطاب بني إسرائيل، أهل الكتاب، الذين آمنوا،... وهو جمهور معيّن باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب كما في هاته الأمثلة

¹ - المرجع نفسه، ص 41.

وقد يكون غير معيّن على من اعتبر بأنه الرسول¹، والصورة النحوية في ذلك عادة تأتي على ضمير المخاطب المفرد مثل: صيغة فانظر...².

❖ **الجمهور الكوني:** وهو مصطلح حجاجي أيضاً، وهذا الجمهور يقع خارج النص وهو جمهور السامعين المتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنثهم يقول (صولة): "إنه بعبارة الحجاجيين الجمهور الكوني الذي رأيناه عند (برلمان و تتيكاه)، معناها بالحجاج من خلال الجمهور الضيق أو الخاص"³.

- **تعريف الحجاج:** ومنها أنه: "عمل غرضه دائماً أن يغيّر وضعا"⁴ هذا التعريف وجهته المستقبل فنجده يصيب القرآن، لكون أن القرآن جاء ليغيّر وضعا، وليحلّ مشكلة وليذيب عنفا...، وليستجيب لسؤال أمة، فهو كتاب إصلاح"... وهاته الكلمات لصولة يقول فيها مثبتاً ما كنّا نقول: "فهو يرمي إلى تغيير وضع ذهني يترتب عليه ضرورة تغيير وضع مادي في آيات من قبيل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 02]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾ [٢٧] قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 27-28]. وسواء أفادت (لعل) في الآيات المذكورة (وفي القرآن عامة) التّرجي أو التّوقع أو التّعليل أو غيره فهي في كل الحالات تعني - من الناحية الحجاجية - تعليقا لشيء وارد في (ق2) وهو العقل والذكر والتّقوى على شيء وارد في (ق1) وهو القرآن

¹- ينظر: استشهاد صولة بابن عاشور في الهامش وتحديده لأنواع المتلقي، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص42.

²- من الآيات التي استشهاد بها صولة في هذا الأمر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون: 01]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ [الأنعام: 93]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحَمَدُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَلَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: 14].

³- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص42.

⁴- المرجع نفسه، ص43.

تنزيله وضرب الأمثال فيه، على أنّ خطة تغيير الوضع هذه منصوص عليها في عبارات أوضح من قبيل: قَالَ تَعَالَى:

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ لِيُنذِرَ الْبَشَرِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [إبراهيم: 01]¹. ويضيف (صولة) داعماً لإثباتاته بدمج نصوص بين نصوصه ومنها هاته التي أمسكنا بها، وهي نصوص من التفسير - ابن عاشور مثلاً - وأعدّ هاته النصوص نصوصاً بمثابة الروابط الحجاجية بتعبير (دكرو) وإن اختلفنا عن (دكرو) منهجياً فقط، فدكرو يستشهد بالروابط اللغوية ونحن و(صولة) نستشهد بالروابط العلمية (الموجودة في كتب التفسير والمستخلصة من بنية القرآن الحجاجية ذاتها)؛ فمن بينها في الأمر نفسه الذي كنا نناقشه قول (ابن عاشور) الذي يوجّه نصوص (صولة) توجيهها إيجابياً نحو غرضه يقول: "إنّ الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها فأصلاح كفارها بدعوتهم إلى الايمان ... وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طرق النجاح وتزكية نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدّة الدعوة"²

ونضيف نحن لهذه الأمور أي حجاجية القرآن وجهتها للمستقبل، فمن الأمور المميّزة للحجاج التّوجه نحو المستقبل/ المتلقي، والذي حافظ عليه (برلمان) محافظة شديدة، أي؛ ورث أهميّة المتلقي عن (أرسطو) ودعمها في كل فقرة من كتابه مع (تيتيكا)³ وهذا الأمر

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 43.

² - ابن عاشور التحرير والتوير، ج 1، ص 81، نقلاً عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 44.

³ - ينتشر هذا الأمر كثيراً في تضاعيف كتاب الخطابة لأرسطو، ومصنف في الحجاج لبرلمان وتيتيكا الذي ذكرناه سابقاً ينظر أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، دط. بغداد: 1986 دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام .

يفسر واقعياً الرأي المحتمل؛ فالرأي المحتمل مجاله المستقبل يقول برلمان: "فدراسة الرأي المحتمل ... تستطيع في هذا التحديد من أن تأخذ موقعها - يقصد الخطابية-"¹.

وأيضاً، حسب (برلمان وتيتيكا) يريان بأنّ الحجاج هو بديل عن العنف، فنتائج الحجاج تتم بواسطة الخطاب الحواري و فقط، ويمكن أن يتحصّل على النتائج بالعنف، ولكن هذا لا يتماشى مع نظرية الحجاج أبداً، فالعنف كوسيلة مطرود طرداً من نظرية الحجاج، فالخطاب يجعلنا ندرك الفرق بين حرية المعتقد والإكراه، فالحجاج جاء كنظرية في مضمونها العام أو مغزاه إن صحّ التعبير لتأسيس الاختلاف وفسح المجال للحريات، يناسب (صولة) الدليل بالدليل فيقول: "وغني عن البيان أنّ القرآن من هذه الناحية حجاج صرف، لا لكونه خطاباً حوارياً فحسب ... وإنما لأنه يدعو أيضاً بصريح اللفظ إلى نبذ العنف في شأن الإيمان وهو ما يقتضي حجاجياً أنّه حوار وحجاج، ويظهر هذا في آيات كثيرة منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 99]. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ

مُذَكِّرٌ ﴾ [النبي: 21-22]. قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

[البقرة: 256].² ويضيف (صولة) تعبير (ابن عاشور) كرابط يدعمه³ يقول: "ومما... قاله ابن عاشور في تفسيرها " ونفي الإكراه خبر في معنى النهي ، والمراد نفي أسباب الإكراه في حكم الإسلام ، أي لا تكرهوا أحدا على اتباع الإسلام قسراً . وجيء بنفي الجنس لقصد

¹ - CHaim perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca ، traité de l'argumentation,p07.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص44.

³ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص44. الاستشهاد في الخطاب العلمي نعده على سبيل التشابكية رابطاً يوجه المعنى، ينظر: الروابط اللغوية في: دكرو وأنسكومير من خلال كتابهما، الحجاج في اللغة، وقد سحبتنا الروابط اللغوية على سبيل التشابكية، ينظر: مصطلح التشابكية في: باتريك شارودو ، الحجاج وإشكال التأثير، تر: ربيعة العربي، ضمن كتاب، الحجاج والاستدلال الحجاجي- دراسات في البلاغة الجديدة-، ط1. الأردن: 2011، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ص291 وما بعدها.

العموم نصا، وهي دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، لأنّ أمر الايمان يجري على الاستدلال والتمكين من النظر وبالاختيار¹

- المضمّر والمظهر/الضمني والصريح/السؤال والجواب: عند (دكرو وبرلمان ومايير) عناصر دلالية يربطها (صولة) - من خلال تلقينا لها - من خلال اقتراح مرادفاتهما المضمّنة في القرآن، فنعدّ نص (صولة) التالي عنصرا دلاليا نتيجة موافقة لمصطلحات (دكرو برلمان مايير) والتي يتمثلها (صولة) من أجل إثبات وجودها في الخطاب القرآني، يقول (صولة): "والقرآن استجابة لسؤال الأمة التي نزل فيها وتحقيق لرجائها القديم على نحو ما تبينه الآية التالية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ [فاطر: 42] والقرآن في مواضع غير قليلة منه جواب صريح للأمة عن سؤال كان منها صريحا ويكون ذلك عادة في صيغة (يسألونك، قل،...) وهو جواب عن أسئلة تحكي عنهم في شأن البعث خاصة وهو احدى شبهتي العرب الاثنتين في جاهليتهما كما يرى الشهرستاني (ت541هـ/1153م). وهذا في آيات مثل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَجْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون: 82] ..²

حتى الآن قدّم صولة إثباتات ليست باليسيرة، جعلت القرآن خطابا حجاجيا فالقرآن خطاب يحتوي على عناصر دلالية ضخمة حجاجية، هاته الضخامة أدت بالعلماء -وهم كثير- الذين تابعوا القرآن إلى إحرار مدونات علمية تحلله غاية في التنوع تمثل شساعة القرآن أي؛ صعوبته (قدسية) يقول صولة: "وللقرآن من المعاني ما لا يمكن أن يقف به المؤول عند حدّ. وله أسباب نزول... المحكم والمتشابه و"الناسخ والمنسوخ" و"المقدّم والمؤخّر" و"الوجوه

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص26، نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص45.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص45.

والنظائر" و"الحقيقة والمجاز" و"الإطناب والإيجاز" و"المكي والمدني"... إلى غير ذلك من الظواهر التي عدت عماد "إعجازه" وجماع علومه. وهو فوق ذلك "قد أنزل على أكثر من حرف"¹، و(صولة) كعادته التنسيقية يظفر بحلّ يحاول أن يتوسّط به العناصر الدلالية الضخمة للقرآن، والتي يعمل من جهة على تحديد كيفية تدافع بعضها البعض حجاجياً انطلاقاً منها أي؛ من بنيتها، فيعمل على اكتشاف كيفية توجيه معاني القرآن بعضها البعض في إطار خطاب ضخم شاسع. وهاته الشّساعة تخوّف منها (صولة) وبرّر بأنّ الأمر سيكون صعباً عليه وحده. فمن أجل التوجيه حلّ بنفسه ما حلّ، واتّصل بروابط أخرى اكتشفت قبله على سبيل الاستعانة والتّضامن.

هذا هو الحل الذي يقترحه (صولة) والذي يراه أنجى له، فيعلّق أو يبرّر موافقته على الاستعانة بتلك الروابط يقول: "لقد دعانا إدراكنا لصعوبة المسألة إلى أن نستعين على تحديد معاني القرآن تحديداً حجاجياً بكتب علوم القرآن العامّة منها والخاصة، وبتفسير (ابن عاشور) المذكور وهو تفسير ترجح فيه كفة الجانب اللّغوي والبلاغي كفة سائر الجوانب. إنّه بالإضافة إلى قرب صاحبه منا في الزمان والمكان، جماع التّفسير القديمة كلّها تقريباً. وفيه فضل عليها بما اجتهد صاحبه فيه وأضاف... لكن هذا لم يؤدّ بنا إلى هجر التّفسير القديمة وعدم الاستعانة بها في تدبّر معاني القرآن تدبّراً حجاجياً. فقد اعتمدنا على سبيل المثال كتاب الكشّاف للزمخشري"²، وهاته الاستعانة بالروابط تلك -التي توجه معاني القرآن- قيدها صولة ولم يتركها أبداً تؤثر على الروابط التي يكتشفها هو بنفسه ومن بين شروطه في ذلك يقول: "نستعين بكتب التّفسير هذه كلّها وبغيرها ممّا لم نذكره كلما اضطرّتنا إلى ذلك شروط الدّقة والتّحري العلميّة، وكلّما كان ذلك ممكناً بطبيعة الحال. غير أنّ استعانتنا هذه ستكون دائماً من منظور... أنّ الكلام القرآني كلام حجاجي أساساً بالمعنى الذي حدّدناه للحجاج

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص46.

² - المرجع نفسه، ص46، 47.

وهو أوسع بكثير جدًا من معناه عند القدماء مفسرين كانوا أو أصوليين أو بلاغيين. فلن تحملنا كتب التفسير هذه إلى فهم معين للقرآن، ولا نحن بحاملين إياها على فهم معين له، إذ ليست غايتنا بيان حجاجية القرآن من خلال التفاسير. وإنما نحن نرمي فحسب إلى توظيف فهم المفسرين ممن نثق بهم ونطمئن إليهم، لبعض معاني القرآن في نطاق الأطروحة التي نصوغ. إن هؤلاء المفسرين يراعون كثيرا قواعد اللغة والإعراب والبلاغة التي من شأنها أن تكشف عن المعاني القرآنية بطريقة "موضوعية". وهم إلى ذلك يأخذون في الاعتبار كثيرا مقامات القول القرآني يفسرونه بها ويتناولونه بها في ضوءها. واعتبار المقام أساس النظرية الحجاجية التي نعتمد¹. ينهي (صولة) قوله بحجة أخرى للاستعانة وهي عنصر المقام. وعليه نملك أن نقول جامعين إن هاته الروابط هي روابط خادمة لروابط (صولة) فقط.

نسقية الخطاب الحجاجي الأسلوبي:

كل علاقة هي ميلاد علاقة جديدة، تلقينا منذ قليل (صولة) مقربا أو مفاوضا المسافة بين المادة المتمثلة في القرآن الكريم والمنهج المتمثل في الحجاج، وانتهى به الأمر من قوة تداخل العلاقة بينهما إلى إثبات تجذر الحجاج في البنية اللغوية القرآنية ذاتها وهو مرمى (دكرو) في حجاج اللغات الطبيعية. لذا يراهن (صولة) من أجل علاقة نسقية أخرى وهي خطاب حجاجي (القرآن) في أسلوب. إن (صولة) هذه المرة يفاوض من أجل نسقية الخطاب الحجاجي (القرآن) الأسلوبي.

يختار (صولة) من بين الأسلوبيات تلك الأسلوبية التي تُعنى بالاستخدام اللغوي المهيمن في النص²، وبالضبط في معجمه وتركيبه وصوره³، فالقرآن له ظواهره الأسلوبية على هاته

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص47،48.

² - فضل صولة من بين الأسلوبيات أسلوبية ريفاتير وقد اعتمدها في بحثه، ينظر:

Essais de stylistique structurale, présentation et traduction de daniel delas , -M . riffaterre
flammarion,1971.

³ - يستثنى صولة الموسيقى وهي جوانب أسلوبية معهودة في التحليل.

المستويات متكررة ومتفاوتة في حضورها - هاته الخصائص الأسلوبية تتجه مهما اختلفت إلى تنظيم حجاجي¹، فكل أسلوب عنده يردّ إلى الوظيفة الحجاجية، وكأنّ الأسلوب (ق1) حجة عنصر دلالي ضخم موجه إلى عنصر دلالي/نتيجة هو الحجاج، فالأسلوب موجود من أجل الحجاج. وعليه يجمع (صولة) القرآن والحجاج والأسلوب في متتالية واحدة، وبدون شك أنّ الحجاج وبعده الأسلوب قد تعاونوا في بنية القرآن ذاتها /اللغة / الخطاب. إن صحّ هذا الشكّ بتعبير (دكرو) طبعاً، يقول (صولة) في هذا الأمر: "أسلوب القرآن ذو بعد حجاجي وأنّ الحجاج فيه ناشئ عن طريقة له في القول مخصوصة، فضلا عن نشوئه من مضامين هذا القول ... إنّ ما تردّد من ظواهر لغوية في القرآن غدت تمثّل خصائصه الأسلوبية، ناجم في رأينا عمّا انطوت عليه هذه الظواهر من طاقة حجاجية، بحيث بات تكرر الظاهرة اللغوية الذي عنه ينشأ الأسلوب يعني تكرر المعنى الحجاجي. ومعنى هذا أنّ أسلوب القرآن حامل حجاجا وحجاجة مجسّد في أسلوبه"²، وبمعنى آخر؛ نجد الحجاج مضمّنا في بنية اللغة ذاتها وكذلك الأسلوب، إلّا أنّ الأسلوب يوجد مسافة بينه وبين الحجاج من خلال أنّ الأسلوب يستخدم البنية الحجاجية استخداما أسلوبيا.

وعليه من أجل استحضار تلك الصلّة الملاحظة - من قبل (صولة) - بين الحجاج القرآني والأسلوب استحضارا نسقيا، أرى أن أخصّ البنى الحجاجية القرآنية التي تعتبر الأساليب تحقيقا لها بموضوع نظري أسميه (حجاج القرآن)، إنّ هذا الإجراء يبدو لي هامّا من حيث أنّني أفترض إمكان صياغة قوانين تقوم من جهة بحساب دلالة حجاج القرآن انطلاقا من بنيتها النحوية المعجمية، ومن جهة أخرى بالتنبؤ عبر هاته البنية الحجاجية القرآنية بخصائص الأساليب، غير أنّ الطرافة في هذا المستوى أنّنا نجد (صولة) يمارس هاته الأمور تطبيقيا، ويعتذر عن ممارستها نظريا يقول: "... القرآن لما كان كتاب حجاج

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 53.

كما قلنا وجب أن يكون للحجج ومصادرها وكيفية انبائها نصيب هامّ من الدّرس، وهو ما عني به (برلمان) و(تيتيكاه) وحتّى (روبول)¹، على نحو ما في الحديث، وأرسطو والجاحظ في القديم ... لكننا لن نهتمّ بهذا أيضا لخروجه عن مدار بحثنا وذلك لأنّ بحثنا معقود لحجاج الأسلوب، لا لرصد أنواع الحجج وطرائق تبويبها في النّص، وإن كان يصعب أحيانا الفصل بين هذه الجوانب الثلاثة عند التطبيق². من هنا نستمرّ مقدّمين المستويات الثلاثة محاور درسه لنحاول اكتشاف قيمتها النسقيّة (المعجم والتركيب والصورة).

1. المعجم: يختار (صولة) من بين تعريفات المعجم التّعريف الذي تستعمل فيه الكلمات في مواطن حيّة بلغة طبيعيّة* يقول ناقلا عن (ديبوا): "أمّا المعنى الثاني الذي لكلمة معجم والذي يهمننا في هذا المقام فيضعه على محور الكلام، من حيث إنّ الكلام نشاط فردي مخصوص، فهو بهذا المعنى قائمة الكلمات التي يستخدمها شاعر أو كاتب أو هي مستخدمة في مدوّنة خطاب ما كالخطاب القرآني"³، فمعجمه هو معجم خطابي أي؛ معجم لغوي مستعمل بطريقة تداوليّة.

• موضوع دراسته: يقول عنه: "إننا سنعمد الكلمة موضوعا للبحث في معجم القرآن الحجاجي"⁴ وتحديد موضوع الدّراسة بهذه الطريقة كان حجة لنتيجة وهي ظفره بتقديم

¹- يشير صولة إلى ذلك بالتحديد في:

Reboul olivier ,Introduction a la rhétorique ,P ,U ;F ,1991.p123/124

²- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص 51، 52.

* يمكن مراجعة الأمور في الكتب التالية: توشيهيكو ايزوتسو، الله والإنسان في القرآن. علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، تر هلال محمد الجهاد، ط1. لبنان: 2007.

عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي -نماذج تحليلية جديدة- ، ط2. المغرب: 1999، دار توبقال للنشر.

إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، ط1. بيروت: 1997.

علي القاسمي، علم اللّغة وصناعة المعجم، ط2. السعودية: 1991، منشورات جامعة الملك سعود.

³ -J. Dubois et al, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1972,pp, 297-298.

نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية ، ص 63.

⁴- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص 68.

تعريف حجاجي للكلمة يقول فيه بعد أن استعرض تعريفات العرب القدامى وبعض المحدثين وبعض اللسانيين العرب أيضاً، يقول في تعريفه: "إنها الوحدة المعجمية - الصرفية - الإعرابية معا القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلالية إضافية من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه وبالمقام الذي تستعمل فيه وهي قادرة في الوقت نفسه على التأثير في المقال والمقام بفضل مالها من قيم دلالية مختلفة بعضها مستمد من اللغة نفسها وبعضها متأت من الاستعمال والتداول"¹. والذي يهمني أنا كمتلق لهذا التعريف هو حسن موقعة هذا التعريف العلمي في المبادئ المنهجية الحجاجية القائمة من أجل التأثير والإقناع وهذا التأثير حسب (صولة) له رافدان:²

أ. رافد اللغة ذاتها: فالكلمة في بنيتها ذاتها لها شحنة دلالية وحجاجية مخصوصة تغطي على السياق، فالكلمات بفضل مقتضاها تجعل للسياق وقعا معنوياً "فما نسميه وقع المعنى السياقي الذي للكلمة إنما هو ذلك التغيير الطارئ على ذلك السياق من جراء إقحامنا تلك الكلمة فيه أي التغيير الذي تحدثه الكلمة في معنى الملفوظ الجملي"³.

ب. الرافد التداولي: استأنس (صولة) في توجيه حجاجية الكلمة برابط أو كيفية لريكور وباختين - طبعا مع تهذيبه هو - إذ حدّد التوجيه قائلاً: "فالكلمة من زاوية نظر (ريكور)

*- يذكر (عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 66) انعدام الدقة في تعريف الكلمة في كتب التراث وبعض المحدثين من خلال استشهاده بـ:

جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع؛ حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية.

¹- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 68.

²- يصرح صولة بوجوه اختلافه عن تعريفات القدامى وتعريفات الغرب المعاصرين في: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 69، 70. ينظر تفاصيل ذلك.

³- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص 71، 72.

و(باختين) في علاقة جدلية مع السياق الذي يحملها تأخذ منه دلالتها على صعيد آني وتضفي عليه من دلالتها على صعيد زمني. ولا خلاف في ذلك، لكن ما نخالفهما فيه الرأي هو أنّ الدلالات التي تكتسبها الكلمة من خلال استعمالها السابقة لا يكتفى بأن يقال في شأنها إنّها تمنح السياق أو الجملة بعدا تاريخيا وهو قول (ريكور). كما أنّه لا يمكن أن يكتفى بأن يقال عنها إنّها تضفي على الكلام بعدا حواريا (Dialogique) "تتاصيا" وهو قول (باختين)، وإنّما هي من زاوية نظرنا الحجاجية، تكسب أيضا الخطاب الذي ترد فيه "وقعا معنويا خاصا وبعدا حجاجيا أعمق في علاقته بمتلقيه"¹، فتهديب (صولة) لريكور و(باختين) كان بأن حصر وجهة نظرهما بتوجيه حاجي منه. أو التّموقع في التأثير على المتلقي. وعليه أبداع (صولة) مصطلحين لتعريف معجميته: خصائص الكلمة الحجاجية وحركة الكلمة الحجاجية والعلاقة بينهما هي علاقة حجة ونتيجة على التوالي يقول: "إنّ للكلمة خصائص في ذاتها تستمدّها من اللّغة ومن التّداول تجعلها مؤهّلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حجاجية، وترشحها لتكون من معجم الخطاب الحجاجي وقوام جداوله اللّغوية، وإنّ لها في الخطاب بناء على تلك الخصائص، حركة تقتضي فيها غيرها وتعوضه وتحلّ محلّه ليكون الخطاب أوغل في الحجاج وأذهب في الإقناع. نسمّي تلك خصائص الكلمة الحجاجية ونسمّي هذه الحركة "حركة الكلمة الحجاجية ... ذلك هو مفهومنا للكلمة من وجهة نظر حجاجية وهو المفهوم الذي سنطبّقه عند دراسة معجم القرآن في معظم كلماته المكوّنة له أو على الأقل في أكثر كلماته تواترا واطرادا"²، هذا المفهوم التّطبيقي أبداعه (صولة) وهو في ذلك وفيّ تمام الوفاء لحدود كفايته النّظرية عندما استعمل مبدأ مهماّ لدكرو وبرلمان معا وهو أنّ خصائص الكلمة الحجاجية مستمدّة من اللّغة ذاتها حسب (دكرو) ومن التّداول حسب (بيرلمان). وكذا تموقعهما بين الكلمات فكأنّ طريقة قانون النّفع أو الجدوى الذي اقترحه (دكرو) هنا مطبّق بامتياز أي بصيغة إبداعية مهمّة. فهو استعمل (دكرو وبيرلمان) لأنّ

¹ - المرجع نفسه ، ص73.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص74.

(دكرو) نسقي و(بيرلمان) يغلف الوقائع/الكلمات تغليفا حجاجيا. (مازالت نظريته كما أسلفنا لم تدمج الوقائع في بنية اللغة).

- الخصائص الاقتضائية والخصائص التقويمية للكلمة: (من رافد اللغة/ بنية اللغة ذاتها).

- الخصائص التداولية للكلمة: وهي من التاريخ والمجتمع مضافان إلى دلالة الكلمة ذاتها.

بالنسبة للخصائص الاقتضائية والتقويمية نورد مايلي:

❖ **المقتضى:** يقول (صولة): "والرأي عندنا أنّ المقتضى الناجم عن معنى الكلمة (شأن

كلمة الله) يمكن أن يتحول هو نفسه، في الملفوظ القرآني إلى مقتضى برغماتي ناقلا

بذلك المقام أو الواقع من خارج الجملة إلى داخلها. فكلمة الله إذ ترد في أقوال قرآنية

كثيرة هدفها تحقيق عمل لا قولي ما، تؤدّي بواسطة مقتضاها المعجمي شرطا من

الشروط التمهيديّة (les conditions préminaire) التي تعدّ لنجاح الرسالة وهذا

الشرط الذي يوفره المقتضى المعجمي، هو أنّه المعبود ولا معبود غيره وأنّ الإنسان -

متلقي الرسالة على وجه الإجمال - عابد وهو تبعا لذلك ضعيف عاجز مؤتمر حتما

بأوامر المعبود. وبذلك يتحول المقتضى المعجمي الذي لمعنى كلمة الله في السياقات

التي ترد فيها إلى مقتضى برغماتي أو على الأقل جزء منه. فجمل من قبيل "اتقوا

الله". "أطيعوا الله". "آمنوا بالله" "اعبدوا الله"... أو على الأقل إلى جزء منه.

وبعضها يتكرّر عشرات المرّات في القرآن يتوافر فيها من الشروط التمهيديّة (أو

المقتضيات البراغماتية) المؤدّية إلى وجوب تحقّق أوامر التقوى والطاعة والإيمان

والعبادة شرط يسمّيه بعضهم عند تعريفه المقتضى تعريفا براغماتيا "شرط

الاستعمال"... ومدار هذا الشرط على أنّ الله يقتضي من حيث إنّه المألوه أو المعبود

الذي لا معبود سواه تقيا ينبغي أن يتّقيه، وطائعا ينبغي أن يطيعه، ومؤمنا ينبغي أن

يؤمن به، وعابدا ينبغي أن يعبده، وهم عابده المفترضون في معنى لفظه¹. فكلمة الله في القرآن تحمل في ذاتها مقتضى أي قولاً متضمناً، وهذا هو المقتضى المعجمي، هذا المقتضى المعجمي هو عنصر دلالي يدعم عنصراً دلالياً آخر هو المقتضى البرغماتي والذي نجده في الشروط التمهيديّة (المقتضيات البرغماتيّة) في عبارات قالها (صولة) في القول السابق مثل: (آمنوا بالله، اعبدوا الله وهي متكرّرة كثيراً في القرآن...) فمن البنية الدلاليّة ذاتها والمقتضى البرغماتي الذي كان يقع خارج البنية الدلاليّة حسب (فلمور)* قال صولة: "المقتضى البرغماتي ههنا يحمله المقتضى المعجمي الذي للكلمة فهو داخل الملفوظ، وليس موجوداً خارج الملفوظ أي في الواقع، كما هو رأي فيلمور² فهذا الاجتماع بين العنصرين (المعجمي والبرغماتي) يودّي إلى نتيجة هي القيمة التأثيريّة، يستشهد (صولة) ب: (أوركيني) التي عرفت المقتضى البرغماتي التأثيري تقول: "المقتضى البرغماتي هو مجمل المعلومات التي يحملها الملفوظ، المتعلقة بشروط نجاحه (ونعني الشروط التمهيديّة أساساً) تلك التي ينبغي أن تتحقّق لكي يمكن لعمل الكلام الذي يرغب الملفوظ في تحقيقه أن يكون له تأثير"³، وفي الآن ذاته ينسب (صولة) القيمة التأثيريّة إلى (أوستين) صاحب كيف ننجز الأشياء بالكلام⁴.

إنّ هذا التصرف المنهجي الذي أقبل عليه (صولة) غايته نقادي إنكار المتلقي في حالة المقتضى البرغماتي عند (فلمور)، فمثال (فلمور) يمكن أن يتصدى له المتلقي بمعارضته. فإذا قال (فلمور) "افتح الباب" يقال له: "إنّه مفتوح" أو "من أنت حتّى تأمرني" يقضي

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 104.

* - ينظر: المرجع نفسه، ص 103 وما بعدها.

² - المرجع نفسه، ص 105.

³ - المرجع نفسه، ص 106، نقلاً عن: C.K.Orecchionm L'implicité ;p36.

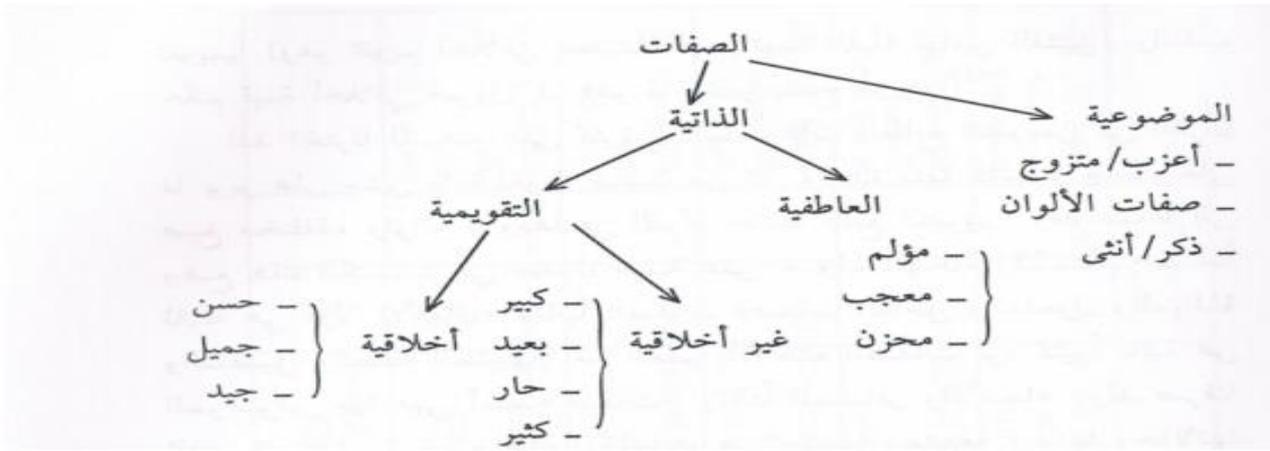
⁴ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 106.

(صولة) على هذا التصدي، بضمّ المقتضى البرغماتي إلى المقتضى المعجمي في بنية اللغة ذاتها يقول: "لكن من أجزاء المقتضى البرغماتي النّاجمة عن معنى المقتضى المعجمي الذي لكلمة "الله" ما لا يمكن أن ينكر، ذلك أنّه موجود في كيان الكلمة في أصل وضعها وفي طبيعة صياغتها الدلالية والصرفية"¹. هذا الرأي الذي يعتبره (صولة) من كدّ ذهنه وكمثّقين نجده يشابه الإدماج النظري الذي يقترحه (دكرو) ولكن (صولة) وفيّ للإدماج النظري فأكده على مستوى الكفاية التطبيقية بهاته الطريقة، وبالمثال: فكلّمة (الله) من مقتضاها المعجمي إلى مقتضاها البرغماتي إلى قيمتها التأثيرية. يستند (صولة) في إبداعه التّطبيق هذا على روابط نعتبرها عناصر دلالية، مثل: (أوركيوني، أوستين، فلمور...) هاته الروابط هي التي تكاد وجهته هاته الوجهة.

الخصائص التقويمية: (التقويم): "فإنّ الثابت هو أنّ التّقويم أو الحكم القيمي عند فلاسفة الأخلاق، وعند علماء اللسان أيضا ضربان: تقويم غير أخلاقي؛ يتعلق بالمقادير مثل: (كثير/قليل، والأحجام مثل: كبير/صغير، والمسافات مثل: بعيد/قريب ودرجات الحرارة مثل: حار/ بارد... وغير ذلك، فهذه كلّها كلمات تفيد تقويما وهذا التقويم لئن خلا من الشحنة الأخلاقية فإنّه لا يخلو من ذاتية، ذلك أنّ الأشياء نفسها المتحدّث عنها يمكن أن نقول عنها بعبارة قاليبية "إنّها بعيدة جدّا أو قريبة جدّا كبيرة جدّا أو صغيرة جدّا. وأنّ أقربها يمكن أن يحكم عليه بأنّه صغير كما يحكم على أصغرها بأنّه كبير. وهو ما يعني أنّ قانون النسبية يتحكّم في سلّم الكلمات التقويمية. ذلك أنّ تقويم الأشياء هو دائما تقويم من زاوية نظر المقوم وبالنسبة إليه، لكنّه يظلّ رغم ذلك تقويما غير أخلاقي... وتقويم هو أخلاقي لكونه إلقاء بحكم قيمي وأخلاقي على الأشياء مثل: حسن قبيح... وقد اختزلت (أوركيوني) ضروب الكلمة من حيث موضوعيتها وذاتيتها"²

¹ - المرجع نفسه، ص 107.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص 130، 131.



رغم ذلك اعتمد (صولة) هذا التقسيم وأورد بأن الكلمات التقويمية كثيرة في القرآن ومتواترة وبرهن على ذلك بأن استخراج ستين مادة لغوية. تغلب على هاته المواد الصفات مقابل الأفعال والأسماء المشتقة من المادة نفسها¹.

ويوضح (صولة) قيمة هذا الإحصاء بقوله: "على أن إحصاءنا هذا هو في كل الحالات إحصاء تقريبي لا ندعي له الدقة ولا نزعم له الشمول، ذلك أن ما يهمننا من إيراده البرهنة على كثرة الكلمات التقويمية في القرآن من ناحية أولى، والكشف عن مدى نزوع المعجم القرآني إلى إرساء بعده الحجاجي بواسطتها من خلال ما ينشأ عنها ضمناً من أقيسة خطابية أو ضمائر وما يترتب عليها ضمناً من توجيه لحوار القرآن مع متلقيه وجهة حجاجية مخصوصة من ناحية ثانية"². وبالنسبة لي كمتلق إن إحصاء (صولة) - من خلال نصوصه التعليقية على إحصائه دائماً - للصفات وتغطيتها على الأفعال والأسماء، هو جعلنا نقبل معجمية قرآنية متموقعة في التقويمات الأخلاقية يقول: "ومجمل القول أن طائفة كبيرة من المعجم القرآني ذات خصائص تقويمية وإن التقويم هو على وجه التدقيق تقويم أخلاقي"³ وهاته الصفات التقويمية جيء بها لتقويم العالم* من:

¹ - المرجع نفسه، ص132 وما بعدها.

² - المرجع نفسه ، ص132.

³ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص148.

- ✓ أشخاص (كافرون، ظالمون، فاسقون، مجرمون، فجار، مؤمنون، محسنون مصلحون، أبرار وغير ذلك)؛
- ✓ أعمال (الأعمال الصالحات/ الأعمال السيئات)؛
- ✓ أقوال (القول المعروف، الكلم الطيب، القول المنكر، الكلمة الخبيثة...)
- ✓ أشياء (بيت مبارك، شجرة مباركة، الشجرة ملعونة، وجوه ناظرة، وجوه مسودة...)
- ✓ مفاهيم (الزنى فاحشة، الصبر جميل... كما جيء بها لامتداح صفات الله... إن لهاته الصفات التقويمية في القرآن ما يجعل التقويم بها - على عكس الأفعال والأسماء - يشكّل في مستوى المادة اللغوية الواحدة سلماً تقويمياً ذا درجات متفاوتة في الاتّصاف بالصفة... وقد يتسع هذا السلم التقويمي فيمتدّ من أقصى السلب إلى أقصى الإيجاب...¹، اكتشف (صولة) بطريقة تكاد تكون دقيقة (إحصائية) معجمية قرآنية وصفية تسعى إلى إحداث ترانجية في القيم، إنّه مرّة أخرى ثبت تطبيقاً مدى ملاءمة منهجه لمادته، ويشير في هامشه إلى مدى أهمية المسألة عند (بيرلمان). إذ يقول (بيرلمان): "أهمّ من القيم نفسها من الناحية الحجاجية، ترتيب تلك القيم ترتيباً هرمياً (تفاضلياً)"²، وينتقد (صولة) تقسيم (أوركيوني) لاعتبارات سياقية يقول: "فقد ظهر لنا من خلال الجدول المعمول أنّ الخطاب القرآني - شأن أي خطاب على الحقيقة - لا تحافظ عناصر معجمه ذات الحركة الدائمة فيه على الطابع الذي لها في معجم اللغة حيث تبدو العناصر اللغوية جامدة جموداً يجعلها قابلة للتبويب والتصنيف... انقلبت صفات تقويمية غير أخلاقية إلى صفات تقويمية أخلاقية... انقلبت بعض الكلمات ذات الشحنة العاطفية إلى كلمات ذات تقويم أخلاقي

*- ينظر في هذا الأمر: توشيهيكو ايزوتسو، الله والإنسان في القرآن.

¹- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 145، 146.

²- المرجع نفسه، ص 146. نقلاً عن، Chaimperelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation ;p109.

بواسطة وصفها بصفة تفيد تقويماً أخلاقياً مثل: العذاب المهين، عذاب النَّار وبئس المصير...¹ إنّه الاستخدام والسيّاق، إنّها متاعب الاستخدام بعبارة أدقّ التي تجعل المحلّ مهما أوتي من قوّة يقع في المثالب، وهذا الاكتشاف يعود لطبيعة (صولة) كما أسلفنا إنّه يعمل على اكتشاف الروابط بين العناصر المختلفة.

هاته النتائج أي؛ مركزيّة التقويم الأخلاقي في القرآن هي حجة يصل بها صولة الحجاجية التقويم كنتيجة، فالتقويم الأخلاقي ينظم ضمناً تحت كلمتين مفتاحيتين هما (حسن وقبيح) والذي يستشفّ من ضمنيّة الحسن والقبيح هو البعد الحجاجي يقول: "يؤدي البعد التقويمي الأخلاقي الذي لكلمات القرآن المعروضة في الجدول، ولغيرها ممّا لم نعرضه فيه إلى جعلها تنتظم ضمناً على محور حسن قبيح الأخلاقي... إنّ خصوم القرآن على سبيل المثال: إذ يوصفون ب: " الكافرون" و"الظالمون" و"الفاسقون" و"المجرمون" و"الفجار" وغير ذلك. يكون قد صنّفوا أخلاقياً في باب القبيح... إنّ هذا الفضاء الضمني الذي يظهر فيه معنياً الاستحسان والاستقباح يمثّل بضمنيّته تلك البعد الحجاجي الذي للألفاظ ذات أحكام القيمة الأخلاقية في القرآن"²، ويستمر (صولة) في صنع العلاقات متّخذاً من الضمنيّة الحجاجية عنصراً دلاليّاً كحجة لنتيجة هي الإلزام (وإن كان على (صولة) أن يستعمل مصطلح القبول على أساس منطق الحجاج بدل التّأثر بمساعديه (ريكور وجون فرنسيس كروابط) يقول: بانياً رأيه على جون (فرنسيس وريكو: "يرى (بول ريكور) في معرض حديثه عن نظرية العمل "التي يقول بها في شأن الألفاظ التقويمية أنّه بالإمكان أن نربط بين منطق الأوامر وبين الألفاظ التقويمية، أنّه بالإمكان أن نربط بين منطق الأوامر وبين الألفاظ التقويمية من قبيل لفظة "حسن" فهذا وإن استدعى الأمر ممّا أن نشقّ صيغة الأمر من هذه الألفاظ التقويمية. فإذا طبقنا نحن هذا الرأى على الكلمات القرآنية ذات أحكام القيمة الأخلاقية الراجعة ضمناً إلى مدار "حسن"، قبيح" وجدناها تتضمّن قيمة لا قولية نستنبطها منطقياً منها. ومدار هذه

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 148.

² - المرجع نفسه، 148، 149، 150.

القيمة اللاقوليّة بفعل ما لكونه حسنا، والنّهي على فعل آخر لكونه قبيحا. وهو شبيه بقول بعض الأصوليين بقاعدة "الملازمة بين الحسن والقبيح، والأمر والنهي"¹، هذا أيضا وصل لأمر متباينة وهو سلوك (صولة) طبعا مؤدي هذا الوصل الأخير. (هو عدم فهم هاته المعاني فهما انفعاليًا على أساس البيان فحسب بل على سبيل القبول).

❖ خصائص الكلمة التداولية: يقول صولة: "كلمات المعجم القرآني كلمات نابضة

بالحياة مشحونة بتاريخ لها اجتماعي وأدبي وديني وحضاري عام. وإن استقصاء جميع الكلمات القرآنية بحثا في أبعادها الحجاجية التي تكتسبها في الخطاب القرآني بناء على الخصائص والقيم التداولية التي لها في استعمال العرب إيّاها أمر لا قبل لنا به في هذا المقام على الأقل. لهذا سنكتفي بطائفة من كلمات هذا المعجم على أساس مالها من تاريخ واضح نسبيا في لغة العرب وفي وجودهم الديني والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك سواء كانت هذه الكلمات عربية أو معربة على أن نعمل، وهذا هو المهم، على تدبر القيمة الحجاجية التي لهذه الكلمات والتي اكتسبتها من تداولها واستعمالها في تاريخ العرب واجتماعهم"²،

وقد أثبت (صولة) عدّة طرائق حجاجية لرافد الاستعمال هذا ومنها واحدة على سبيل التمثيل*، يقول: "الحفاظ على الكلمة نفسها مع نقلها من مجال الحقيقة إلى المجاز... قال الراغب الأصفهاني في شأن كلمة الفسق هذه: "قال ابن الأعرابي: لم يسمع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب، وإنما قالوا فسقت الرطبة عن قشرتها"³، فكلمة الفسق

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 153.

² - المرجع نفسه، ص 156.

* ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص 157 وما بعدها. والتي يمكن قراءتها أحسن إذا ربطناها بالحقول الدلالية.

³ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص 158، نقلا عن: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، 387.

استعملت على سبيل الاستعارة التي تنوسيت فهي استعارات قائمة ووجهها أنّ الفسق مجاله الحقيقي زراعي/الرتب خارج قشرته ومجاله المجازي الإنسان خارج عن دينه وعن حجر الشرع فقد جسّد الفسق حسياً هنا¹. يقول (صولة): "وهكذا نرى القرآن قد عمد إلى المتداول من كلام العرب فجعل دالّه ومدلوله معاً، أي دلالاته التصريحية، دالا لمعانيه المجردة أو الجديدة... ففي هذه الطريقة نجد البعد الحجاجي... فيبني القرآن المجهول على المعلوم وغير المتداول على المتداول، ويصوغ جديد معانيه صوغاً قديماً"².

❖ حركة الكلمة الحجاجية: الخصائص الاقتضائية والتقويمية هي دخل لحركة الكلمة

الحجاجية والتي هي خرجها أسلوبياً، لقد حاول (صولة) القبض على هاته الحركات الحجاجية الموجودة في المعجم القرآني، وقد استدعى من أجل ذلك المصطلحات الصرفية العربية القديمة، ولكن حين التطبيق هي غيرها إذ هاته المصطلحات وإن بقي اسمها تختبر معجماً قرآنياً موجهاً وجهة حجاجية أسلوبية لها كفايتها النظرية المعاصرة والخاصة. إنّ (صولة) يحاول دائماً أن يكون وفيها لكفايته النظرية وتدقيقها والإبداع من خلالها، واللجوء إلى المصطلحات العربية - زد على ذلك أنّ مصطلحات الاسم والفعل والصفة هي تقسيم عالمي للغات الطبيعية - قصد التبيين والاستثمار وطلباً للمساعدة .

تناول (صولة) على هذا المستوى:

العدول عن الاسم إلى الصفة والعدول عن الصفة إلى الصفة، والعدول عن الخاص إلى العام.

فبالنسبة للأول عدل عن اسم العلم محمد إلى الرسول، وعدل عن اسم القيامة إلى صفات الحاقة، الواقعة، وبالنسبة للثالثة عدل من المفرد إلى الجمع، وعدل عن اسم العلم إلى

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 161، 162.

² - المرجع نفسه، ص 162.

العنصر الإشاري وعدل عن اسم العلم إلى اسم الجنس*، ولأبأس أن نعرض مثالا - على سبيل المثال - وهو العدول عن اسم القيامة إلى صفات "الحاقة" و"الآزفة" و"الواقعة" و"الغاشية" و"القارعة" و"الصاخة" و"الطامة". لقد حدّد (صولة) الحقل الدلالي لاسم القيامة بصفاته، وكأنّ القيامة كلمة مركزية رئيسة في هذا الحقل، والصفّات هي كلمات مفتاحية لكلمة القيامة؛ فهي محيطة بها. والتّي تعبّر عن نقلّبات هاته الكلمة في السياقات بالنّظر إلى المتلقّي (المشرك خصوصا) الذي تتشعبّ تساؤلاته الظرفية بالعدول الأسلوبي لأجل صفات حجاجية، فهاته الصفّات هي بمثابة توضيحات عاطفية أو كعنصر دلالي عاطفي يخوّف معجميا في ذاته (غاشية، قارعة، صاخة، طامة) لأجل نتيجة هي الحصول الفعلي "واقعة، حاقة، آزفة" هاته الصفّات هي هوامش دلالية لاسم واحد هو القيامة. فكانت هناك غايتان حجاجيتان هما الإفادة العاطفية وإفادة التّحقيق الفعلي، فشحن القيامة التّي هي "قيام الساعة" "قيام الناس" البعث بهاته الصفّات تمّ بصفة أسلوبية تلك الصفّات لغاية حجاجية هما الفائدتان المذكورتان منذ قليل؛ وقد وصل (صولة) لهذا الأمر/النتيجة بمساعدة كتب التّفاسير والمعاجم، كمساعدة ابن منظور المعجمية، ابن عاشور، البيضاوي، الزمخشري. التّفسيرية هؤلاء وجهوا الدّلالة الحجاجية الأسلوبية إلى تلك النتيجة وكان دور (صولة) إقامة العلاقة بين الروابط هاته والخطاب القرآني/معجمه المتمثّل فيما يلي*:

- الحاقة: "الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التّي هي آتية لا ريب فيها"¹.
- الأزفة: " صفة لموصوف محذوف تقديره الساعة الأزفة أو القيامة الأزفة"بمعنى القريبة "والقرب مراد به التحقق وعدم الانقلاب"¹.

*- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 174، 210.

*- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 182، 183، 184، 185.

¹- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص149. نقلا عن، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 184.

- **الواقعة:** "إذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها"².
- **الغاشية:** "علم بالغلبة على ساعة القيامة (...). مشتقة من الغشيان وهو تغطية متمكّنة. وهي صفة أريد بها حادثة القيامة سميت غاشية على وجه الاستعارة لأنها إذا حصلت لم يجد الناس مفرا من أهوالها فكأنّها غاش يغشى عليهم عقولهم....فهي صفة لموصوف"³.
- **القارعة:** "صفة لموصوف محذوف يقدر لفظا مؤنثا ليوافق وصفه المذكور نحو الساعة أو القيامة. والقارعة أي التي تصيب الناس بالأهوال والأفزع أو التي تصيب الموجودات بالقرع مثل ذلك الجبال وخسف الأرض وطمس النجوم....فشبه ذلك بالقرع"⁴.
- **الصاخة:** "والصاخة صارت في القرآن علما بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء هذا العالم"⁵.
- **الطامة:** "الداهية التي تظم على الدواهي أي تعلو وتغلب (...).وهي القيامة لطمومها على كل هائلة"⁶.

¹- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص 113، ج27، ص 158، 159. نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 184.

²- البيضاوي: أنوار التنزيل، ج 5، ص 112. نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 184

³- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص294، 295، نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص184

⁴- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29 ص 115. نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 184، 185.

⁵- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 134، 135. نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 185.

⁶- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 215. نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص185. وهاته التعريفات منقولة عن صولة والتي أعدها روابط مساعدة وآياتها هي:.

هذا إثبات ثان عن القيمة النسقية لخطاب (صولة) تطبيقياً ونظرياً، ندعم هذا الأمر بمثال ينسقه أو كما هو مجموع تحت مصطلح (صولة) التالي: حركة الكلمة الحجاجية على أساس الاستعمال أو الاستخدام:

ومثالها من بين الأمثلة التي قدّمها صولة؛ وعنوان هذا المثال هو الرسول النبي الأمي ﷺ: فصولة بهذا المثال وإن كان في سوابقه يكثر الاستشهاد بالنصوص العلمية فينظم العلاقات الموجودة بينها ليستخرج نصاً إبداعياً من تلك النصوص، إلا أنه هذه المرة سلّم نفسه لتحليل

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾ [الحاقة: 1 - 3]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ١٨﴾ [غافر: 18]

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتِ الْأَرْزَاقُ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ٥٨﴾ [النجم: 57 - 58]

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ٢﴾ [الواقعة: 1 - 2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥﴾ [الحاقة: 15]

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْتِيِّ ١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ٢﴾ [الغاشية: 1 - 2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْفَارِعَةُ ١ مَا الْفَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَارِعَةُ ٣﴾ [الفارعة: 1 - 3]

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ نَمُودٌ وَعَادٌ بِالْفَارِعَةِ ٤﴾ [الحاقة: 4]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَافَةُ ٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤﴾ [عبس: 33 - 34]

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ٣٥﴾ [النازعات: 34 - 35]

نشير إلى أنّ صولة على مستوى تفاصيل التطبيق الدقيقة راهن كثيرا على آراء المحلّين من المفسرين خصوصا، وهذا أمر طبيعي و(صولة) محق فيه لأنه تحرى الدقة؛ والقرآن لا بد من تحريه من الأقربين إلى عصره وغير عصره، لأنّ تحليل كلمة منه أمرها عظيم، فصولة يكثر من المراجع العربية التفسيرية، الروابط التي يتحرى منها. ونشير إلى أنّ (صولة) أخذ مكانا آمنا تموقع فيه بين النص القرآن والنص العلمي المحلّل، ليقول رأيا بين المسافتين وكأنّه دمج بين الكلام اللغوي/القرآن والكلام العلمي.

المفسرين وزاد أن دعمه شرحا يقول: "يلخص ابن عاشور هذا كله ويزيد فيقدم مثلا على مدى الأثر الحجاجي الذي كان لآية المثال الأول في نفس بعض أهل الكتاب وسلوكهم فيقول: "ومن نكت القرآن الجمع في هذه الآية بين وصفي النبوة والرسالة للإشارة إلى أن اليهود بدّلوا وصف الرسول وعبروا عنه بالنبي ليصدق على أنبياء بني إسرائيل وغفلوا عن مفاد قوله "مثلك" وحذفوا وصف الأمي وقد كانت هذه الآية سبب إسلام الحبر العظيم الأندلسي (السّمّوال) ابن يحيى اليهودي كما حكاه عن نفسه في كتابه الذي سمّاه غاية المقصود في الردّ على النصارى واليهود"¹، فالآيتان "قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الأعراف: 157].

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، هما حجاج لليهود والنصارى على صحة بعثة النبي، وقد نصّت التوراة والإنجيل عليهما. لكن التحريف أصابهما²، لكن المهمّ الأهمّ بالنسبة للمستوى التطبيقي الذي مسّ المعجم والتركيب والصورة، ذلك أن (صولة) نظّمه على قسمين: قسم بنية اللّغة الحجاجية في ذاتها ولذاتها، وقسم الخصائص التداولية المساهمة في شحن البنية اللّغوية حجاجيا، واستخدم لتحليل ذلك المقتضى والتّقويم الحجاجي، واستعماله للتّقضى والتّقويم هو استخدام لذكرو، واستعمال (صولة) للخصائص التداولية وتسييرها حجاجيا هو استعمال ل: (برلمان) و(ذكرو) في آن، وإذ ذاك فههدف صولة هو استعمال جميع الفرص من أجل امتصاص وإثبات حجاجية القرآن وأسلوبيته من جهة واختبار حوارية الأنساق الحجاجية الغربية من جهة ثانية. ولا بأس أن نشير إلى أن (صولة) في اعتماده على

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص 132، نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص234.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص232.

آراء المحلّلين في بعض تفاصيل التّطبيق على القرآن الكريم أمر طبيعي بل غاية في المنطقية؛ لأنّ الأمر يتعلّق بتحرّي السياقات القرآنيّة، وعليه فلا بدّ من الارتباط بعلماء عصر القرآن أو غير عصره. فالخطاب القرآني أمره عظيم، وكل كلمة تحلّله أمرها عظيم.

2. التركيب: يستمرّ (صولة) في إحداث التّسيفات، وذلك بغية السّيطرة على القضايا

الأسلوبية الحجاجية؛ وهاته المرّة من منظور تركيبّي الأمر الذي جعله يعقد فصولاً أربعة هي كما يقول: "العدول الكميّ بالزيادة داخل الجملة وأبعادها الحجاجية". وثانياً "العدول الكميّ بالزيادة بين الجمل وأبعادها الحجاجية". وثالثاً "العدول الكميّ بالنقصان وأبعاده الحجاجية"، ورابعاً "العدول النوعي وأبعاده الحجاجية"¹ وهو يتغيّ من هذا الأمر: "لمّ شتات الظواهر الأسلوبية كما وردت في كتب علوم القرآن تحت تسمية واحدة جامعة لها مهما كان اختلافها كبيراً وفرق من بينها بعيداً"². إنّه بلمّ الشتات يكون قد أحدث نسقا تطبيقيّاً هو بمثابة عنصر دلالي آخر هو العنصر الحجاجي يقول صولة: "ربطنا العدول الطارئ على الكلام بأثر المقام من ناحية وبما يرمي إليه من تأثيرات في المقام من ناحية أخرى فجعلنا له بعداً آخر وعيّننا له وظيفة أخرى غير بناء الوظيفة الشعرية أو الجمالية في الكلام. وهي الوظيفة الحجاجية التي ينهض بها الكلام المبني على العدول. وبذلك ننقل بالعدول من عدول غايته إحكام صنعة الكلام وصنع جماله إلى العدول بما هو مدار الحجاج ومناطق إقناع"³. ومنه نوّد أن نعرض أداءه التطبيقي. فالجملة كما هي عند (ابن جنّي) و(الزمخشري) و(ابن يعيش)؛* خصوصاً مع ابن جنّي التي هي عنده (كلام) يقول معرفاً إيّاه: "كل

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 252.

² - المرجع نفسه، ص 251.

³ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 251.

* استعمل (صولة)، الخصائص لابن جنّي وشرح المفصل لابن يعيش. ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 238 وما بعدها.

لفظ استقل بنفسه وجنيت ثمرة معناه فهو كلام¹. وينجم عن هذا تركيب آخر يهّمه هو: "تركيب الجملة - بالمفهوم الذي رأيناه لها- مع الجملة أختها تكون منها بسبيل من جهة الدلالة والتركيب وتنشأ بينهما ضروب من العلاقات - فما يهّمنا من التركيب في هذا الباب هو ما تشكلت به "الجملة" بالمعنى الذي أردناه لها، وما تعالقت بواسطته وبمقتضاه الجملتان أو الجمل... إنّ الإطناب والإيجاز سمة الكلام البليغ المميّزة له على صعيد التركيب، تميّزه عن "شيء عرفي مقيس عليه" كما يرى السكاكي، وهو كلام الأوساط من الناس. وحديث السكاكي عن شيء عرفي مقيس عند تحديده الإيجاز والإطناب يقتضي أنّ الإيجاز والإطناب هذين يمثلان عدولا بالنسبة إلى هذا الشيء العرفي المقيس عليه وهو كلام العامة العادي...بناء على هذا يكون الكلام القرآني كله قائما على العدول فهو إمّا إطناب أو إيجاز ولا وجود للمساواة فيه. ذلك أنّ المساواة هي "المتعارف من كلام الأوساط من الناس الذين ليسوا في رتبة البلاغة"². لقد كان هذا المقياس بمثابة تحريض لاختيار (صولة) مقياسا آخر منهجيا بدل المقياس العرفي للسكاكي، هذا المقياس هو الجملة في مظهرها الخبري الابتدائي، وعلى هذا المقياس يعرف العدول الكميّ بالزيادة والنقصان يقول: "ونحن نسلم بقيام التركيب القرآني على العدول إطناباً وإيجازاً؛ أن نصوغ مقياسا آخر أكثر دقة وأقرب إلى الضبط هو الجملة في مظهرها الخبري الابتدائي البسيط المجرد باعتبارها، من الناحية النحويّة، مفيدة معنى في ذاتها وبصرف النظر عن استخداماتها القولية المختلفة المرتبطة بالمقامات المختلفة لم تتوخّ فيها زيادة ولا نقصان بالنسبة إلى صورتها الخبرية الابتدائية المذكورة. فإذا زيدت بتأثير المقام أو لخلق مقام لفظا لإفادة معنى زائد على معناها الأصلي الذي لها في صورتها الخبرية

¹- ابن جني، الخصائص، ج1، ص17 نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ص238.

²- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص240،241.

الابتدائية تلك سمي ذلك عندنا عدولاً كمياً بالزيادة وإذا أنقص منها بفعل المقام أو لصنع مقام أيضاً لفظ لفائدة معنوية ما سمينا ذلك عدولاً كمياً بالنقصان¹.

وأوجد (صولة) فرقا دقيقا بين العدولين "فعدول الكلام بالزيادة - شأن العدول بالنقصان - ليس عدولا بالنسبة إلى المقام وإنما هو على العكس من ذلك علامة على مطابقة الكلام للمقام أو محاولة للتأثير في المقام بفضل ما تنتجه خصيصة العدول تلك من طاقة حجاجية"². ويتم العدول بالزيادة عن طريق التوكيد، العطف، البديل، المفعول المطلق، ويتم أيضا بالتكرار والتبسيط والتتيمم والاعتراض والتدليل أو تحت ما سمي عند القدماء الإطناب؛ أما عدول النقصان وهو مطابق للإيجاز باصطلاح القدامى، ويتم بإيجاز الحذف، إيجاز القصر، وإن كان (صولة) أهمله لضرورة منهجية وهي عدم التحكم فيه³.

وفي مقابل العدول الكمي يوجد العدول النوعي ويتجلى مثلاً في العدول عن التعبير بالخبر إلى التعبير بالإنشاء وعكسه، التعبير بالجملة الاسمية إلى التعبير بالفعلية وهذا يدخل ضمن العدول الجدولي، أي عدول جدول في التعبير إلى جدول آخر، وعدول نسقي ويحصل داخل الجملة الواحدة مثل: التقديم والتأخير، التضمين. كما يحصل بين جملتين أو جمل مثل: الالتفات والأسلوب الحكيم... والانتقال من الجملة الاسمية إلى الفعلية⁴.

نكرر بأن (صولة) يميل إلى التسقية منهجياً، ولذلك نحن كمتلقين نجده بهذا؛ تموقع بين كتب القدماء و القرآن فجمع من كتب القدماء مجموعة المصطلحات والتطبيقات اللغوية المشتتة وقربها أو ربطها في حقلين؛ عدول كمي وعدول نوعي، ويصدق هذا بقوله صراحة: "إن من محاسن مفهوم العدول الكمي بالزيادة هذا أنه يتيح لنا أن نجمع تحت مصطلح واحد ظواهر أسلوبية مشتتة دأبت كتب البلاغة عامة وكتب علوم القرآن خاصة على دراستها

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 242.

² - المرجع نفسه، ص 249.

³ - المرجع نفسه، ص 246، 247، 248.

⁴ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 249.

منفصلة احداها عن الأخرى وقد نستشير من هذا النوع الثاني من الكتب كتاب "معترك الأقران في إعجاز القرآن" للسيوطي¹.

وقد قدم صولة مثالا من خلال النعت مطبقا على آيات من القرآن الكريم يقول: "والمقتضى موجود أيضا في النعت يؤتى به تأكيدا لمنعوته وهذا كثير جدًا في القرآن كما سبق أن ذكرنا وأكثره في نعت العذاب.

مثال 01: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة: 104].

مثال 02: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُمٌّ سَمَّتِيهِمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود: 48].

مثال 03: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [فصلت: 27]. ومعلوم أنّ من معاني التّكثير التّكثير والتّعظيم. من ذلك قول الزركشي عن تتكثير كلمة "عذاب" في قوله: مثال 4: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: 10]، "معناه التّعظيم، أي لا يوقف على حقيقته" وهو ما يجعل نعت العذاب بصفتي "الليم" و"شديد" في الأمثلة الأربعة المذكورة أنفا كالزائد لكون معناه قد فهم بعد من منعوته وقد عدّ من أجل ذلك توكيدا. لكنّه في رأينا توكيد على صعيد المنطوق فحسب. على أنّ اعتباره مجرد توكيد لا يغني عن إمكان رفضه فتिला. أمّا على صعيد الضمني فإنّ هذا النعت يأتي لينتج مقتضى مهما جدًا من الناحية الحجاجية وذلك لعدم قدرة الخصم على دحضه ورفضه فهو من قبيل المقتضى يبقى...².

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 246.

² - المرجع نفسه، ص 308، 309.

3. الصورة: بالنسبة للصّورة في القرآن نجد (صولة) يصنّفها إلى أمرين: مادّة الصورة وشكلها. يقول صولة في المادّة: "ونعني بمادّة الصورة في القرآن مضمونها الذي يعتمد فيه لغاية الإقناع، عالم خطاب متلقّيه الأوّل. والمقصود بعالم الخطاب هنا مجمل كفاءات المتلقّين المعرفيّة والنفسيّة والثقافيّة والعقدية التي يأتي مضمون الصورة في القرآن مستنداً إليها مشكلاً بها معتمداً عليها بطريقة يكون مضمون الصورة هذا غير غريب عنهم فهو معلوم لديهم. وتبعاً لذلك يكون نفاذه إلى قلوبهم وعقولهم في سهولة ويسر ويحصل إقناعهم بما أريد إقناعهم به دون صعوبة أو عسر"¹.

وعليه كانت مادّة الصّورة منتزعة من المجال الحسيّ (الزراعي والحيواني والتجاري والاجتماعي والثقافي الرّمزي) أمّا بالنسبة لشكل الصّورة يقول صولة: "فنعني به البناء الذي تتشكّل وفقه مادّة الصّورة تلك تشكلاً حجاجياً من شأنه أن يؤدّي إلى الإقناع. وأظهر ما يكون هذا في الشّكل التّمثيلي الذي يمكن أن يعدّ بحقّ من خصائص القرآن الأسلوبية البارزة، فالأمثال كثيرة في القرآن ... ولعلّ كثرتها هي التي دفعت بكثير من القدماء وحتىّ المحدثين إلى عقد كتب مفردة في أمثال القرآن. لكن هذا لا ينبغي أن يحجب عنّا دور شكل الصّورة الاستعاري، التّشبيهي والكنائي في المحاجّة والإقناع، لاسيّما وهي كثيرة الورد في القرآن فهي من خصائصه الأسلوبية البارزة أيضاً، وخصوصاً ما جاء منها قائماً على الاستعارة، فالاستعارة كثيرة في القرآن كما قال الجرجاني وكذلك التشبيه المؤكّد"¹، وإذا أخذنا مادّة الصورة وشكلها، فينبغي لنا أن نتحدّث عن مفهوم الصورة في حدّ ذاته، يقول صولة في هذا الأمر: "إنّه تعبير استبدالي يقوم فيه "الشيء المشاهد" أو "الملموس" أي الصورة بديلاً

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص496.

¹ - المرجع نفسه، ص496.

عن الفكرة أو المعنى أو المفهوم...، سواء جاء هذا التعبير بالصورة للكشف عن كوامن نفس المتكلم أو لمجرد الإمتاع أو للتأثير والمحاكاة والإقناع².

وللتوضيح نقدّم مثالا زراعياً يقول (صولة): "يكثّر في القرآن ضرب الأمثال لحال الدنيا في بهجتها وأنها زائلة بصورة الماء ينزل من السماء فتكون منه الخضرة والنضرة والحياة ثم سرعان ما تزول تلك الخضرة وتلك الحياة من قبيل قوله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَتَتْهَا أَمْرٌ نَارًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس:

24]، إنّ هذه الصورة هي دون شكّ ممّا يتكرّر في حياة العرب من سكان شبه الجزيرة العربية الذين نزل فيهم القرآن، فقد كانت زراعتهم عرضة لكثير من الآفات أهمّها على الإطلاق الجفاف الذي سرعان ما يعقب الغيث فيذهب بثمرته... هذا المشهد من أعلق المشاهد بذاكرته ومن أشدّها وقعا عليه. فمن هنا جاء في رأينا اعتماد القرآن إياه مادة لصورته في سياقات التّفير من الدنيا والإقناع بزوالها¹. فالله سبحانه وتعالى خاطب عقولهم حسب معجمهم الذي يرون به العالم، وهو معجم فيه كثير من الأمور الحسيّة كما صنّف (صولة) هاته المادة؛ فعلى مستوى التّجارة مثلاً: نجد الميزان، وعلى مستوى المجال الاجتماعي نجد الرّق. إنّ هاته الخصوصيّة الحجاجيّة هي من أجل جمهور ضيق (شبه الجزيرة) وما إن يستقرّ الإقناع ويتمكّن حتّى يصير إلى الجمهور الكوني. أمّا بالنسبة للمادة الرمزية الثقافيّة فقد اعتبرها (صولة) مواضع يقول: "على أنّ المقومات الرمزيّة في ثقافة مجموعة بشرية ما قد تتحول في كلامها إلى مواضع أو ما يشبه المواضع التي لا يمكن للفرد إلاّ أن يخضع لها ويتقيّد بها وبوافق عليها، فهي معان مسكوكة لكن على وجه المجاز

² - المرجع نفسه، ص 481.

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 503، 504.

شأن المعاني الحافة التي للألوان (البياض والسواد خاصّة) والاتّجاه (يمين/ شمال خاصة) والرّتبة أو الاتّجاه أيضا (أعلى/أسفل خاصة) . فهذه كلّها وما أشبه يمكن أن نعتبرها من المواضع على أساس أنّ المواضع هي كما يقول هشام الريفّي: "قضايا عامّة جدًا ... تؤكد منها المقدمات الجدليّة والخطبيّة"¹، والمواضع متغيّرة من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان، ومن مجموعة إلى مجموعة رغم الاشتراك في الزمان والمكان للتمييز والتفرد مثل: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة"². فانتقال المواضع له أهميّة حجاجيّة بهذا العدول أو الانتقال ويضيف (صولة) موضّحا بالنسبة للألوان: "إنّ الأهميّة الحجاجيّة في استعارة مواد اللّون والاتّجاه من حيث هي مواضع قول للتعبير عن البهجة والغمّ والايمان والكفر والغلبة والهزيمة والكرامة والحقارة وغير ذلك"³

2- الخطاب الحجاجي اللساني عند عزالدين الناجح: إنّ الفاحص المتأمّل لخطاب (عزالدين الناجح)، والباحث في كيفية تلقيه للخطاب الغربي وتسييره عربيّا؛ يملك أن يعثر على عدّة بوّء، تمثل هذه البوّء ربما غايات يتوخّاها الناجح تحقيقا. فالناجح يرمي إلى:

- ❖ تحقيق كفاية تمهيدية نظرية للخطاب الحجاجي القانوني الغربي خصوصا؛
- ❖ تحقيق كفاية تطبيقية وذلك بتحديد مادّة يطبّق عليها الجهاز التقني الذي تلقاه (مادّة قانونية...)
- ❖ تحقيق أبعاد إبداعية من خلال إحداث مسافة يتقاطع فيها النظري بالتطبيقي من جهة، ومن جهة أخرى تأصيل برامج وفرضيات ونتائج الخطاب الحجاجي الغربي المتلقّى في الملامح العربية التراثية اللسانية الأصولية... وبعبارة أخرى في وسط الخطابات العلمية العربية في مجموعها؛ خصوصا اللسانية، الأصولية، البلاغية،

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 528.

² - المرجع نفسه، ص 529.

³ - المرجع نفسه، ص 542.

التّحويّة،... وذلك بغاية فتح الآفاق للزدهار. والذي يلاحظ المدوّنة بتمعن يجد أنّ هاته الخطابات العلميّة العربيّة سواء تراثيّة أو حداثةيّة يجدها خطابات علميّة تترام الخطابات الغربيّة ذاتها في بناء خطاب (عزالدين الناجح)، وذلك لما لها من قيمة. فلم ترد هاته الخطابات مساعدة فقط بل وردت مساهمة في بناء خطاب الناجح. فهي بذلك تكسب القيمة الحوارية التنافسيّة مع الغرب. تكاد تكون هذه الأمور التزامات باحث يتغيّا البرهنة عليها أو إحداث القبول فيها بلغة الحجاجيين، فما هي أحوالها في مدونته؟.

نحاول أن نقبض على كل هاته الأمور، وذلك بتمثّل تلقيه الأول لنكون على صلة قريبة منه أثناء التلقّي، وكل ذلك من خلال جهتين:

■ **الجهة الأولى:** علاقة مدونته بالتّوصص/الخطابات المتلقّاة، فخطابه يحوز خطابات، أو بلغة أصواتيّة أصوات متعدّدة مختلفة، تعبّر عن وجهات نظر علميّة، يجمعها حقل واحد هو حقل الحجاج ويسيرها علميا متكلّم حقيقي هو (الناجح). فكيف حدّد الناجح تعاون وتنافر تلك الأصوات في خطابه؟

■ **والجهة الثانية:** هي متولّدة عن هاته التي منذ قليل والتي هي مرتبطة بمسير الخطاب، والتي يعمل من خلالها على تشعيب خطابه ليس فوضى أو اضطرابا وإنّما من خلال آليّات وخيارات تتيح الفرصة لتوافق الأصوات، فتغدو الأصوات بالنسبة للمتلقّين كأنّها عناصر دلاليّة موجودة من أجل عناصر دلاليّة أخرى، يتمّ ذلك بتوجيهه يحوكه المبدع ليس حياكة خارجية وإنّما بالتنبه إلى الروابط الموجودة في بنية هاته العناصر الدلاليّة ذاتها.

وعليه يمكن أن يكون خطاب (الناجح) كلمات وجملا ممثلة بالأصوات الغربيّة الحجاجيّة اللسانية القانونيّة... ويكون دور (الناجح) اكتشاف أو إحداث الروابط التي تحدّد كيفية

استعمال تلك الأصوات وإبداعها كتابة، ووظيفتنا نحن إزاء ذلك كلّهُ هو وصف تلك الأمور في كتاباته الإبداعية، إنّنا نسعى إلى التلقّي الوصفي في ذاته ولذاته.

أ. الأصوات الحجاجية المكونة لخطاب الناجح: قبل البدء في التحليل نشير إلى أنّ خطاب (الناجح) يحوز كميّة من النظريات وأوجه النّظر الحجاجية الغربيّة؛ وقد استفاد منها في بناء خطابه. وهاته النظريات هي هناك في أرض نشأتها عبارة عن مدارس حققت شرعيّتها فأصبحت؛ نظريّات تملك مبادئ منهجية ومصطلحات وجهازا واصفا متواضعا عليه من قبل صانعيه علميا، وقد أصبحت هاته النظريات بحكم مرور الوقت وتحقيق الاستقرار بمثابة مواضع يرجع إليها مستعمل الحجاج.

إنّ هذا يشير إلى حدّ ما إلى المواضع باللّغة الحجاجية. وعليه نستعير منهجية التحليل من (دكرو وأنسكومبر) فنصبح نعتقد في خطاب (الناجح) أنّه خطاب: "محكوما بمجموعة من المبادئ العامة (هي التي نصطّح عليها بالمواضع أو الأمكنة المشتركة) وهذه المبادئ تؤدّي دور المسوّغ أو المعلّل للنقطة التي تتمّ من المقدمات إلى النتائج"¹. وحسب الحجاجية اللّسانية يصبح الموضوع: "هو... الذي يرد في صورة مبدأ عام يصل ملفوظا بآخر ويحقّق ما سبق أن قلنا إنّهُ علاقات تراكيبيّة تحدّد قيمة الجمل ضمن التّعالق البنوي العام الذي يحاول هذا التوجّه أن ينظر من خلاله إلى نسق الجمل داخل اللّغة (مثلما هو الحال بين العلامات اللّغوية في اللّسانيات السوسيريّة، أي بالصورة نفسها التي تحقّق بها العلامات التراكبيّة والاستبدالية بين العلامات اللّسانية قيمة هذه العلامات في التّصور السوسيري للنسق اللّغوي...، بحيث تكون دلالة الجملة في آخر المطاف هي رزمة من المواضع التي تستدعيها هاته الجملة"². ويمكن أن يتطور هذا القول بلغة المعجميين فيصبح أنّه: "إذا كانت دلالة الجملة في سياق الفرضية الموضوعية هي... عبارة عن رزمة من المواضع التي

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللّغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللّسانية، ص 190.

² - المرجع نفسه، ص 196.

تستدعيها هذه الجملة، فإنّ معنى أي كلمة أو وحدة من المعجم حسب الفرضية نفسها هو كذلك عبارة عن شعلة من المواضع، فالموضع إذن يسهم في تحديد معاني الكلمات في هذا المنظور، ويترتب على ذلك أنّنا نكون أمام تحويل منظوري عميق في تصورنا للغة تتجاوز النظرية المعجمية الدارجة التي تخضع للمنظور الإحالي في الغالب، إذ تحيل الكلمات في هذه النظرية الكلاسيكية على موضوعات، أو قل شعلة من الخصائص الثابتة، بخلاف ذلك فإنّ معنى أي وحدة معجمية في التصور الموضوعي للمعجم عبارة عن شعلة من المواضع كما قلنا، أي مجموع المواضع التي تسمح هذه الوحدة بإعمالها، فكل كلمة يتمّ التلّفظ بها تفتح المجال لإعمال موضع من المواضع، فهي لا تحيل إلى موضوع بل كما يقول (أنسكومبر) تحرك وتثير نظرة معيّنة حول الوضعية القائمة، وعليه؛ يؤكد في هذا التصور... ضرورة استبعاد أي إحالة إلى ما هو موضوعي أو إخباري على الأقل في مستوى البنية العميقة¹. فيكون الأمر حسب (أنسكومبر) و(دكرو) أنّ: "الحقل المعجمي ما هو في أصله إلّا حقلا موضعيا"². وزاد أصحاب هاته النظرية في استواء الأمر بإضافة الأصواتية إلى مجال الموضع يقول (الراضي): " وعموما يمكن القول إنّنا من منطلق المنظور الأصواتي سنعتبر وجهة نظر المتلفّظين في سياق النظرية الموضوعية هي بالذات تلك العملية المتمثلة في استدعاء موضع معيّن عبر إعمال صورة من الصور الموضوعية، فهذه الوقائع لن تظلّ وفق المنظور الأصواتي أفعالا لمتكلم متوحد... إنّما تكون خاضعة لتدبير وتوجيه المتكلم الذي يؤدي هنا دور المخرج المتحكّم في مسرح الحركة التلّفظية، فهذا المتكلم يتصرّف في حركة المتلفّظين لحسابه الخاص، ويدفعهم إلى سوق وإعمال المواضع بالوجه الذي يفيد غايته ويحقّق مقاصده"³. ويزيد الراضي معبراً عن الأمر بنضج: "وقد ذهب (دكرو) إلى حدّ الحديث عن متلفّظين معجميين، فالمتكلم حين يستعمل كلمة فهو يستدعي هؤلاء المتلفّظين

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 208.

² - نقلا عن: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 210.

³ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 226.

المعجميين الذين يبتون المواضيع في دلالة الكلمات وهو ما قد يوحي بأنّ الأصواتية محايدة للمعجم ذاته، حيث تنتشر فيه الأصوات ما دام أنّ دلالة الكلمات إنّما هي إشعاع من المواضيع... فالمتكلم حين يستعمل كلمة اجتهاد يسري في الخطاب صوت يفيد أنّ الاجتهاد مصدر تعب وأّنه عامل نجاح وأّنه موجب أمر... إلخ، وكل موضع من هذه المواضيع يعبر عن صوت متلفظ من المتلفظين والمتكلم يمكنه أن يتحيز على أنحاء مختلفة تجاه هذه المواضيع الأصوات، فيتماهى مع هذا ويتعارض مع ذلك ويصادق على ذلك بقدر أو بآخر من التماهي والتعارض والمصادقة، وعموما فإنّ الأصواتية يمكن أن تجد صياغتها ضمن النظرية الموضوعية وهو ما يسمح بمزيد من تعميق الخاصية الدينامية للخطاب لأنّ كلا من التصور الأصواتي والموضعي يكشفان كلّ على حدة عن الطابع الحيوي للخطاب"¹.

وبالنسبة للعوامل والروابط فتقلصت مهمتها في إطار المواضيع والأصواتية يقول الراضي: "إذ إنّ هذه العوامل والروابط لن تحتفظ بوظيفتها التي كانت تتمثل في شحن البنية الدلالية للجمل بالقيم الحجاجية عبر توليد الإرشادات الحجاجية، وتحديد طبقة النتائج التي يمكننا الوصول إليها عبر الملفوظات، وذلك ببساطة لأنّ الحجاجية حاضرة في الجمل مسبقا من خلال المواضيع، أمّا الدور الذي ستضطلع به العوامل فسيكون مقتصرًا على أمور ثانوية يقول دكرو: "بعض [الكلمات التي تتضمنها الجمل] (الكلمات الممثلة تشير إلى محتوى الموضوع، وبعضها الآخر والعوامل... تشير إلى الوجه الذي ينبغي وفقها أعمال الموضوع، أمّا التأليف بين الحجّة والنتيجة فهو من عمل الموضوع، وهو ما يعني بالطبع تجاوز طائفة من المشكلات التي كان يطرحها الوصف السابق المستند إلى الدور المحوري للعوامل والروابط في حركية الحجاج داخل الخطاب"². فالعوامل والروابط تقلص دورها واقتصر على بعض الأمور الثانوية.

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص227.

² - المرجع نفسه، ص220.

نبحث في خطاب (الناجح) عن العوامل والروابط (في الخطاب العلمي نستعمل كلمة العوامل والروابط على سبيل المجاز أي نستعمل المعنى الأدائي والوظيفي في إرشاد الخطاب) أي؛ القبض على إرشادات (الناجح) التي أوصلته إلى خطابه الذي يمثل دور المخرج فيه. سنحاول أن نقدّر حجم أو نسبة الأصوات الحجاجية في بناء خطابه. ونكون بذلك منطلقين من مصطلح الحجاج ذاته. كموضع معمل أصواتيًا. وعندما نحلّل كلمة قانون (مادة البحث) نكون سنقدّر نسبة الصوت الحجاجي الموجود في هاته اللّغة. وعندما نقدّر نقصد أننا نصف ما قدره الناجح، فنكون متلقين وصفين.

- الأصوات الحجاجية الغربية في خطاب الناجح نظريًا: إذا تعرضنا للفظه الحجاج بلغة أصواتية موضعية في خطاب (الناجح) فإننا نجدتها تتداعى منها أربعة أصوات أثبتت مركزيتها وهيمنتها في حقل الحجاج، وكل صوت قدّم دلالة معينة لكلمة الحجاج، وهؤلاء الأصوات هم: صوت (برلمان) وصوت (تولمين) وصوت (مايير) وصوت (دكرو)؛ فالناجح عندما استعمل كلمة حجاج فإنه تحدث عن متلفظين معجميين، فالمتكلم وهو (الناجح) استدعى بذلك متلفظين معجميين (الأعلام الأربعة) الذين بثوا المواضيع في دلالة كلمة حجاج. فكلمة حجاج أصبحت رئيسة حقل: "يحتوي على مجموعة من المصنّفات التأصيلية النظرية للحجاج التي يمكن اعتبارها بمثابة المشاريع العلمية الكبرى"¹. ويقدم الناجح إيّاها: "من أجل هذا نقدّم فيما يلي أهمّ المقاربات الحجاجية، وقد حصرها الدارسون في أربع مقاربات هي تباعا:

- 1- المقاربة البلاغية ويمثلها مصنّف "بيرلمان" و"تيتيكا".
- 2- المقاربة المنطقية ويمثلها مصنّف "ستيفان تولمين".
- 3- المقاربة الفلسفية ويمثلها مصنّف "ميشال مايير".
- 4- المقاربة اللسانية ويمثلها مصنّف "دكرو" و"أنسكومبر".

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص14.

ونضيف مع (ماريان تاتسكو)... مقارنة خامسة هي "المقاربة التداولية الجدلية" للهلنديين (إيمرين) و(قروتندورست)¹.

وبالنسبة لأمر تميّز الأصوات عن بعضها، فإنّها ظهرت منذ قليل، وهي بلاغي ومنطقي وفلسفي ولساني تباعا لأعلامها على التوالي (بيرلمان وتيتيكاه)، (ستيفان تولمين)، (ميشال ماير)، (دكرو وأنسكومبر) فبرلمان حين يستعمل كلمة حجاج، فإنّها كلمة تشعّ بالموضع البلاغي، فيسري في الخطاب صوت يفيد البلاغة، و(تولمين) حين يستعمل كلمة حجاج فإنّها كلمة تشعّ بالموضع المنطقي، فيسري في الخطاب صوت يفيد المنطق، و(ماير) حين يستعمل كلمة حجاج، فإنّها كلمة تشعّ بالموضع الفلسفي، فيسري في الخطاب صوت يفيد الفلسفة، و(دكرو) حين يستعمل كلمة حجاج فإنّها كلمة تشعّ بالموضع اللساني، فيسري في الخطاب صوت يفيد اللسانيات.

- تميّز الأصوات الحجاجية عن بعضها عند (الناج):

- **برلمان وتيتيكا:** أمّا بالنسبة لمشاركة (برلمان) بصوته في العملية الحجاجية، فإنّه حسب (الناج) قد تميّز بأن: "أدمج الباحثان معيار المخاطب ورائز الجمهور/المتقبل السامع/القارئ... في المعادلة الحجاجية. وهذا الطرح فيما نرى أي إدماج الجمهور، أحدث به (بيرلمان) قطيعة في الدرس الحجاجي. وذلك لأنّه حوّر في مكونات العملية التخاطبية. إذ كانت اللّغة والخطاب من قبله محور الحجاج، فالجمهور حينئذ في تصور (بيرلمان) مكوّن أساسي من مكونات المعادلة الحجاجية والجمهور عنده في صيغته الأولى، إنّما هو القاضي الذي يذعن ويسلم لنص المرافعة. ولذلك كان تعريف (برلمان) للحجاج لا بالماهية (ما هو) بل بالغايبية (لماذا هو). والغاية منه هو "جعل العقول تذعن وتسلم لما يطرح عليها من الأقوال، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان وذلك التسليم. فأنجع الحجاج وأنجحه ما وفق

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 16، 17.

في جعل حدة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على عمل المطلوب"¹، ويضيف (الناجح) مميّزا للصوت البلاغي عن الأصوات الأخرى التي تساهم في إكساب الحجاج دلالات أخرى. فأشار (الناجح) إلى التوجيهات الإثباتية والإلزامية والاستفهامية وتوجيهات التمني². والتي هي معطيات تدخل: "... في تقنية عامّة جدّا بها تميّز طرح (بيرلمان) عن (تولمين) ومناويله المنطقية، وعن (مايبر) ونظرية المساءلة عنده، إذ يقترح (بيرلمان) و(تيتيكا) طريقتين في المحاجّة: هما طريقة الوصل وطريقة الفصل ... فأما طريقة الوصل فهي التي نجمع بها بين العناصر المتباينة في أصل وجودها "فينتج بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر"... وأما طرائق الفصل فإنّ "الحجاج فيها قائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض... ورغم تميّز الطرح البرلماني عن سائر الطروح بهاتين التقنيتين، وخاصة الثانية فإنّ مزية تناوله تبدو أكثر وضوحا في كسر خطية البلاغة الكلاسيكية، واقتراح نموذج به خلص الحجاج من ريق المعايير الكلاسيكية البلاغية المنطقية. فاستوى الحجاج مبحثا قائما بذاته فلا هو بالمناورة الخطابية الجوفاء ولا هو بالاستدلالات المنطقية الجافة. "عكس السائد وعكس ما ذهب إليه (تولمين)، لقد عرّف (بيرلمان) الحجاج دون أن يركن إلى مفهوم الحقيقة... أي إنّه لم يكن ذا منزع أو أصول منطقية، رهاناتها دائمة الحقيقة والصدق. ويضيف (بلونتان) مفسّرا قوله السابق "إنّ همّة (بيرلمان) كانت متعلّقة بعنصر الجمهور الذي يعتبر عنصرا قاعديا يوكل إليه كل الأعمال القولية" عكس (ستيفان تولمين) الذي كانت همّته متعلّقة أبدا بصحة الحجّة وتركيبها وحقيقتها في ذاتها ولذاتها، لا لذات الجمهور ومتعلّقاته. إنّ أهم ما جاء به طرح (بيرلمان) في رأينا هو اعتبار الحجاج حوارا (dialogue) بين الخطيب وجمهوره وليس

استدلالاتا شكليّا و"لا هو مغالطة أو مناورة وتلاعب بالمشاعر والعقول"³

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 17، 18.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 19.

³ - المرجع نفسه، ص 20، 21.

-ستيفن تولمين: وبالنسبة لمشاركة (تولمين) بصوته في العملية الحجاجية، فإنّه حسب (الناجح) قد تميّز بتعريفه للحجاج؛ إذ الحجاج عنده مسار ومسلّك لأجل نتيجة ما وقد كان لهذا التعريف منظوريّة عميقة أدّت لتكوين منوال ضخم يقول الناجح: "ويعرّف (تولمين) الحجاج على مدى هذا المصنّف بكونه "المسار الذي يسلكه الباحث لإقناع المخاطب بنتيجة ما"... غير أنّ المهمّ والمستفاد من تعريف (تولمين) أنّه تفتّن إلى أنّه ثمة - استراتيجيّة في صوغ الحجّة وعن هذه الاستراتيجية نتجت تلك المجموعة من المناويل المتنامية والمتراكمة والمنقّحة. وهي ماعقد لها فصلا كاملا وسمه بـ "تركيب الحجّة"¹. ويضيف (الناجح) بعد ما شرح النظريّة² مركزا على مرحلتها السويّة يقول: "والمهمّ فيما نرى من الكتاب كلّهُ؛ قد جمعه (تولمين) في فصل "تركيب الحجج" (L'agencement des arguments) وإن كان قد أشار إلى مفهوم الحقل الحجاجي (Le champ argumentatif)... وهي أن تكون معطيات الحجج ونتائجها التي تنتمي إليه، أي الحقل الحجاجي، مبنية على نفس النسق المنطقي" ولا تكون الحجّتان في نفس الحقل الحجاجي عندما تكون أسسها (les fondement) أو نتائجها ليس من نفس النسق أو البنية المنطقيّة"³.

وقد أشار (الناجح) إلى وجه التميّز الحقيقي الذي يلعبه هذا الصّوت في المسرحيّة الحجاجية الغربية، وهو كميّة المنطق الموجودة في هذا المنوال، إذ وصف هاته النظريّة بالحجاجية المنطقيّة نظرا لتزايد كميّة المنطق فيها، وكأنّ النظريّة مسيطر عليها منطقيّا؛ وعليه حسب (الناجح): "فإنّها تأخذ من الأساس الابيستيمي الذي بنيّ عليه، نظرا لصبغتها المنطقيّة. فالمنوال في درجته الصّفر أي؛ وهو أعزل من كلّ الزوائد (شروط الاستثناء والنقض الأساس، الموجّهات) يذكّرنا بالمنوال الأرسطي في القياس البرهاني المنطقي ذي الثلاثة مكونات (مقدمة كبرى، مقدمة صغرى، نتيجة) ولا حرج حسب رأينا في ذلك، إذ إنّ المقاربة

¹ - عزالدین الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 23، 24.

³ - المرجع نفسه، ص 24.

التي رأى (تولمين) إبرازها ذات منطلقات منطقية محضة. لذلك عندما نقول كتابه ضمن الدراسات الحجاجية الحديثة إنما نضعه في خانة الأبحاث ذات المنزع المنطقي فهو يحسب على المنطقة لا على اللغويين¹. ويضيف (الناجح) معززا رأيه بأعلام حجاجيين غربيين وعرب يقول: "والحقيقة أنّ (بارط) قد سبقنا إلى تصنيف كتاب (تولمين) ضمن ما سماه بـ"المرحلة البرهانية" (L'étape justificative) في الدراسات الحجاجية... نظرا للأصول المنطقية التي شدّ إليها الكتاب. وليس أدلّ على ذلك من تغييب (تولمين) لعنصر الجمهور والمتقبل على مدى الكتاب، عكس ما هو عليه الحال مع (بيرلمان)... ومعلوم أنّ الجمهور يعتبر عنصرا أساسيا في المعادلة الحجاجية فهو المستهدف الأول من الخطاب وهو ذرة واجبة غير كافية في هبأة الحجاج. لم يوله (تولمين) اهتماما. وهو على حد عبارة (بلونتان) الفیصل والمعيار الوحيد الذي نميّز به بين جلّ المقاربات في الدراسات الحجاجية. ويشترك مع (بلونتان) في هذا الرأي (عبد الله صولة) إذ يقول معلقا على منوال تولمين "والحقيقة أننا غير مطمئنين إلى نظرية (تولمين) الحجاجية هذه اطمئنانا كاملا، لأسباب أهمّها أنّ أركان (تولمين) الأساسية الثلاثة أي (م. ن. ض) يذكرنا عددها بنهج الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية... وإنما هو أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق حيث يقصد بالبرهان إثبات الحق، لا لإقناع الغير به في العادة، وإنما إقناع المرء نفسه"².

-ميشال مايبير: وبالنسبة لمشاركة (ميشال مايبير) بصوته في التشكل الحجاجي الغربي، فرأي (الناجح) أنه يتميّز حين: تنزّل... في إطار العلاقة بين المعارف والعلوم المختلفة أصولا وفروعا، فالرجل أستاذ الفلسفة في الجامعات البلجيكية، وقد صرح بخلفيته المعرفية منذ مقدمة الكتاب حيث نبّه إلى ضرورة تحاور الفلسفة مع اللسانيات... وكى يبرهن على نجاعة طرحه تحدّث طويلا عن تفاعل المنطق مع اللسانيات. متّكئا على (فيتغنشتاين)

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 25.

² - المرجع نفسه، ص 25.

و(رسل) إلى درجة كدنا نصنّفه مع (تولمين) و(فينو) و(قرايز)، لولا أنّ تدارك هذا الإلاح على علاقة المنطق باللسانيّات، فأفصح عن طرحه الخاص الذي يعود إلى أصول نظريّة مستقلة عن المنطق هي نظرية المساءلة. (théorie de ouestionnement) التي ملخصها أنّ كل ملفوظ إنّما هو إجابة عن أسئلة ضمنيّة. ومن هذا المنطلق جاء تعريفه للحجاج وإن كان بأخرة، إذ يعرفه قائلا: "الحجاج هو دراسة للعلاقة التي تجمع بين الصريح والضمني من الكلام"¹

-دكرو وأنسكومبر: وبالنسبة لمشاركة (أوزوالد دكرو) و(جون كلود أنسكومبر) بصوته في التشكل الحجاجي الغربي، فرأي (الناجح) أنّ عنصر التّقنيّة هو المميّز الجديد؛ يقول منطلقا من شرح (موشلر وروبول): "إنّ في قراءتهما التّأليفيّة والسريعة لتعريفات الحجاج قسم الباحثان (موشلر) و(روبول) الحدود التي عالجاها بالدّرس إلى ضربين: أمّا الأوّل فهو مجموعة التّعريفات العامّة للحجاج (le sens ordinaaires) ويلخصانها بقولهما: "إنّ الحجاج في معناه العام هو مجموعة الخطط الخطابية المستعملة من المخاطب لإقناع جمهوره (موشلر وروبول 1994، 28) ولم يذكر الباحثان مرجع هذا التّعريف العام ولا أصوله وأمّا الضّرب الثاني من التّعريفات فهو ما نعتاه بالتّعريفات التقنيّة (les senstechniques) عكس التّعريفات العامة ويسند الباحثان هذا المعنى التقني للحجاج إلى (دكرو وصاحبه أنسكومبر...) ولعلّ السّبب الذي جعل الباحثان (موشلر وروبول) يفردان المعنى التقني ويجعلانه حكرا على (دكرو وأنسكومبر) هو الذي اضطرنا إلى أن نجعله ممثلا جيّدا للطرح اللساني للحجاج. وذلك لطرافة تناوله في جانب ما، ولتسلحه بقسط معيّن من التجريد العلمي. ولذلك لو جاز لنا القول لقلنا: ولو قبل عرض طرحه إنّ (دكرو) قد قام بقطيعة ابيستمولوجيّة في دراسة الحجاج. ومنطقنا في إصدار هذا الحكم هو بدء تعريفه للحجاج في حدّ ذاته إذ يحده بقوله: "إن المتكلّم إذ يحاجّ إنّما يقدّم قولاً أوّل (ق1) أو

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 26، 27.

مجموعة من الأقوال تقوده إلى الإذعان والتسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة من الأقوال الأخرى¹.

هذا التعريف يمثل فيه التوجيه قمة التقنيّة التي هي متميّزة بسبب وجود الحجاج في بنية اللّغة ذاتها، ولذلك وسم صوته باللّساني، فهو مثلّفظ لساني يقول الناجح: "إنّ طرافة نظريّة (دكرو) الحجاجيّة في ما نرى لا تكمن في تفتّنه إلى مفهوم التّوجيه الحجاجي وإن كان في هذا ملمح من ملامح قدرة الرجل على التّجريد العلمي. وهو على كل حال مسبوق في هذا الفهم... لكن طرافة تصوّره تكمن في اعتباره "أنّ الحجاج مسجّل في بنية اللّغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية. وبناء عليه يكون (ق1) في المثال السابق مستمداً حجاجيّته من بنيته اللّغوية وذخيرته المعجميّة وقوّته المنطقيّة فمن ذلك ما توفّره بنية النّفي من مقتضيات واستلزمات من خلال تصدّر الملفوظ لعامل النّفي ومن خلال تذييله بقيد الحصر المنتج لاستلزمات ومقتضيات أخرى، فبنية (ق1) حينئذ هي المحدّد لمدى حجاجيّته ومدى درجته من السّلم الحجاجي ولعلّه من أجل هذا قال دكرو "إنّ أطروحتنا... لكي يقدّم (ق1) كحجّة تفضي وتقود إلى (ق2). لا يكفي بذلك أن تكون (ق1) من الحجج التي تقود إلى التسليم بـ (ق2) وإنّما البنية اللّغوية (ق1) يجب أن تنتهض بشروط من شأنها أن تؤهله لكي يكون حجّة تقود إلى (ق2). والشاهد على كلامنا هذا، أنّنا إذا سلّبنا (ق1) العناصر اللّغوية المحقّقة لحجاجيّته لضعفت طاقته الحجاجيّة. وبقي الملفوظ خالياً إلّا من وظيفته الإبلاغيّة المرجعيّة التي يعتبرها (دكرو وأنسكومبر) وظيفة هامشيّة مشتقّة من الوظيفة المركزيّة للّغة التي هي الوظيفة الحجاجيّة².

هاته إذن بعض مظاهر التميّز التي تجسدت في مصطلح حجاج عن طريق سريان أصوات بلاغيّة، منطقيّة، فلسفيّة، لسانية فيه، إنّ هذا التميّز يضمن للأصوات أن تعبّر عن

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني ص30،31.

² - المرجع نفسه، ص33،34.

خصوصيتها ونقاط اختلافها. وإلا لولا هذا الاختلاف الممثل أصواتيا والذي هو ضرورة، لما كانت هناك حيوية اشتغال في حقل الحجاج. وعلى ذكرنا حقل الحجاج نعود إلى العلاقات التوافقية بين الأصوات التي تشغل كلها في حقل واحد داخل كلمة معجمية واحدة هي الحجاج. إنّ هذا الأصل يضمن لنا الحديث عن علاقات توافقية بين هاته الأصوات مثلما ضمن لنا التميز والاختلاف العلاقات الخلفية التي أثرنا حسب الناجح منذ قليل والذي كان مخرجا للأصوات المتلفظة موضعيا (حسب نظرياتها)؛ فالناجح في خطابه هو مخرج لخطابه انطلاقا من توافق وتنافر تلك الأصوات. ونحن نعمل على رصد التوافقات داخل خطابه.

وأود أن أشير إلى أنّ المتبع لكلمة حجاج وتاريخها -ضمنا- يجدها تشغل على التوافق والتنافر، وعلى تقريب التعارضات وتبعيد التوافقات كما أشار (بيرلمان) في تقنيته الوصلية الفصلية.

التوافق بين الأصوات الحجاجية عند (الناجح): ونمرّ الآن إلى رصد ووصف التخريج التوافقي بين الأصوات المختلفة التي عرضنا؛ فالعلاقات التوافقية والخلفية نقول عنها أنّها علاقة للسيطرة على الطبيعة بنيويا. لها حضور في كل النظريات. إنّها مسألة منطقية راسخة في إدراك الإنسان؛ إنّ ذلك التنافر النابع من ذات المصدر (الحجاج) لابدّ أن يكون فيه توافق نابع من ذات المصدر (الحجاج)؛ فالأصوات الحجاجية بقدر ما هي خلفية بقدر ما هي توافقية.

أورد (عزالدين الناجح) بخصوص التوافقات الإكاملات الابدستمولوجية؛ أو التوافق من خلال الإكمال الابدستمولوجي الذي يتم على مستوى المبادئ المنهجية والنتائج الموجودة على مستوى الأجهزة التقنية الواصفة. يقول (الناجح) عارضا الأمر: "إنّ أهمّ ما جاء به طرح (بيرلمان) في رأينا هو اعتبار الحجاج حوارا (dailogue) ... ويمكن أن نضيف أنّ أهمّ ما جاء به هذا الكتاب أيضا هو القطع مع الخطابة القديمة. ومحاولته صوغ أسس نظرية

صارمة لخطابة جديدة ستكون منطلقا للدّرس اللّساني فيما بعد، (الحواريّة وتعدّد الأصوات (polyphonie) مع (دكرو) على أنّه تجدر الإشارة إلى فكرة طريفة أوردها (بلونتان) وهي أنّ (بيرلمان وتيتيكا) كانا من الأوائل الذين وظّفوا مفهوم الموضع (topos) في هذه البلاغة الجديدة¹. ويضيف (الناجح) موضّحا الاشتراكات من حيث الأصول؛ فالموضع مثلا موجود في كتابات (تولمين) يقول: "تود الإشارة إلى لطيفة كان أوردها (بلونتان) في قراءته لتولمين إذ يرى أنّ (تولمين) قد ناقش (أرسطو) بأرسطو: (أرسطو) في كتاب (الطوبيقا) بأرسطو في كتاب (التحليلات)... ولعلّ هذا ما جعل (بلونتان) يعتبر قانون العبور (loi du passage) بمثابة الموضع الذي يضمن سلامة المرور والانتقال من المعطى إلى النتيجة التي يروم الباث إذعان مخاطبه لها وتسليمه بها. لأنّ المرور من المعطى إلى النتيجة إنّما يكون عبر المواضع (topoi) وهي أحد أهمّ أركان الشبّكة الحجاجية التي تمثّل قلب الحجاج النابض"².

وفي إطار التكاملات الاستمولوجية ذاتها يضيف (الناجح) مقدّما تكاملا آخر وهاته المرّة عن ميشال (مايبر) وفيما انعرج به عن (تولمين) يقول: "تنزّل... في إطار العلاقة بين المعارف والعلوم المختلفة أصولا وفروعا، فالرجل أستاذ الفلسفة في الجامعات البلجيكية، وقد صرح بخلفيته المعرفية منذ مقدمة الكتاب حيث نبّه إلى ضرورة تحاوّر الفلسفة مع اللسانيات... وكى يبرهن على نجاعة طرحه تحدّث طويلا عن تفاعل المنطق مع اللسانيات. متكئا على (فيتغنشتاين) و(رسل) إلى درجة كدنا نصنّفه مع (تولمين) و(فينو) و(قرايز)، لولا أنّ تدارك هذا الإلحاح على علاقة المنطق باللسانيات، فأفصح عن طرحه الخاص الذي يعود إلى أصول نظرية مستقلة عن المنطق هي نظرية المساءلة. (théorie de Questionnement) التي ملخصها أنّ كل ملفوظ إنّما هو إجابة عن أسئلة ضمنيّة.

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 21.

² - المرجع نفسه، ص 26.

ومن هذا المنطلق جاء تعريفه للحجاج وإن كان بأخرة، إذ يعرفه قائلاً: "الحجاج هو دراسة للعلاقة التي تجمع بين الصّريح والضمّني من الكلام"¹

إنّ هذا القول يؤدّي إكمالاً ابستمولوجياً واضحاً بالنسبة للمنطقيّات المنعزلة. وعليه يضيف الناجح متحدثاً عن مظاهر المنطقيّات في النّظرية المطوّرة عن المنطقيّات الصوريّة ولكن هاته المرّة تقنياً يقول: "وفي تعريفه للحجّة، طرفه مأتاها تعويله على بعض المفاهيم المنطقيّة، والذي نراه يعرّف الحجّة في ضوء حديثه وتعريفه للمنطق في حدّ ذاته، إذ يقول: "المنطق هو دراسة الاستدلالات... إنّ الحجّة لا تكون مقبولة شكلياً إلاّ إذا ضمنها صدق المقدمات وعلاقتها بالنتيجة"... وليس يخفى ما في تعريفه للحجّة من علاقة بتعريفه للحجاج في إشاراته للعلاقة بين الحجّة والنتيجة. وهي عادة، علاقة ضمّنيّة يكتشفها المتقبّل عبر عمليّات ذهنيّة معيّنة. وهذه المسألة يشترك فيها مع (تولمين) حتّى كدنا نصنّفه في خانة المقاربة المنطقية للحجاج"². ولأجل التّوافق نضيف راصدين خطاب (الناجح) في تسيّره لتقارب الأصوات يقول: "إنّ طرفاً مقاربة (مايير) وهو الذي ترعرع بين مصنفي (بيرلمان) و(تولمين) واستشهد بمجايليه (دكرو وأنسكومبر)، ليس في تعريفه للحجاج فقط فهذا كما قال (عبد الله صولة) قد سبقه فيه وإليه غيره. لكن مأتى الطرافة في طرحه هو في متاخّمته لأصول الدّرس اللّساني وتقنيّاته وأدواته. وقد شرع في محاوره الفلسفة باللّسانيّات منذ بداية مصنّفه كما ذكرنا آنفاً، وذلك عند حديثه عن الضمّني والوسائط والأدوات اللّسانيّة التي تنتجها. إذ يرى (مايير) أنّ الضمّني في الخطاب تقدحه أدوات لسانیّة خاصة متمحضة لإخراجه مخرجا حجاجياً. وأناط بالمخاطب وظيفة فكّ شفرة هذا الضمّني"³. وبلغة تقنيّة مصطلحيّة خالصة يتحدّث (الناجح) عن التقارب: "على أنّ (مايير) لم يصرّح في طرحه هذا حول ما سماه شارات أو علامات (marquer) باعتماده على ما قاله (دكرو) في العناصر

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 26، 27.

² - المرجع نفسه، ص 27.

³ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 27، 28.

اللسانية المحققة لحجاجيته، وهي ما سمّاه هو بـ "المتغيرات المحايدة" (les variables) التي سماها (دكرو وأنسكومبر) بعد ذلك عوامل أو روابط حجاجية تحقق وظيفة التوجيه الحجاجي نحو النتيجة الحجاجية التي يروم المتكلم إيصالها إلى مخاطبه والتي يسميها "مايير" بـ مثيرات (indicateurs) مرّة وبمتغيرات (variables) مرّة أخرى، وبثوابت (constantes) في مواقع أخرى ... ومن أهمّ وظائف هذه العناصر اللسانية المتعددة الأسماء أن تضاعف المعنى الحرفي وتكثره وتخرج المعنى الضمني وتجعله أكثر وضوحاً وتلبسه لبوساً خاصاً بحيث يكون ذا طاقة حجاجية مهمة مؤهلة لأن يأخذ درجته المناسبة في السلم الحجاجي ...¹. ويصرّح (الناجح) بالتقارب بين الصوت الحجاجي اللساني والصوت الحجاجي الفلسفي داعماً لإصراره برأي (عبد الله صولة) يقول: "غير أنّ (مايير) قد عوّل في ما نرى على (دكرو) في ما بين (1972) و(1980) أي على كتابيه: (أن نقول ولانقول) وعلى (السلام الحجاجية) و(كلمات الخطاب) خاصة التي اقترض منها مفهوم الشارات والمتغيرات الحجاجية. وليته أعاد كتابة مصنفه في ضوء نظرية الحجاج في اللغة التي صدرت تقريباً بعد سنة من ظهور كتابه هو الذي صدر قبيل مصنف (دكرو) في نفس الحول تقريباً.... فالضمني عنده حينئذ رهين تلك الشارات والعلامات التي تخرجه من حيّز الوجود بالقوة إلى حيّز الوجود بالفعل، عبر آلية هي الاستفهام والسؤال. ويعود طرحه هذا إلى اعتباره الضمني ليس وسيطاً سياقياً... فحسب لكنه حجة إليها نريد توجيهه المخاطب دون أن نكون قد أشعرناه بذلك أو قلنا له شيئاً". ولعلّه من أجل هذا الطرح، الذي بقي رهين الضمني والمساءلة والشارات، عقب عليه (عبد الله صولة)، معتبراً إيّاه طرحاً غير مقنع لا جدّة فيه حيث يقول: "هذا قسم من مفهوم الحجاج عند (مايير) لا جدّة فيه، كما نرى ينازعه فيه أعلام مختلفون ومجالات درس مختلفة². ولشدة التقارب ذاته يقترح الناجح: "غير أنّنا

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 28.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 29.

نرى أنّ مقارنة (مايير) يمكن إعادة قراءتها في ضوء التداولية المندمجة لأنّ إشارات مفهوم العلامة أو الشارة الحجاجية هي تسمية لما يقصده، فيما بعد (دكرو)، بالعوامل والروابط¹.

وبواصل النّاجح تقديم التّوافقات بين الأصوات الحجاجية/النّظريات الحجاجية، فعند حديثه عن الحجاجية اللسانية يربط التّوافقات بالحجاجية المنطقية البلاغية يقول: "ويمثّل (ق1) أو مجموعة الأقوال الأولى حجة منها يكون الانطلاق في المحادثة والحدث الحجاجي، وعليه فإنّه لو جاز لنا اقتراض مصطلحات (تولمين) ومقاربتها على منوال (دكرو) لقلنا إنّ (ق1) يقابل عنصر (المعطى d) و(ق2) يناظر عنصر النتيجة (c) التي يرمز إليها (دكرو) عادة بـ (r) وتقريبا يوازي (ق1) عند (بيرلمان) قضايا الانطلاق"².

هكذا أثبت كل صوت تميّزه انطلاقا من نقاط الاشتراك والتّوافق التي تنطلق كلّها من كلمة الحجاج، أي؛ من حقل الحجاج، فالأصل واحد هو الحجاج ولكن لكل صوت مساهمته الخاصة بكمية من الكيفيات التي لها مصطلحاتها ومبادئها المنهجية وتقنياتها والتي تكتسب كفيّتها الخاصة من الزاوية التي تنتظر إليها. لكن يبقى التّوافق يغطي على التّنافر والتّنافر يغطي على التّوافق فهما يسيران معا من أجل نتيجة واحدة هي إثراء الحجاج.

ب . الأصوات الحجاجية في مستوى الكفاية التطبيقية عند عزالدين الناجح: (تشابك المنهج والمادة وتوحد النسق): القانون/ الخطاب عنصر أو حجة اختبارية من أجل الظفر بمنهج/عنصر محلّ له، فيكون الأمر؛ المنهج/الحجاج من أجل القانون/الخطاب. لقد فاوض (الناجح) المسافة الموجودة بين مادة عمله ومنهجه وبحث سبل التوافق بينهما فجعلهما متضامنين في نسق واحد. أو بصيغة أخرى؛ بحث الروابط التي تدقّق التناسب بين القانون/ المادة/الخطاب والمنهج الحجاجي. ومنذ البداية أعلن أنّ القانون يستدعي اللّغة للمساعدة وعلى اللّساني أن ينظّم اللّغة منهاجا لتحليل ذلك الخطاب القانوني يقول: "ليس يخفى ممّا

¹ - المرجع نفسه، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 31.

يجمع اللّغة بالعلوم الأخرى والياديين الأخرى المختلفة وهي علاقة استثمارية تقتضيها حاجة القانون إلى اللّغة. ولنقل هي علاقة الأداة والوسيلة. إذ مثلت اللّغة الأداة والوسيلة الوحيدة والفريدة التي عوّ عليها القانون لتحقيق اشتغاله وانسجامه الداخلي، تماما مثلما عولت علوم الإعلاميّة الرقمية على المنطق...¹. وقد قدّم إثباتات تاريخية لذلك هذه الإثباتات كأنّها روابط بين المنهج والمادة؛ بين عنصرين دلاليين ضخمين:

مقاربة بيرلمان وتيتيكا وتولمين تاريخيا معتمدة على المرافعات القانونية: اعتمدت المقاربات الحجاجية التي قدّمها هؤلاء الأعلام على النصوص القانونية يقول (الناجح) في الأمر: "إنّ النواة الصلبة التي اشتغل عليها الباحثان في هذا المصنّف بقسميه، هي إدماج نظرية الحجاج في فلسفة المعرفة والقرار... ممّا جعل الباحث الفرنسي (كريستيان بلونتان) يصف (بيرلمان) بكونه، علاوة على أنّه "مخترع البلاغة الجديدة" بأنّه "فيلسوف القانون". لأنّ منطلق البحث عندهما كانت نصوص المرافعات الدفاعية. فالخطاب القانوني كان في تصوّرهما بمثابة المخبر (laboratoire) الذي أجريا عليه منوالهما. ولذلك كان لمفهوم الحقيقة بماهي (la vérité) و (le réel) معاً، دور مركزي في نظرية الحجاج عندهما. وعليه أسّس الباحثان الحجاج الخطابي والحجاج القانوني وفي مواضع أخرى الحجاج العلمي. والواقع أنّ نصوص المرافعات وإن كانت منطلقاً مع (تولمين) أيضاً، فإنّها مع (بيرلمان) و (تيتيكا) كان لها تناول آخر خاص، وهو عندما أدمج الباحثان معيار المخاطب ورائز الجمهور/المنقّب/السامع/القارئ"².

التقنين الرسمي لعلاقة اللّغة بالقانون: حدّد (الناجح) غربياً تاريخ العلاقة العلمية الرسمية بين القانون واللّغة فقال: "ومهما يكن من أمر فإنّ علاقة القانون باللّغة كانت كما قلنا أنفا علاقة استثمارية غير مقتننة إلى مرحلة متأخرة وتحديداً مع سنة (1990) أي مع صدور

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 42.

² - المرجع نفسه، ص 17.

مصنّف اللسانيّات القانونيّة (جيرارد كورنيه)... والملاحظ في هذا المصنّف، نظرا لطبيعته الرياديّة التأسيسية التأسيليّة في آن، أنّه قد جاء موزعا توزيعا منهجياّ اعتمد فيه (كورني) أوليات الدّرس اللّساني من المفردة إلى الجملة إلى الخطاب. فالرجل قد برهن على اطلاع محترم على أهمّ مفاصل الدّرس اللّساني، وإن كان حقوقيا¹ ولضبط العلاقة جمع (كورنيه) لها هذا التعريف والذي نورده بتعليق الناجح: "وأهمّ ما جاء فيما يخصّ تعريف اللّسانيّات القانونيّة، في مصنّفه هو قوله: "إنّ اللّسانيّات القانونيّة هي الدراسة اللّسانية للغة القانون من خلال قانون اللّغة ذاته". فهذا التّعريف يختزل اهتمامات اللّسانيّات القانونيّة ويضمن لها انتماءها إلى حقل المعرفة اللّسانية عامّة ويبرّر (كورنيه) ولادة هذا الفرع العلمي الجديد في اللّسانيّات من خلال ما يجمع اللّغة بالقانون، إذ بينهما روابط عميقة فكلاهما ظاهرة اجتماعية...² إنّ حديثه الأخير "كلاهما ظاهرة اجتماعية" هو ضمان روح التّعريف الذي اقترحه.

وقد أخذ (الناجح) هاته العلاقة التي اقترحها (كورنيه) بسبب: "أنّه بقي حبيس المقولات الكبرى من جهة، كما أنّه في القسم الثاني قد طغى البحث الأسلوبي على مقاربتة من جهة ثانية، في الوقت الذي كان بالإمكان استثمار المقاربة التداوليّة بفروعها في معالجة الخطاب القانوني بأنواعه"³. وذلك لأنّ الخطاب القانوني: "نظرا لطبيعته الإجرائية (l'aspect procedural) ونظرا لخصائصه الإنجازيّة ومقاصده الخطابية وأبعاده التأويلية والحضارية أيضا، فإنّه يستدعي من منشئه ومن مؤوّله ومن الباحث عن المعنى فيه بصفة عامّة، كفاية لسانية لها مرجعيّات تداوليّة حتّى تسهّل للأول عمليّة الإنجاز وتيسّر للثاني عمليّة فكّ الشفرة"⁴. من خلال هذا كلّه تكون الدّراسات/الأصوات الحجاجيّة التي تحدثنا عنها بعلاقتها

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص44.

² - المرجع نفسه، ص44.

³ - المرجع نفسه، ص 44.

⁴ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 46، 47.

التوافقية والخلافية هي التي ستظهر بكميات وكيفيات في تحليل الخطاب القانوني الذي أخرج (الناجح).

حضور الأصوات الحجاجية تطبيقيا في خطاب الناجح: رأينا منذ قليل العلاقة العميقة بين الحجاج والقانون والآن سنعمل على متابعة هذا العمق بتقدير مدى مساهمة الأصوات الحجاجية على مستوى التطبيق من خلال ما قدّمه (الناجح) من إخراجات تطبيقية على ذلك. سنعمل على وصف تلك الإخراجات وتقدير كمياتها وكيفياتها.

حجاجية الخطاب التشريعي:

❖ المعجم: حلّ (الناجح) المادّة المعجمية من منظور حجاجي فقال بلغة المعجميين: "الكلمات العامة تمثّل العماد (le cheville ouvrière) في الملفوظ عامّة وفي الفصل القانوني خاصّة. وهي بمثابة البؤرة (focus) بمقتضياتها في الملفوظ"¹. إذ يقصد: "بالمقتضى؛ المعنى الضمني للوحدة المعجمية، أي المقتضى المعجمي (leprésupposé lescical)"². وعلى سبيل المثال نجده لاحظ هذا في مجلّة (الأحوال الشخصية) نموذج 1 المثال 9 الذي هو: "لا تثبت الوصية إلاّ بالحجة الرسمية أو بكتب محرّر ومؤرخ وممضى من طرف الموصي، ففي هذا المثال تنهض الكلمتان العامتان "الحجة" و"كتب" "محرّر" على قذح النتيجة التي تمرّ من خلال المقتضى عبر التسلسل الخطابي (l'enchainement discursif) فمن مقتضيات هذا الفصل التشريعي أنّ الحجة الرسمية والكتب المحرّر هما الضامن لصلاح الوصية وثباتها. وعليه من أراد أن تكون وصيته صالحة وثابتة قانونيا وذات حجة تشريعية فعليّه أن يقيدّها بالحجة الرسمية والكتب المحرّر والممضى. واللافت للانتباه أنّ مقتضى الألفاظ العامة، أوغل في الحجاجية من الألفاظ الخاصة، وذلك لصفة

¹ - المرجع نفسه، ص 81، 82.

² - المرجع نفسه، ص 77.

الشمولية والعموم في المفردة، فكلمتا "حجّة رسمية" وكتب محرّر كلمتان عامتان هما المسؤولتان عن توجيهه (l'orientation) المتقبّل نحو النتيجة الحجاجية التي هي مقتضاها، وما يستدعي الانتباه أيضا في هذا المثال هو مجيء الألفاظ العامة موصوفة، وهذا ما أشار إليه (موشلار) و(روبول) في معرض حديثهما عن الألفاظ العامة فعادة ما تكون مصحوبة بالمقيّدات والمخصّصات لتخفّض من شدّة عمومها. وهذا فيما نرى معمّق من معمّقات حجاجيتها وصمام أمانها في بناء الخطاطة الحجاجية للمفوض¹.

وقد وضّح (الناجح) العمومية المعجمية حجاجيا من خلال استدعاء النظريات الحجاجية مركزا على نظرية (دكرو)، وكأنّ نظرية (دكرو) هضمت المنهجيات النظرية لما قبلها واستقلت منهجية جديدة لسانيا فهي خياره؛ وفي هذا يعرف (دكرو) وصاحبه (أنسكومبر) الحجاج في مصنفهما (الحجاج في اللغة 1977) قائلين: "إنّ المتكلّم إذ يحاج إنّما يقدم قولا أولا "ق1" أو مجموعة أقوال تقود إلى الإذعان والتّسليم بقول آخر "ق2" أو مجموعة من الأقوال الأخرى. ويمثّل "ق1" حجّة منها يكون الانطلاق في عمل المحاجة "ولو جاز لنا اقتراض مصطلحات (تولمين) لقلنا إنّ "ق1" يمثّل المعطى (Donnée) ويمثّل "ق2" النتيجة (Conclusion) ويمكن أن يوازي "ق1" قضايا الانطلاق (Les propositions de départ) عند (بيرلمان). و"ق1" أو مجموعة الأقوال الأولى تكون من الصّريح (L'explicité) في حين أنّ "ق2" أي النتيجة "ن" قد تكون صريحة أو ضمنية (Implicité). وأجود الحجاج وأطرفه ما كانت فيه "ق2" ضمنية. لذلك كان المرور من الصّريح إلى الضمني هو الوجه الثاني لتعريف الحجاج عند الباحثين إذ يقولان في مقام آخر من مصنفهما "إنّ مفهومنا للحجاج ... لا يكون إلّا بتوجيه المتقبّل نحو نوع ما من النتائج". فمقولة التوجيه (Orientation) هي الأسّ النظري الذي عرّف به (أنسكومبر) و(دكرو)

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، 82.

الحجاج، بل إنّه على هذا الأساس قد قسّم (موشلار) و (روبول) تعريفات الحجاج عندما اعتبراً أنّ تعريفات الحجاج تنقسم إلى نوعين: الأوّل الحجاج العادي (ordinaire) والثاني الحجاج التقنيّ (technique) وجعلاً مفهوم التّوجيه متمحّضاً للتعريف التقنيّ الذي أبدعه (دكرو) و (أنسكومبر) من كدّ ذهنيهما. والحقيقة أنّ مفهوم التّوجيه عند (دكرو) و (أنسكومبر) مفهوم مركزيّ شأنه شأن مفهوم الانتقال (passage) في الشّبكة الاصطلاحية لتولمين. وهو الذي يكسب الملفوظ حجاجيته. باعتباره الآلية التي تعين المتقبّل على الظّرف بـ "ق2" أي النتيجة وهو الذي يرسم المسار التّأويلي الصّحيح حتّى لا يقع المتقبّل في مأزق المشترك... وتعدّد المعنى¹.

وهذا القول يثبت فعلاً حجاجية العموم من خلال تعدّد الاستلزمات والنتائج، ويبسّر الظّرف بالمسار الاستدلالي². وهما خاصيتان للعموم الحجاجي وتظهر العمومية الحجاجية حسب (الناجح) من خلال المقتضى المعجمي الذي له مكانة عنده يقول مثمناً: "إنّ المقتضى (leprésupposé) في اللفظ العامّ وسيلة جيّدة للحجاج وهو الذي يكون مسؤولاً عن حجاجية الفصل القانوني بأكمله عبر استدعاء المقدمات الضمنية"³. وتجد هاته الخاصية مناسبتها في الجنس العمومي من الخطاب التشريعي: "إنّ العموم المعجمي وسيلة ناجعة ركن إليها المشرع للمناورة والحجاج حتّى يضمن تسليم الجمهور وإذعانه. وهو أي العموم خاصية أجناسية في الخطاب التشريعي"⁴.

العموم في التركيب: وبالنسبة للعموم في التركيب يقول: "إنّ ما اصطلاحنا عليه بـ "عمومية التركيب" أو العموم التركيبي (vague structural) تؤكّد ما لبنية المسوّرة وهي بنية مطردة

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 68.

² - المرجع نفسه، ص 96 وما بعدها.

³ - المرجع نفسه، ص 84.

⁴ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 84.

في المدونة التشريعية، ولعلّ نتائج الإحصاء التي قمنا بها خير مثال أولي على ذلك حيث استعمل السور "كل" في (المجلة الجنائية) تسعا وستين مرّة ومائة (169 مرّة)، وفي مجلة (الأحوال الشخصية) احدى وأربعين مرّة (41) وهذا من شأنه أن يكون كما يقول الأسلوبيون من الظواهر المطرّدة وغير البريئة في الملفوظ. ولعلّ ركون المشرّح أو صانع الملفوظ إلى هذه البنية المسوّرة، قد اختزلت له بعموميّتها ضمان إذعان المتقبّل¹. ويضيف (الناجح) موضّحا قيمة التسوير الحجاجية: "ولعلّ قوّة التسوير أو البنية المسوّرة هي المسؤولة على قدح حجاجية الفصول التشريعية وذلك لشموليتها وتعميمها... ويمكن لبيان ذلك التوسّل بنظرية السّلام الحجاجية لذكرو (1980)، ومسألة السّلام الكميّة (موشلر وروبول 1994 (197

لئن كانت (ق2) و(ق2") هي من قبيل النّاتج التداولية التي لا يشهد على صدقيّتها إلّا المقام أو مقتضى الحال كما يقول القدامى، فإنّ ق2" أوغل ضمنية وبالتالي فهي أرقى حجاجية، والذي ساعدنا على استخراجها هو السّور ومداه الاستغراقي الذي يجعل (ق2") في هرم السّلم الحجاجي من جهة وبالتالي في هرم السّلم الكمي من جهة ثانية، فالحجج (ق2') و(ق2") و(ق2") كلّها تنتمي إلى نفس القسم الحجاجي (classe argumentative) وهو باختصار ذكرو (CA). ولكنّها تتفاوت في درجة الضمنية وهذا التفاوت في درجة الضمنية عائد إلى ما يسميه (ذكرو) وخاصة (أنسكومبر) بالسلمية في اللّغة ونزعم في هذا المقام أنّ سلمية (ق2') و(ق2") و(ق2") عائد إلى دور السور وخصائصه التعميمية باعتباره عاملا عامّا (généralités operateur)². فغدا السور مساهما مساهمة رئيسة في التحليل إذ: "السور ينتشر على الملفوظ عاصما إيّاه من المقننات المحتملة والاستلزمات الفاسدة، كما يقول المناطقة وذلك بإضفاء التّعميم على

¹ - المرجع نفسه، ص 93.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 94، 95.

الفصل التشريعي وجعله صادقا في كل الوضعيات اللفظية التي يقتضيها الملفوظ. ولعلّ النتيجة "ن" هي التي تؤكد ما كنا نقول. فهذا الفصل التشريعي هو بمثابة المقدمة (prémisse) أو المعطى (donnée) لنتيجة ضمنية أولية وهي "لكي تتزوج ثانياً عليك بفك عصمة الزواج الأول" ثم يأتي دور السور في استخراج النتيجة الأكثر ضمنية والتي يحققها التعميم الذي يبسطه السور على الملفوظ وهي "لا أحد يحق له الزواج بثانية إلا بعد فك عصمة الزواج الأول" ولئن كانت "ن1" هي نتيجة ذات أبعاد تداولية فإن الثانية لسانية محضة (linguistique purement) "1".

وعموما فالناجح عالج في مستوى التركيب القضايا الكلية المصدرة بالمسوّرات خصوصا المسور "كل" ولذلك أثناء التطبيق نجد (الناجح) يذكر بالقيم النظرية للعموم فيقول: "وعليه فإنّ التعميم في المجلة الجنائية من خلال النماذج أعلاه واستعمال "كل" فيها، يصدق عليه قول (بيرلمان) و(تيتيكاه) في حجاجية القضايا الكونية إذ يقولان: "غالبا ما تكون الألفاظ العامة في جمل وقضايا كونية. والمحصّل من كلام (بيرلمان) و(تيتيكاه) أنّ التعميم يكسب الملفوظ ويسع نطاق جمهوره المستهدف، وهذا يصدق على فصول (المجلة الجنائية) حيث أنّ مساحة الجمهور الذي تستهدفه أوسع رقعة من جمهور مجلة (الأحوال الشخصية)، ممّا يجعلها أنجع حجاجية وأكثر إمكانات في إنتاج المفاهيم ومتضمّنات القول. ففي المثال (1) وهو "كل محكوم عليه بالقتل يشنق" هو بمثابة القضية الكونية (préposition universelle) وهذا عائد إلى أمرين الأول لساني، ويتمثّل في استغراق وإطلاقية السور. والثاني من طبيعة غير لسانية، وإن كان بمثابة النتيجة له، وهو الجمهور المقصود والمعني بالملفوظ"2.

1- المرجع نفسه، ص 94.

2- عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 100.

وفي نفس المبحث أي حجاجية العموم عالج (الناجح) قضايا النفي مستندا إلى (دكرو) وتقسيمه الثلاثي للنفي¹ يقول: "فأما النفي السجالي فهو نفي يعارض به المتكلم رأيا معاكسا لرأيه صاغه المخاطب صياغة إثباتية". وأما النفي الوصفي فهو النفي "الذي يكون تمثيلا لحالة الأشياء في الكون دون أن يقدمه قائله على أنه يعارض خطابا آخر". ولقد عالج (دكرو) ضربا ثالثا من النفي في مرحلة متقدمة في سنة (1980) وتحديدا في (1984) في "القول والمقول" وهو النفي الميتالغوي (Négation Métalinguistique) وهو "قول منفي يهاجم متكلمًا قال المقابل الموجب"² وهاته التعريفات تدخل تحت محصل واحد هو: "أنّ النفي غايتها الانتقال (passage) من منوال خطابي إلى آخر مغاير، أو هو بعبارة (دكرو) توجيهه (orientation) للمتقبل إلى وضعية خطابية أخرى يتم فيها الائتلاف في النتائج (conclusion) والمواقف وهذا غاية الحجاج القصوى وهي إنهاء الحجاج عبر تألف النتائج"³. وقد أثنى (الناجح) على (دكرو) عندما دقق هذه المفاهيم وبرهن بما قدمه على سلمية اللغة إلا أنه انتقده تطبيقيا، من حيث إنه لم يقدم أدلة تطبيقية تعزز طرحه التصنيفي النظري وذلك: "بأنه نسي أو قد تناسى أن يطبق منوال السلمية، باعتباره نظرية تامة، على هذه الأصناف الثلاثة من النفي. والذي نرى أنّ هذه الأصناف الثلاثة تقع في تراتبية لولبية لا في سلمية عمودية. وهذه اللولبية تكون في حركة دائمة يظلّ المقام هو المحدد النهائي للنتائج الحجاجية فيها. وذلك لأنّ المحل الذي يشغله النفي الوصفي مثلا، ليس ثابتا لأنّه يمكن أن يشغله في وضعية تلفظية ما النفي السجالي وعليه اعتبرت (تاتسكو) أنّ النفي الوصفي مشتق وامتداد للنفي السجالي". ولذلك بناء على هذه اللولبية، فإنّ هذه الأصناف الثلاثة من النفي لها نفس الطاقة الحجاجية. وكلها مؤدية لإذعان المتقبل وتسليمه. وإن تفاوتت، فليس على سبيل السلمية أو التراتبية، وإنما على ما يقتضيه نوعها وتعجيمها وإن بدا

¹ - المرجع نفسه، ص 110، 111.

² - المرجع نفسه، ص 107.

³ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 107.

لبعضهم، أنّ "النفي السجالي أكثر حجاجيّة في حين أنّ الوصفي له منوال حجاجي مضاد" (تاتسكو مريان)¹ وقد علّل (الناجح) انتقاده لدكرو من خلال استعانه بتاتسكو، إذ ترى (تاتسكو) بأنّ العلاقة بين أصناف النّفي هي علاقة لولبيّة أي تضامنيّة ترفض الانقسام والتّصنيف ودليلها أنّ النّفي الوصفي امتداد لولبي للنّفي السّجالي وليس امتدادا سلميّا، فأصناف النّفي الثلاثة يجمعها تضامن لولبي وليس تضامن سلمي. وعليه يقدّم الناجح أمثلة تطبيقية لذلك: "ويمكن بيان ذلك من خلال الأمثلة التاليّة:

أ. للزوج ولاية على أموال زوجته الخاصة بها؛

ب. لا ولاية للزوج على أموال زوجته الخاصة بها(م.أ.ش، 2001، 12)؛

ج. يقع الطّلاق في مكتب العمدة؛

د. لا يقع الطّلاق إلّا لدى المحكمة.(م.أ.ش، 2001، 13)؛

هـ. تسقط نفقة الزّوجة بمضي المدّة؛

و. لا تسقط نفقة الزّوجة بمضي المدّة.(م.أ.ش، 2001، 20)؛

إنّ الأمثلة المذكورة أعلاه، تبرهن على أنّ حجاجيّة النّفي السّجالي تؤكد لها طبيعة النّتيجة التي لا يمكن أن تكون إلّا مفهوميّة فلا يمكن أن تكون اقتضائيّة.

ودليلنا على ذلك هو تحوّل المفهوم من الملافيظ المثبتة (أ.ج.هـ) إلى مفاهيم مغايرة تماما في الملافيظ المنفيّة (ب.د.و) والفضل في كل ذلك راجع إلى عامليّة النّفي. وعليه فإنّ النّفي السّجالي كما اعتبرته (تاتسكو) المنوال الطراز للنّفي، يمكن اعتباره، ليس في هرم السّلم على طريقة (دكرو)، وإنّما هو بمثابة النّقطة المنطلق التي يتناسل منها ضربان آخران من النّفي (النّفي الوصفي، والوصف الميتالغوي) أو لنقل بمثابة الرأس في القاطرة، وحسب حركته يتمّ إنتاج بقيّة الأضرب من النّفي، بل إنّه، أي النّفي

¹ - المرجع نفسه، ص 112.

السجالي، يمثل الرائز في تحديد موقع الملفوظ في المحادثة¹. لقد حدث هذا بسبب إحداث حركة في هرمية سلم (دكرو) إذ؛ أصبح النقي السجالي ليس في هرم سلم (دكرو) بل في منطلق لولب (تاتسكو) ممّا يؤدّي بالنقي إلى التناسل والتوالد الحجاجي.

واستمرّ (الناجح) معزّزا مراميه بأعلام عرب حجاجيين فاستدعى (شكري المبخوت) لتوضيح مقاصده يقول: "ونقصد بهذا ما ذهب إليه شكري المبخوت عند قوله "إنّ النقي عندنا يشترط إطارا تخاطبيا يكون فيه استثناء للكلام لا ابتداء". ومن مقتضيات الحجاج أن يكون استثناء كما يمكن أن يكون كذلك على الابتداء ... إنّ حجاجية النقي وبنيته تؤكّدهما وظيفته الأساسية التي هي التّكذيب. من جهة المعنى، وتؤكّدهما أيضا الوظيفة التّبئيرية في بنية النقي... من جهة ثانية، حيث يساهم النقي في توجيه المتقبل عبر صدارة العناصر اللسانية المحقّقة له إلى نتيجة محدّدة، عبر حركة لولبية، كان قد تفتّن إليها (شكري المبخوت) وعبر عنها بالالتباس... الذي يسببه المقام وفي هذا السياق يقول: (شكري المبخوت) " يؤدّي اعتبار تصنيف (دكرو) للنقي تصنيفا تداوليا إلى التسليم عنده بأنّ النقي ملتبس ولكنه التباس تداولي يتّصل بالاستعمال المقامي المحتمل للقول وليس التباسا دلاليا. ومأتى هذا الالتباس هو ما اصطلحنا عليه بالحركة اللولبية التي تميّز النقي إذا لم نقل هي ميزة اللّغة كلها...². ولعلّ هاته الاستعانة أي شرح (المبخوت) لدكرو من خلال مفهوم الالتباس، هو الذي يجعل مفهوم (دكرو) لاشتغال النقي يقارب الحركة اللولبية أو يوازيها فيما استدركه (الناجح) من شرح (المبخوت) لدكرو. وعموما؛ إنّ الأمر يظلّ سلّما أو لولبيا، فالخاصية اللولبية خاصية مضافة متماشية و الخاصية السلمية.

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 112، 113.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 112، 113.

وقد علّق (الناجح) على خصب النّفي للحجاج على مستوى المدوّنة القانونيّة فقال: "ومهما يكن من أمر فإنّ النّفي باعتباره "إكذابا وتكذيبا قد مثّل أداة جيّدة في المحاجة القانونيّة ولعلّ طغيان استعماله أسلوبيا مميّزا ومطرّدا في المدوّنة التشريعيّة خير دليل على ذلك. وما يؤكد هذا الطّرح أيضا، هو أنّ النّفي يوفّر إمكانات المحاجة للخصم أيضا على نفس القدر من المساواة التي تكون للمتكلّم. وهذا ما يفسّر طغيانه في مدوّنات أخرى كالقرآن والمحاورات بين الرسول ﷺ والمشرّكين، حيث يطغى أسلوب النّفي من الطرفين"¹.

ونشير بأنّ الملاحظ المتأمل لمدوّنة التحليل يجدها مدوّنة يغلب فيها حضور صوت الحجاجيّة اللسانية. وكأنّه صوت أكثر نضجا استغلّ ضمناّ الجهاز المنطقي لتولمين والخصائص العامّة للحجاج البلاغي، وضبطها في تحليل بنى اللّغة. من خلال المعجم والتركيب.

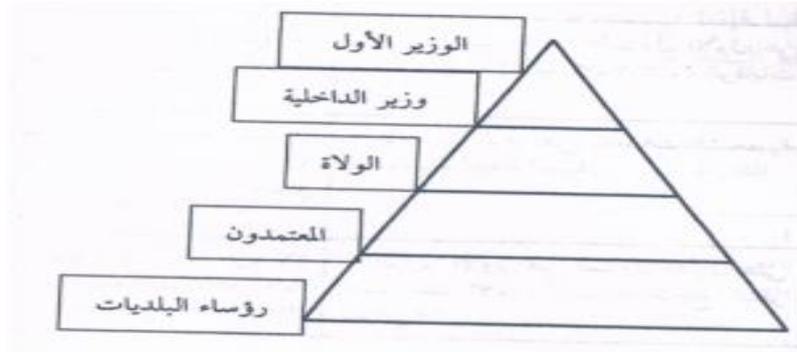
الترتيب: أمّا بالنسبة للترتيب وجدنا الصّوت البلاغي (بيرلمان) لاعتبار خطابي، وقد ذكرنا (الناجح) بقضايا التّرتيب في البلاغة الأرسطيّة واعتبر التّرتيب ضمانا للمرور إلى النّتيجة ثم تحدّث عن قضايا التّرتيب عند (بيرلمان) فتحدّث عن التّرتيب الهرمي مثلا فقال: "وقد عالج (بيرلمان) هذا الضّرب من التّرتيب في مصنّفه معتبرا أنّ التّرتيب هو المكيف المباشر للنّتائج الحجاجيّة. وعليه فإنّ هذا التّرتيب له وظيفة حجاجيّة خاصة تكمن في كونه برهانا على انسجام الملفوظ وتناسقه، لأنّه يوفّر نوعا خاصا من التسلسل (enchainement) بين العناصر المرتبّة. وهذا ما اصطلحنا عليه بالهرميّة وقد أشار (بيرلمان) و(تيتيكاه) إلى هذا المعنى من قبل عند تعرّضهما لطريقة ترتيب الحجج معتبرين أنّ المسألة تمتدّ جذورها إلى العلوم الصحيحة في بناء استدلالاتها. وقد أشار إلى فضل (دكارت) في ذلك"². ويضرب (الناجح) مثلا تطبيقيا:¹

¹ - المرجع نفسه، ص 114.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 141.

ن. الحجاجية	الملفوظ القانوني القائم على الترتيب الهرمي المنطقي
الوزير الأوّل هو المسؤول على تنفيذ هذا الأمر...	8 الوزير الأوّل ووزير الداخلية والولاية والمعتمدون ورؤساء البلديات مكلفون كل فيما يخصه بتنفيذ هذا الأمر (م.أ.ش. 2001. 96)

وقد أنجز مخطّطاً هرمياً للرتب:²



وقال معلقاً: "وقد قدّم الوزير الأوّل على وزير الداخلية على جهة التّديني من الأعلى إلى الأدنى"³.

في هذا المبحث لاحظنا الحضور البيروماني في التحليل قد حضر حضوراً مركزياً، ثم بعد أن انتهى (الناجح) من الترتيب انتقل إلى مبحث أسماء "التقديم والتأخير" باعتباره حركة ذات أبعاد حجاجية" والذي سترجئه لأسباب منهجية بسبب غياب الأصوات الحجاجية الغربية فيه وكنا قبل هذا عندما تحدثنا عن الترتيب أرجأنا الإشارة إلى أربع نقاط في الترتيب وذكرنا الترتيب الهرمي لأن الأربعة الأخرى هي تراثية عربية تفيد فيها الأصوات الحجاجية العربية.

¹ - المرجع نفسه، ص 143.

² - المرجع نفسه، ص 144.

³ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 144.

وإذا كان (الناجح) قد عالج بعض الفصول التشريعية مستقلة عن بعضها باعتماده خاصيتها التعميم والترتيب مثلا... فإنّ في فصل: "دوران الحجج وتقاطعها في الفصل التشريعي: حجاجية الفصل القانوني من خلال بعض مظاهر دينامية الخطاب" سيعالج الفصول التشريعية في علاقتها ببعضها البعض وذلك عن طريق الدوران الذي يعرفه: "الحركة التي ترسمها الحجّة في كامل الجهاز الحجاجي والأثر الذي تتركه عند كل مرحلة من مراحل التوجيه الحجاجي وإن شئت قلت إنّ دوران الحجّة هو مظهر خاصّ من مظاهر حجاجيتها يفرضه عليها المسار التأويلي للمفوض وعلاقته بما سبقه وما يلحقه"¹.

وقد عالج الدوران عن طريق التعريف وعن طريق نظام التشريع، وبالنسبة للتعريف نجده توصل إلى نتائج التي دققها قائلا: "إنّ الملايظ التشريعية قد عوّلت على ضرب خاص من التعاريف توسّلت بها لتحقيق الوظيفة الحجاجية من المفوض القانوني وعادة ما تكون هذه الفصول في فاتحة كل باب تشريعي من أي مجلة قانونية... إنّ التعريف في الفصل التشريعي يحقق حجاجية المفوض عبر الحركة التي تقوم بها الوحدة المعجمية المعرفة في ما اصطلحنا عليه بدوران الحجّة وذلك أن التعريف هو بمثابة العقد بين الباث والمتقبل وهو المسؤول عن انسجام المفوض وتناسله واسترساله... إنّ دوران الحجج عبر التعريف، علاوة على وظيفته الحجاجية له وظيفتان مصاحبتان هما الوظيفة الخطابية التي تبرهن على انسجامه والوظيفة الموضوعية التي تعمق توجيهه الحجاجي"² إنّ هاته النتائج حاول أن يثبت بها حجاجية التعريف في القانون ولعلنا إذا زدنا موضحين الأمر بالمثل لكان ذلك أصدق. فإذا أخذنا الوظيفة الموضوعية للتعريف فإننا نجد لها وظيفة لها سلطة على انسجام الفصول التشريعية عن طريق تعميق التوجيه يقول: "والوظيفة الموضوعية تساهم في تعميق التوجيه عبر ردّ المخاطب إلى الموضوع الذي وفقه أنتج التعريف ومهما يكن من أمر فإننا في هذا

¹ - المرجع نفسه، ص 172.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 213.

الطّرح نرى أنّ الوظيفة الحجاجية على غرار ما يرى (دكرو وأنسكومبر) (1997). هي المقصد الأسنى من الفصول التشريعية التعريفية¹. ونورد النص التالي كوثيقة استشهاد يقول (الناجح) مناسبة الوظيفة الموضوعية للتعريف: "... ونضرب على ذلك مثلا تعريف كلمة "السلاح" في الفصلين (118، م، ج، 27) و(270، م، ج، 57) حيث يصوغ المشرّع تعريفين للسلاح مختلفين تقريبا رغم أحادية الوحدة المعجمية المعروفة، وذلك عائد في ما نرى إلى أنّ كل تعريف يصوغه الشارع إنّما يؤسّسه على موضع معيّن، حتّى لا يتسنى للمخاطب محاصرته ومحاجته بأحادية التعريف فموضوعية التعريف هي التي تضمن للمشرع السيطرة على توجيه المحاجة عبر إخضاع المخاطب إلى سلطة الموضع الذي أسس عليه التعريف"².

حجاجية النظام التشريعي:

أما بالنسبة لحجاجية النظام التشريعي فيقتضي فيه الحديث: "عن الوظيفة الغائية (finalité/ fonctionnalité) من دوران الحجج في النظام التشريعي حديثا قريبا عن الخطاظة الحجاجية التي يصاغ النظام التشريعي وفقها لأنّ هذه الخطاظة هي التي سنكشف لنا عن كيفية اشتغال الجزء في الكل وهي التي سنكشف في الآن نفسه عن تماسك الكل (أي النظام التشريعي) "دور الحجة عبر دورانها في تحقيق هذا التماسك والانسجام"³. وتشمل الخطاظة ثلاثة عناصر:⁴

❖ **العنصر الأول:** "هو عنصر المقدمات (les prémisses) ويتمحض هذا العنصر

عادة عن التعريف بالنظام التشريعي وشروط قيامه وأركانه والتعريف بالأطراف التي

¹ - المرجع نفسه، ص 212.

² - المرجع نفسه، ص 212.

³ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 220.

⁴ - المرجع نفسه، ص 221، 222.

تعنيهم وتشملهم أحكامه وعادة ما يكون هذا العنصر من الخطاطة قائماً على فصول تعريفية محضة¹

❖ **العنصر الثاني:** "فإنّه يقوم على جملة الفصول التي تعالج الوضعيات الاحتمالية والمضادة أو لنقل الأوضاع الطارئة التي قد تتعارض أو تختلف مع مقتضيات العنصر الأول ولا تدخل تحت طائلة الوضعيات التي حددها المشرع وغابت عنه فهذا العنصر حينئذ هو بمثابة المستدرک والملحق (annexe) للعنصر الأول الذي قد يكون غير صالح في وضعيات قانونية محدّدة أو قد لا يستوعب بعض الاحتمالات الخاصة التي تظهر فجأة ويقضيها عامل الزمن مثلاً أو الأفراد المعنيون به"².

❖ **العنصر الثالث:** "يقوم على مجموعة الفصول التي تحدّد نهاية صلاحية النظام التشريعي وتضع له صيغاً قانونية تحدّد الخاتمة القانونية التي يصوغها الشارع لإنهاء العمل بذلك النظام. وعليه فإنّ العنصر الثالث من الخطاطة هو بمثابة مرحلة التخلّص أو مرحلة الانتقال إلى العمل بنظام تشريعي مغاير. ويتميّز هذا العنصر من الخطاطة باحتوائه على إحالات مباشرة على العنصرين السابقين لأنّه قد بني على أساسهما. وهو يكشف دوران الحجّة في النظام بأكمله حيث تنطلق الحجّة في حركتها من العنصر الأول إلى العنصر الثاني لتستقر في العنصر الثالث إثباتاً أو دحضاً هدماً أو تأسيساً"³.

ويحاول (الناجح) توضيح خطاطة النظام التشريعي من خلال موازنتها بخطاطة (تولمين) الحجاجية يقول: "وعليه فإنّه لو حاولنا الموازنة بين خطاطة النظام التشريعي وخطاطة (تولمين) الحجاجية بجميع عناصرها لوجدنا أنّ العنصر الأول من الخطاطة التشريعية يوافق

¹ - المرجع نفسه، ص 221.

² - المرجع نفسه، ص 221.

³ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 222.

تقريباً عنصر المعطى (d) (donnée) في خطاطة (تولمين)... وتقريباً يوازي هذا العنصر في الخطاطتين: التشريعية والحجائية التولمينية، عنصران مهمّان عند (بيرلمان) و(تيتيكا) وهو عنصر مسلمات الانطلاق أو قضايا الانطلاق (propositions du départ) أو المقدمات الحجائية (les premisses argumentatives) التي تصلح كأسس للمحاجة (بيرلمان وتيتيكا، 1992، 87)... وأمّا العنصر الثاني: يوافق في الخطاطة الحجائية التولمينية عنصر شروط النقض والاستثناء (conditions de réfutation) ويرمز إليها (تولمين) بالحرف اللاتيني R (تولمين ستيفان، 1993، 125). وهذا العنصر من خطاطة (تولمين) في مرحلتها الثانية، من وظائفه سدّ الخانات التي يمكن أن يستثمرها الخصم لإحباط العملية الحجائية... وأمّا العنصر الأخير... فإنّه يوازيه في خطاطة (تولمين) الحجائية عنصران: عنصر النتيجة (ن) وعنصر الأساس (fondement). الذي يرمز إليه تولمين بـ f مرة أخرى¹

هذا انسجام حجاجي من داخل النظام التشريعي أو دوران الحجج داخل النظام التشريعي ذاته. (وقد استعمل الصوت التولميني).

ويضيف (الناجح) داعماً الأمور، بأنه يمكن أن يكون ما يسمّيه "دوران حجج النظام التشريعي مع حجج من أنظمة تشريعية أخرى" فيكون أنّ: "المشرّع، حتى يكون ملفوظه مكملًا لبعضه بعضاً، وحتى تكون خطّته الحجائية منسجمة ومتكاملة يسعى في أغلب الأحيان إلى إنهاؤها عبر إلحاق معاني الفصول القانونية بأخرى، وقد تكون هذه الفصول غير منتمية إلى النظام التشريعي نفسه. وهذه ظاهرة متواترة في المدونة التشريعية، بأسرها إذ لا يكاد ينعدم وجود نظام تشريعي يخلو من هذه الظاهرة وذلك عائد إلى أنّ المعنى القانوني في الفصل يبقى في حاجة إلى إتمامه بمعنى قانوني آخر من فصل ينتمي إلى

¹ - عزالدين الناجح، الحجج في الخطاب القانوني، ص 223، 224، 225

نظام تشريعي مختلف¹ وقد ضبط الأمر بطريقة حجاجية مستندا إلى صوت دكرو: "إنّ وجه الحجاج في دوران الحجّة عندما تكون الحجج منتمية إلى أنظمة تشريعية مختلفة هو تقريبا من قبيل ما نجده عند (دكرو 1980). وعندما تكون الحجج غير منتمية إلى قسم حجاجي (classe argumentative) واحد وإن كان تصور (دكرو) في مفهوم القسم الحجاجي يدخل ضمن تصور أكبر لخصه في كتابه (السلام الحجاجية 1980). فمفهوم القسم الحجاجي باعتباره مفهوما مركزيا يجب الوقوف عنده". هو عبارة عن مجموعة من الحجج أو الملافيز التي تقود وتخدم النتيجة "ن" الحجاجية نفسها، هو تقريبا يضارع في بحثنا مفهوم النظام التشريعي، باعتباره مجموعة الملافيز أو الحجج التي تقود إلى نتيجة واحدة ولكن الأمر من خلال مفهوم دوران الحجج يزداد تعقيدا عندما تكون الحجتان غير منتميتين إلى نظام تشريعي واحد، ورغم ذلك فإنّهما يخدمان نتيجة واحدة. وهذا في الحقيقة من السمات المميزة لحجاجية الملافيز والخطاب القانوني بصفة عامّة عن سائر الأنماط الخطابية². وتطبيقا نورد على هذا مثال (الناجح) من مجلة الأحوال الشخصية الذي نصه: "يجوز للزوجين أن يتفقا على تغيير نظام أملاكهما بعد مرور عامين على الأقل من تاريخ إقامته ويجب أن تحرر في ذلك حجة رسمية. ولا يعارض الغير بذلك الاتفاق إلاّ بعد الحصول على مصادقة رئيس المحكمة الابتدائية لمقر إقامة الزوجين عليه والقيام بالإشهارات القانونية اللازمة من إدراج بدفاتر الحالة المدنية للزوجين وترسيم بإدارة الملكية العقارية على النحو المبين بالفصلين 7 و 15 من هذا القانون. (م.أ.ش، 2001، 103)³. ويحلّل (الناجح) هذا المثال عن طريق دوران الحجّة وبالضبط عن طريق المقترضات التي تحدث الاتصال بين الفصول القانونية وإن كانت تنتمي إلى أنظمة تشريعية أخرى- يقول: "ففي المثال... ذيل الفصل بما يؤكّد اتصاله بفصول قانونية أخرى من نظام تشريعي آخر. وهذا الاتصال

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 232.

² - المرجع نفسه، ص 232.

³ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 232.

والتواصل بالفصول القانونية الأخرى من أنظمة تشريعية مغايرة لا يكون إلا عبر دوران الحجة، التي تتم معنى الفصل القانوني الذي قد يستغله الخصم لدحض حجة المتكلم وتكتشف مزية دوران الحجج و"تناص" الفصل القانوني مع فصول قانونية أخرى من خلال المفاهيم والمقتضيات الخاصة. فبعض الفصول مقتضيات لبعض الفصول الأخرى أو مفاهيم لها. ففي المثال الأول تنهض كلمة "الإشهار القانوني" باعتبارها بؤرة الفصل بحركة حجاجية نجد أثارها ماثلة في الفصلين 7 و15. فالإشهار القانوني لا يتم ولا يكون ناجعا، إلا بالعودة إلى الفصلين المذكورين أنفا لأنهما بمثابة مقتضاه وعليه فالفصلان 7 و15 هما بمثابة الضمان (garantie) لصلاحية الإشهار القانوني ومداه الحجاجي. وهما بالتالي الضمان لحجاجية الفصل القانوني كله"¹

والمهم حتى الآن بالنسبة للناجح أنه؛ استعمل الأصوات الحجاجية التي اعتمدها بداية (بيرلمان تولمين دكرو) فإذا تعلق الأمر بالأمر الحجاجية العامة اعتمد (بيرلمان وتولمين)، أما إذا ارتبط الأمر بالأمر اللغوية التقنية والتي هي خصيصة الحجاجية العامة استعمل (دكرو)، مثل النفي، المعجم، ... والخلاصة أنه نوع استخدام الأصوات واستخدمها في غرض محدد اقتضته المادة المدروسة، ونكون إذ ذاك بكل هاته الاستشهادات قد عبرنا عن كمية وكيفية استعمال الأصوات تطبيقيا، وإن كانت الوفرة لدكرو ومدرسيوه، وفي الآن ذاته عرضنا للأمر بالمثال.

حجاجية الخطاب القضائي: إن النظام التشريعي وجهته هي المستقبل كما هي وجهة الحجاج التي هي المستقبل. فالتفكير في المستقبل يعني الإعداد له حجاجيا. كذلك يعمل القانوني التشريعي على الإعداد للمستقبل للوقاية من الجريمة فيصوغ قوانين عامة كونية تستقطب كما هائلا من الجمهور وقد أكدّ (الناجح) البنية الحجاجية فيه من خلال التحليل الذي قدم قبل هاته الفقرة.

¹ - المرجع نفسه، ص 233.

وفي حالة وقوع الجريمة يلجأ الجميع للقضاء لمعالجة وقائعها وعليه يقول الناجح: "وجمع فقهاء القانون (مارنيار) و(برجال) وغيرهما على أن الخطاب القضائي يقوم على قسمين كبيرين هما:

الوقائع: (les faits) والتكْييف (qualification) فأما الوقائع فهي الأحداث والأفعال، موضوع النزاع، وأما التكْييف فهو عبارة عن عملية عقلية في تحليل قانوني للوضعيات والوقائع مع إيجاد حلول قانونية لها". ولئن كانت الوقائع هي ما يكشف عن إجرائية هذا الخطاب فإنّ عملية التكْييف هي ما يعطي لهذا الجانب الإجرائي بعده التأويلي (escegesse/ interpretation) الذي طالما قرنه (مارنيار) بالخطاب القضائي إذ يعتبر أنّ عملية التأويل في الخطاب القضائي هي أسّ عملية التكْييف، وهي مرتبطة بالوقائع من جهة وبالنصوص التشريعية من جهة ثانية وبالقاضي باعتباره مكيفاً ومؤولاً من جهة ثالثة.¹

ويقرّب (الناجح) بين الخطاب القضائي والمنهج التحليلي الحجاجي فيقول: "الخطاب القضائي يقوم على خطاطة عامة يحكمها عنصران هما السؤال والجواب. فالسؤال هو عبارة عن مطلب المتنازعين والمسألة التي تنتظر فيها المحكمة وأما الجواب فهو أطروحة القاضي ولجنته. ولكن هذا التقسيم على بداهته فإنّه يقدح فينا تصوّر (دكرو) وصاحبه للحجاج. فهما يلحّان على اثنيّية الخطاطة الحجاجية (ق ك). فتصوّر (كورني) الاثنيّني (س ج) لا يخرج عن تصوّر (دكرو) الحجاجي وإن لم يشر (كورنيه) لا من قريب ولا من بعيد إلى الجانب الحجاجي في الخطاب القضائي وإنما بقي رهين محبسين هما الأسلوبية (stylistique) والمنهجية القانونية (méthhodologie juridique) ويتّضح ذلك من خلال مقارنته للسؤال والجواب وتتبع لخصائصهما الأسلوبية ووظائفهما المنهجية القانونية².

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 245.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 249.

اعتمادا على هذا حاول الناجح أن يقارب الخطاب القضائي من خلال قسم وسمه بـ: "خصائص الخطاب القضائي الحجاجية" وقد حاول فيه مقارنة الأمور البنيوية التي تقدّم انسجام الخطاب القضائي فعالج الخطاب القضائي من منظور الخطاطة التي عرضها وفكّكها لسانيا وقد كانت الخطاطة ثنائية عند علماء القانون وتمثّلت في قسمين هما الحثيات (les motif) ومنطوق الحكم أو النتيجة (déspositif) وقد جعلتها المقاربة الحجاجية اللسانية أكثر ثراء فأصبحت (معطى وأسانيد ونتائج)¹

وقد برّر اختيار عنصر المعطى لوجوده منطلقا في كل علم فقد أثبت تاريخيته في الدراسات الحجاجية والدراسات الحقوقية²

وعليه يقدّم (الناجح) التوافق بين المعطى الحجاجي ممثلا في الأصوات الحجاجية/ أعلام الحجاج وبين المعطى القانوني يقول: "ففي الدراسات الحجاجية من قبيل مصنّف (بيرلمان) و(تيتيكاه) يمثّل المعطى فيها ماسميناه بـ "مسلمات الانطلاق (proposition de départ) أو مقدّمات المحاجة وقد قسّمها الباحثان أنواعا فمن مقدّمات الانطلاق عندهما نجد "القيم والهرميات والمواضع والوقائع". أمّا مع (تولمين) في كتابه (استعمالات الحجاج) فإنّ عنصر المعطى هو ما رمز إليه بالحرف "d" في خطاطته. وهو نقطة الارتكاز الأولى التي ينطلق منها الحدث الحجاجي. وأمّا مع (دكرو) وصاحبه فإنّ المعطى، حسب رأينا، في خطاطتهما يوافق ما سميّاه بـ "ق1" الذي يقود إلى النتيجة (ق2) واللّطيف أنّنا وجدنا في أدبيّات البحوث القضائية مصطلحا نظيرا وجديدا لمصطلح المعطى المذكور آنفا في الدراسات الحجاجية وهذا المصطلح هو الوقائع...، وإن كان (بيرلمان) قد أشار إليه باعتباره عنصر من عناصر المعطى في منواله. و تقريبا يوازي مفهوم المعطى أيضا مفهوما آخرا

¹ - المرجع نفسه، ص 259.

² - المرجع نفسه، ص 259.

في الدراسات الحقوقية وهو مفهوم الحيثيات... القابل للمحاجة أو "للتفسير"¹. وقد تمثل المعطى في الوقائع...، و الوثائق...، و الحجج المساعدة...، ومطالب الأطراف... فبالنسبة للوقائع نجد الناجح يعتبرها ضرورية قانونياً؛ فهي السبب المباشر لانتصاب المحكمة، فالنتيجة أو الحكم هو عارض للأسباب و الوقائع²، ومنه يموقع (الناجح) الوقائع فيما كتبه (بيرلمان) و(تيتيكاه) فيقول: "... تكتسب الوقائع طاقتها الحجاجية من طبيعتها وخصائصها الواقعية للظاهرة المجسدة في الكون. فهي مما لا يمكن أن ينكره العقل أو تدحضه الفكرة. وإذا كانت الوقائع في عرف (بيرلمان) و (تيتيكا) تنقسم إلى نوعين وقائع مشاهدة معاينة من ناحية ووقائع مفترضة من ناحية أخرى" فإنها في الخطاب القضائي على ضرب واحد وهو الضرب الأول الذي قصده (بيرلمان) "بالوقائع المشاهدة". من قبيل القتل والتحلل والسرقه والطلاق والاعتصاب وغيرها من الوقائع. كما تستمد الوقائع قيمتها الحجاجية من موقعها ووقعها على الجمهور لذلك يعلق (عبد الله صولة) على هذه الخاصية في الوقائع، على ما هي عليه عند (بيرلمان)، قائلاً "والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوباً منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق إذ الواقع يقتضي إجمالاً كونياً"²

أما بالنسبة للوثائق فيقول: "الوثائق، حينئذ في الخطاب القضائي لها وظيفتان حجاجيتان: الأولى تبرير الوقائع... وتقويتها عبر إعطائها مشروعية رسمية تستمدّها من عيانيتها، و الثانية إجرائية بغاية الانتقال من عنصر المعطى عامة إلى عنصر النتيجة أي الحكم ومنطوقه... وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ عنصر الوثائق هو بمثابة الضمان... للانتقال... من المعطى إلى النتيجة"³. وبهاتين الوظيفتين يقرب الأمر من (بيرلمان) فيقول: "وتقريباً يوازي هذا النوع من المعطى، في خطاطتنا القضائية، ما اصطلح عليه

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 260.

² - المرجع نفسه، ص 261.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 261.

³ - المرجع نفسه، ص 263.

(بيرلمان) في مقارنته البلاغية بعنصر "الحقائق"...، وإن كان هذا المفهوم عند الباحثين أشمل منه في تصورنا، حيث يقصد الباحثان بالحقائق "أجهزة معقدة أكثر من الوقائع دقة وترتبط بينها علاقات". من قبيل الحقائق العلمية الفيزيائية أو النظريات الفلسفية والدينية التي تستمد مشروعيتها وحقيقتها من الوقائع فيكون لها وقع عند الجمهور. ولعلّ عنصر الوثائق في خطاطة الخطاب القضائي هو كذلك يستمد مشروعيته من خلال علاقته بالوقائع التي كانت بمثابة السبب لوجوده وهو بمثابة النتيجة لها، والعلاقة بينهما معقدة، كما ذكرنا آنفاً ناقلين عن (بيرلمان) و(تيتيكاه)¹، وبالنسبة لعنصر الحجج المساعدة فيأتي بها المتنازعون وذلك لافتكاك تسليم القاضي²، ويقوى الدور الحجاجي للحجج المساعدة: "من خلال تفاعله مع بقية عناصر المعطى من قبيل الوقائع والوثائق. لذلك قد يقع بعض اللّعب في بعض الأحيان بين عنصر الحجج المساعدة والوقائع، لأنهما ينتميان أو يقعان تحت تأثير عنصر أكبر منهما هو عنصر المعطى، كما ذكرنا سابقاً في بداية التقديم. لكن هذا اللبس لا يفسد للخطاطة عملها بقدر ما يفصح عن تراتبية وسلمية... وانتقائية... في أقسام المعطى. وقد يشهد على كلامنا هذا ما أورده (بيرلمان) و(تيتيكاه) عندما نبّها إلى اللبس الذي يمكن أن يكتنف عنصري الحقائق والوثائق في خطاطتهما الحجاجية"³.

أمّا بالنسبة لمطالب الأطراف... فإنّ (الناجح) قدمها من خلال وظيفتها: "... أو مهما يكن من أمر، فإنّ المطالبة بالحقّ سواء أكانت فردية أو جماعية، ضدّ فرد أو ضد مؤسسة فإنّه في دراستنا لها لسانياً، لا يعنينا منها سوى كونها الكاشف عن صلاحية الوقائع و الوثائق والحجج المساعدة و مشروعيتها. كما أنّها تمثل "الوجود بالفعل" للحدث الحجاجي لأته من

¹- المرجع نفسه ، ص 263.

²- المرجع نفسه ، ص 264.

³- عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 264، 265.

دون مطالبة بالحقّ لا يوجد حجاج، على الأقل في المجال القانوني¹، فهي التي ترسم المحكمة.

أمّا العنصر الذي يأتي بعد المعطى هو عنصر الأسانيد، ولم يسمّه (الناجح) بـ "السندات" للخصوصية الحقوقية، ولم يسمّه بـ "الضمان" للخصوصية الحجاجية المنطقية: والأسانيد تشتمل على؛ الملافيظ التشريعية بما هي أسانيد أساسية وعلى نصوص الأفكار السابقة، يمثل المعطى القاعدة الاختيارية في حين أن الأسانيد هي القاعدة النظرية التي تقاس عليها الوضعيات المتوفرة في قسم المعطى، فالأسانيد تكيف بين المعطى والنتيجة². يقول (الناجح) في هذا الأمر ضابطاً إيّاه: "ومحصّل القول في قسم الأسانيد بقسميه، الملافيظ التشريعية ونصوص الأحكام السابقة، أنّه قسم انتقالي شرع للمرور من المعطى إلى النتيجة، مروراً يعصم القاضي من الوقوع في اللانسجام، و يجر المتنازعين إلى تطبيق نصّ الحكم والعمل بمقتضاه وهذا لعمرى، أنجع دور حجاجي تلعبه الأسانيد التي قلنا في ما مضى من البحث بشيء من التجوز إنّها، تقريبا يوازي دورها المقدّمة الكبرى في الأقيسة المنطقية أو المواضع في الخطابة الأرسطية"¹.

وبالنسبة للحكم يقدمه (الناجح) على النتيجة، فالنتيجة مضبوطة بالصراحة، فهي تفضّل الصريح على الضمني عكس المقاربات الحجاجية التي ترى بأن طرافة النتيجة في الضمني يقول الناجح: "فالنتيجة الحجاجية في الخطابة القضائية هي ما يصدق عليها مفهوم النتيجة الحجاجية (la conclusion argumentative) في شتى المقاربات الحجاجية من البلاغية إلى المنطقية إلى اللسانية. ولكن الطريف واللّطيف في النتيجة القضائية أنّها على محور الصريح من الملفوظ وليس على محور الضمني منه، لأنّ كل المقاربات الحجاجية

¹- المرجع نفسه، ص 266.

²- المرجع نفسه، ص 268.

¹- عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 272.

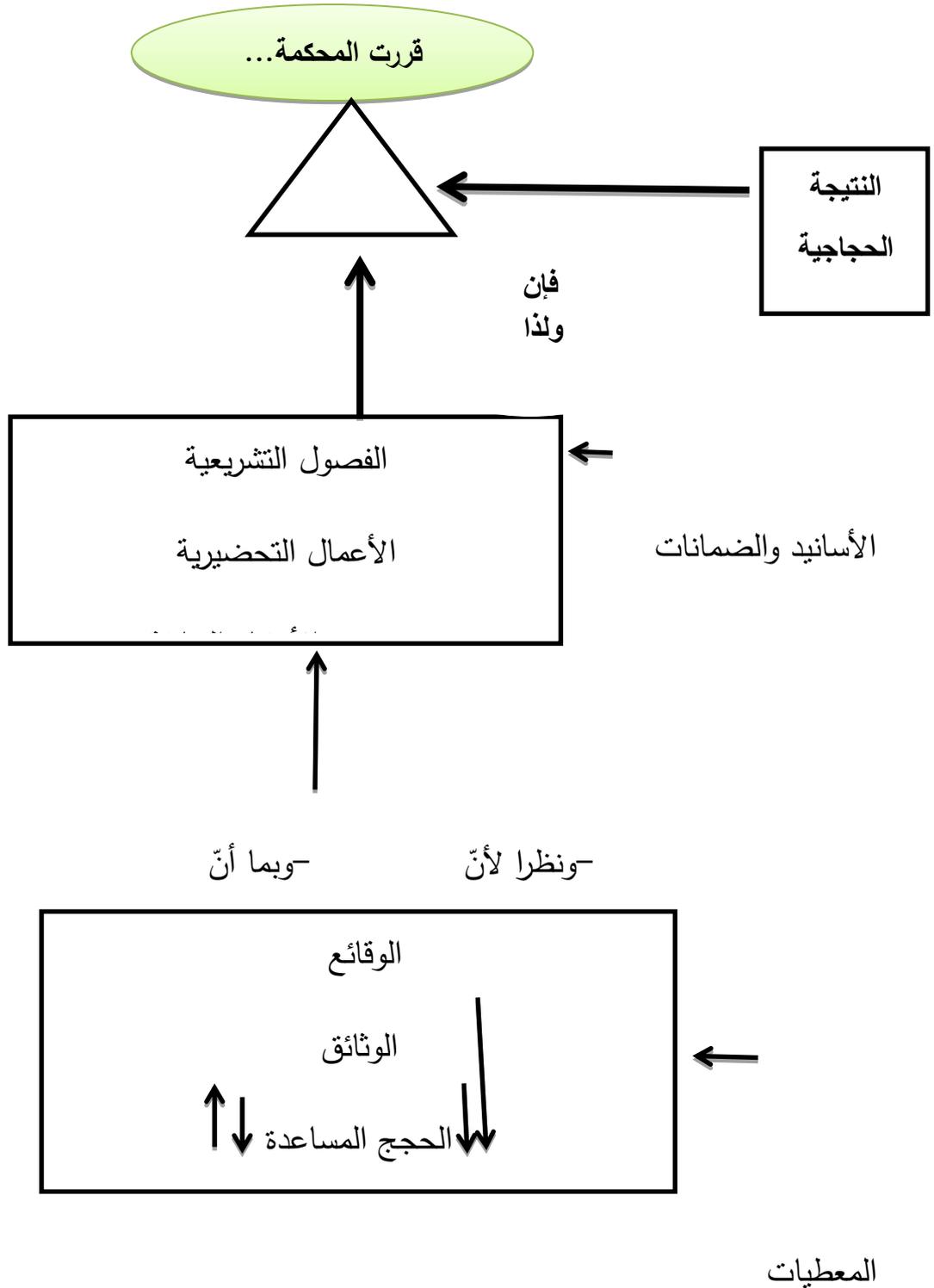
تلحّ على أنّ النتيجة الحجاجية يمكن أن تكون صريحة أو ضمنية ولكن أطرف الحجاج ما كانت نتائجه موهلة في التّضمين والتجريد. بل إنّ من الدارسين المحدثين من يعرف الحجاج نفسه من خلال نتيجته وعلاقتها بالضمني والصريح (مايبر، 1982، 112). وإذا صدق كلام (مايبر) ومن قبله (دكرو وأنسكومبر) على طبيعة النتيجة التي يلحون على ضمنيّتها فإنّ النتيجة في الخطابة القضائية هي دائما على محور الصريح. وهذا عائد إلى أسباب عديدة، لعلّ أهمّها طرفا المحادثة حيث إنّ القاضي ليس مجبرا على الاشتغال بالضمني من الكلام. ولذلك يقدّم النتيجة الحجاجية تقديما صريحا دون مراعاة لأيّ عنصر مقامي عدا المعطيات والأسانيد التي توجّه حكمه وهذا تقريبا ما ينتج الفرق الرئيسي بين الحجاج والخطابة القديمة. لأنّ الحجاج عقل ومعقوليّة محضة لا تلاعب فيه بالمشاعر والأفكار عكس الخطابة في مفهومها القديم¹.

وقد حاول الناجح تصديق هذا الذي ذهب إليه منذ قليل من خلال اختبار الخطابة على نص من نشرة محكمة التعقيب (1996)، وذلك من خلال إحداث شكل هرمي مساره تصاعدي سلمي ومعطياته قاعدة وأسانيده وضماناته جذع ونتيجته رأس أو ثمرة والذي ننقله كالتالي:²

¹ - المرجع نفسه، ص 273.

² _ عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 278، 277، 279.

"اختبار الخطاظة على نص من نشرية محكمة التعقيب 1996:



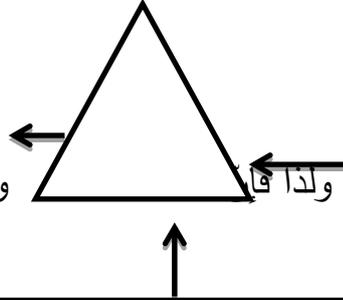
الفصل الثاني: مادة البحث ومنهجية التحليل التوافقي في الكتابات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة

ولو أجرينا هذه الخطاطة على نصّ الحكم عدد 14172 من مجلة "قرارات الدوائر المجتمعة لمحكمة التعقيب (مركز الدراسات القانونية والقضائية، 1996، 496، 503) لتحصلنا على

الشكل التالي:

لهاته الأسباب قرّرت محكمة التعقيب...

وقد صدر هذا القرار بحجة الشورى في ...



ن: النتيجة الحجاجية

. وحيث أسس الطعن الحالي على نفس السبب القانوني وعملا بأحكام الفصلين 191 و 192 من مجلة المرافعات المدنية والتجارية...

. وحيث اقتضى الفصل 21 من مجلة الشغل بفقرته الأولى ما نصه... كما اقتضت الفقرة الأخيرة منه...

. كما اقتضى الفصل 23 من نفس المجلة...

الأسانيد

. بعد الاطلاع على مطلب التعقيب الذي قدّمه "فلان" ...

. طعنا في القرار المدني عدد 15582 الصادر في 24 ماي 1985 من المحكمة الابتدائية بتونس

. بعد الاطلاع على مذكرة الطعن والردّ عليها وعلى القرار المطعون فيه وكافة الإجراءات

. حيث تفيد وقائع القضية كما أثبتتها القرار المطعون فيه والأوراق أنبنى عليها...

. فصل الأجير عن العمل بدون موجب... (كذا..)

. مطالبة الأجير بمقابل منحة الطرد ومنحة لباس الشغل...

. مطالبة الأجير بعشرة آلاف دينار غرامة مقابل الطرد التعسفي...

. أحابت المطالبة بأنّ الأعباء المدعّنة) أه قفت عن العما، لمدة سبعة أباد...

المعطيات

ويعلق (الناجع)

المبدئي للخط

العناصر المكوّنة للخطاب بأقسامه. فالمعطيات بمكوناتها من وقائع ووثائق إدارية إجرائية ونصوص أحكام سابقة، تقع في قاعدة الخطاطة لاعتبار أنّ المعطيات كما ذكرنا، عند تعريفنا لها، هي المنطلق في المحادثة الحجاجية، وعلى أساسها يتم توجيه الأقوال والنتيجة الحجاجية. في حين أنّ الأسانيد والفصول التشريعية تأتي في درجة ثانية من الخطاطة بها يتم تكييف المعطيات للخلوص إلى النتيجة النهائية. وهي منطوق القاضي وقراره الختامي المفضي إلى إنهاء المحاكمة¹.

هاته الخطاطة القضائية التي فكّكها (الناجح) حجاجياً باعتماد الأصوات الحجاجية الأربعة والتي يقوم في تحليله اللاحق بتركيبها بمبحث أسماه "حجاجية الخطاطة و تركيبها في بنية الخطاب القضائي وحجاجيته". والتي حلّ لها بينيتين بنية صغرى وبنية كبرى وملخصها: "نقصد بحجاجية البنية الصغرى المظاهر الحجاجية التي يكتسبها عنصر من عناصر الخطاطة منفرداً عن سائر الأقسام الأخرى، من قبيل المعطيات أو الأسانيد أو النتيجة فالبنية الصغرى في عرف البحث هي بنية القسم خارج إطار العلاقات الدلالية والتداولية التي تجمعها بما سبقه أو يلحقه من الأقسام التي تكون إما منطلقاً له أو يكون هو نتيجة لها.. وعليه لئن كانت الحجاجية الكبرى، أي حجاجية الخطاطة بأقسامها الثلاثة، تصنعها العلائق الدلالية والمقاصد الخطابية في نص الحكم فإنّ الحجاجية الصغرى يصنعها مبدأ الانسجام... في القسم الواحد وتعالق ملافيظه بعضها ببعض من جهة ومقاصد المتكلم التي تكشف عنها البنية اللغوية من جهة ثانية سواء أكانت هذه البنية تركيبية أم دلالية معنوية أم خطابية منطقية... من أجل هذا، أي بيان حجاجية الصغرى نود أن نجلي القصد من قولنا إنّ

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 279.

الحجاجية الصغرى يصنعها مبدأ الانسجام ومقاصد المتكلم¹. وقدّم (الناجح) مثالا لذلك من خلال القرار التعقيبي عدد 4233 فقال²:

<p>- حيث تفيد وقائع القضية كما أثبتتها القرار:</p> <p>1- أنّ ريم البالغة من العمر اثنتي عشرة سنة قصدت رفقة والدها الأمين بالأغا الطاعن الأوّل نزل خليج القردة بقمرت الذي كان يوجد بمحلاته عدة وسائل ترفيهية لحرفائه من ضمنها خيول معدّة للتسويق قصد الركوب والتجول.</p> <p>2- وهناك توجهت لمكان الجياد الذي اعتادت التردّد عليه لممارسة هواية الفروسية واستظهرت للمكلف بها بوصل التسويق وحدها مدّة ساعة واختارت كعادتها الجواد "مسعود" بمحضر والدها.</p> <p>3- أعدّ لها المطعون عليه الأوّل، الجواد، وسلمه إليها. فامتطته وركب هو جواد آخر ورافقها داخل الغابة المجاورة للنزل والاسطبل ذهابا وإيابا.</p> <p>4- وأثناء الإياب الأخير جمح بها الحصان وتجاوز ركضا مرافقها الذي كان يسير أمامه.</p> <p>5- فأشار عليها بمسك العنان ثم بمسك شعر رقبة الحصان بعد أن أشعرته بعدم قدرته على النقاط العنان الذي كان ملقى على رقبته.</p> <p>6- فتمادى في جموحه إلى أن خارت قواها وتخلصت رجلاها من</p>	<p>المعطيات الوقائع</p>
--	-------------------------

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني ، ص304.

² - المرجع نفسه، ص293.

<p>الركاب وسقطت أرضاً مغمى عليها ورغم إسعافها حيناً من طرف مرافقها ونقلها إلى المستشفى فقد ماتت متأثرة بجراحها.</p> <p>7- ونتيجة انطلقت الأبحاث وتعد قلم التحقيق بالبحث في الموضوع.</p>		
---	--	--

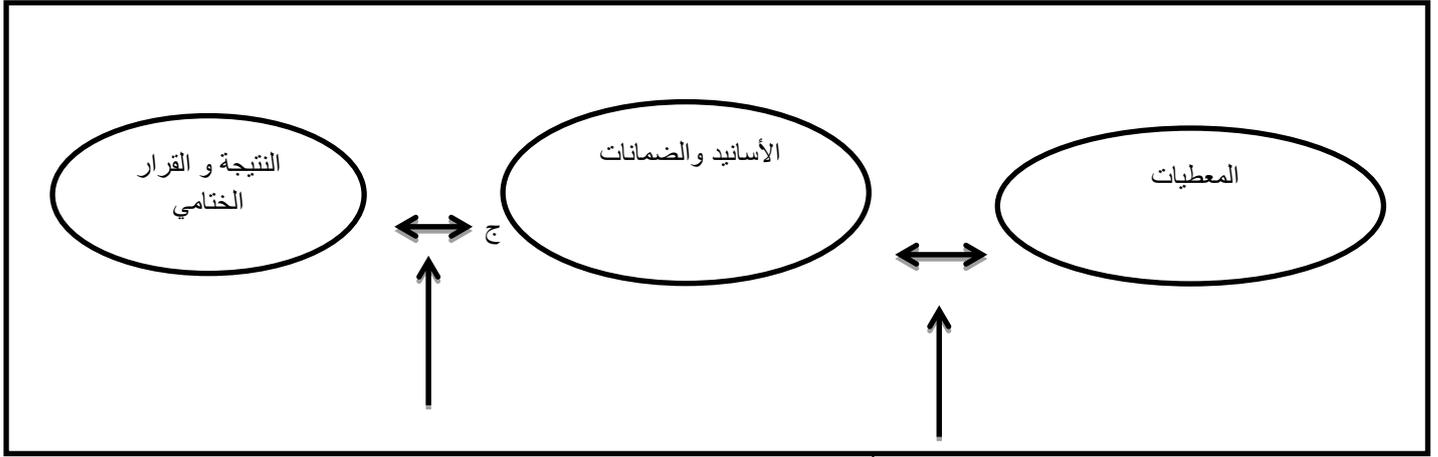
وعلق عليه فقال: "ويمكن أن نضرب مثلاً: على ما كنا منه بسبيل بقسم الوقائع في نصّ الحكم عدد 4233 (نشرية محكمة التعقيب، 1996، 732-733) وحدود القسم من النصّ كلّه هي من قوله (قصدت ريم البالغة اثنتي عشر سنة) إلى قوله (لذلك انطلقت الأبحاث) وتظهر مقاصد المتكلم التي لها أبعاد حجاجية من خلال إيراد الوقائع ليس لذاتها بل لأجل مقصد وحيد وهو أنّ هذه الوقائع هي الموجّه لإجرائية الأحداث القانونية القادمة وهي الموجّه كذلك لسيرورة الخطاب والعنصر اللساني الدال على هذه المقاربة هو استعمال "لذلك" الأجلية المعيارية التي يفصح بها المتكلم عن مقاصده من إيراد الوقائع. فمقاصدية المتكلم حينئذ تظهر في الركون إلى مقولة الأجلية عبر الصرّف "لذلك" الذي يحمل شحنة حجاجية يستمدّها من سماته المعجمية المفيدة لمقولة الاستدلال والبرهنة. والحقيقة أنّ هذه الخاصية هي خاصية نمطية (Typique) إذا لم نقل أنّها من الرسوم (clichés) حيث أن قسم الوقائع في كل خطاب قضائي يختمه القاضي بملفوظ يكشف فيه عن مقاصده الخطابية، (لذلك انطلقت الأبحاث)، التي تجعل المخاطب على بينة من سيرورة إنجاز الخطاب وتبعاته¹.

أمّا بالنسبة لحجاجية البنية الكبرى فقد حقّق (الناجح) انسجامها من خلال مفهوم العبور والذي قدّم فيه تطبيقاً² يقول: "مفهوم العبور الذي نقصده هو في مكانة وسط بين مفهوم التوجيه (L'orientation) عند (دكرو)، وقد وقفنا عنده في القسم الأول من البحث، ومفهوم العبور عند (تولمين) وقد كنا منه بسبيل. ومهما يكن من أمر فإنّ هذا العبور هو

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 310.

² - ينظر تطبيقات الناجح على ذلك في، عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 288 وما بعدها.

من قبيل ما تنتج علاقة الداخل بالخارج... والحقيقة أنّ هذا العبور وهذا الانتقال في الخطاب القضائي فيه ضربان: الأول هو من قبيل الوصل الجامع بين المعطيات والأسانيد والثاني هو من قبيل العبور الاستدلالي وهو الجامع بين الأسانيد والنّتيجة ويمكن للخطاطة التالّية بيان ما قصدناه:



إنّ هذه الخطاطة تكشف قدر المستطاع على بنوية الخطاب القضائي من خلال مفهوم العبور أو الانتقال أو حتّى التوجيه لكن بمعناه الواسع¹

وفي هذا المبحث استعمل (الناجح) مدرسة (ذكرو) أكثر لأنّها مدرسة توصف بالبنوية، وقد قدّم تمهيدا عن بنويتها قبل بدء التحليل .

العوامل والروابط الحجاجية ودورها في تحقيق الانسجام:

ومن أجل التحكم التقني في تماسك الخطاطة القضائية حجاجيا، استعمل (الناجح) الصوت الحجاجي أو المدرسة التقنية الحجاجية اللسانية من خلال فصل أسماء بـ "العوامل و

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 289.

الروابط الحجاجية ودورها الحجاجي في تماسك الخطاطة وانسجامها". والجميع يعلم بأن العوامل و الروابط من كدّ ذهني (دكرو) و(أنسكومبر) والمدرسة الحجاجية اللسانية التقنية - إنّ ختم الكتاب بالجانب التقني هو محاولة للقبض على الخطاب القضائي القانوني لسانيًا تقنيًا. كما نشير إلى أنّ المدرسة التقنية في الحجاج اللساني كان لها حضور نوعي وكثيف في الكتاب إزاء المدارس الأخرى -.

وعلى هذا يصرّح بأهميّة الانسجام فيقول: "تماسك الخطاطة وانسجامها هو الضامن الدلالي والإحالي على حجاجيتها. ومعلوم أنّ الانسجام هو القائد إلى حجاجية الملفوظ والدال عليها لأنّ الملفوظ الحجاجي يستمد طاقته الحجاجية ونجاعته من قوّة انسجامه ولأنّ الخلل في الانسجام يقود إلى اللحن الحجاجي الذي قد يخرج المحادثة إلى السفسة واللافائدة ... أو الجدل والحشو ... والمغالطة ... إلخ"¹. ومن هذا استدعى (الناجح) العوامل و الروابط الحجاجية من المدرسة الحجاجية اللسانية لضبط الأمر تقنيًا يقول: "إنّ مبحث الانسجام الحجاجي مطبّقًا على الخطاطة الحجاجية القضائية لا يمكن معالجته إلّا في ضوء الوسائط اللسانية المحقّقة لهذا الانسجام الحجاجي. ونقصد بذلك مبحثي العوامل والروابط الحجاجية... من أجل هذا وغيره، نعقد هذا الفصل ذا المبحثين المتكاملين في سبيل بيان دور العوامل والروابط الحجاجية في تماسك الخطاطة وانسجامها ودورها في تحقيق الوظيفة الحجاجية في اللّغة التي طالما ألحّ "دكرو" وصاحبه على أنّ لهذين القسمين اللسانيين، أي العوامل والروابط، نصيب الأسد في تحقيق هذه الوظيفة وذلك من خلال وظيفتها الأولية وهي الوظيفة التوجيهية. ولا يفوتنا أن ننبّه إلى الباحثين (روبول) و(موشلار)، فقد عالجا في معجمهما الموسوعي مسألة العوامل والروابط اعتماد على دكرو"².

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 316، 315.

² - المرجع نفسه، ص 318.

وقد حدّد الناجح مفهوم العوامل من خلال مصادرها الأصلية فقال: "محصل القول ممّا سبق أنّ العوامل الحجاجية، باعتبارها "الآثار الظاهرة ... التي تؤكد حجاجية الملفوظ... وليس لها من وظيفة سوى ضمان التوجيه الحجاجي للملفوظ، هي عناصر لسانية اتفق كلّ الدارسين على انتمائها إلى قسم الصرافم وهذا رأي قال به (دكرو) في كتبه الثلاثة التي ذكرنا منها (كلمات الخطاب) و(السلام الحجاجية) و(الحجاج في اللّغة) وعنه أخذ (روبول) و(موشلار) اللذان يعتبران أنّ العوامل الحجاجية تعمّق التوجيه وتقويه وذلك برسمها مسلكا تأويليا قصيرا يربط "ق1" ب"ق2" فلا يضيع المخاطب بين المفاهيم و التأويلات، فيأخذ تأويله وجهة غير التي يقصدها الباثّ فلا يضمن بذلك تسليم المتقبّل وإذعانه"¹. وقد لاحظ (الناجح) الخطاب القضائي إحصائيا من حيث العوامل فوجد طغيان الصرافم الدالة على النفي وحيث وبعد يقول: "غير أنّه بعد اطلاعنا على مدونة الأحكام من "قرارات الدوائر المجتمعة لمحكمة التعقيب 1961(1992)، لاحظنا طغيان ثلاثة عوامل حجاجية مهيمنة على هذا الخطاب وهي تباعا، 1/الصرافم الدالة على النفي. 2/ حيث. 3/ بعد². و للوصف نختار مثلا تطبيقيا قدّمه (الناجح) وهو مثال: العامل "حيث" الذي حققه في العنوان: "عاملية حيث" ووظائفها الحجاجية من خلال "قرارات الدوائر المجتمعة"؛ يقول (الناجح) مطبقا: "فتسلسل الخطاب معقود بـ "بحيث" من جهة كونها تحقّق تواصله وتتاسل ملافيظه بعضها عن بعض وذلك من خلال رائز لساني نقدّمه في شكل سؤال وهو "ثم ماذا؟" فهذا السؤال يطرح بعد كل تحييث ليجيب عنه التحييث الموالي، وهكذا استرسالا وانسجاما في كل الخطاب، ثم إنّ تقنيتي التحييث والتكثيف تقنضي من العامل الحجاجي حيث هذا الدور الخطابي، وذلك أنّ الخطاب القضائي يصاغ مناصفة بين الوقائع والفصول القانونية المكيفة لتلك الوقائع. فالقاضي يذكر الواقعة أولا ثم يحيث بالفصل القانوني في قالب جاهز (وحيث أنّ الفصل كذا من مجلة كذا ينص على...)

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 325.

² - المرجع نفسه، ص 337.

وبعد التأكد من كافة أوراق الملف والمداولة طبق القانون



حيث اتضح بالاطلاع على أوراق الملف أنّ الأستاذ أزهَر القروي الشابي قدّم مطلباً في تصحيح الخطأ البين في 11 سبتمبر 1990 نيابة عن موكله... وقدّم الأستاذ بودريالة في اليوم الموالي مطلباً في الغرض نفسه نيابة عن من ذكر... وقرّر السيّد الرئيس الأوّل في 28 جانفي 1991 الإذن بتبرسيم هذا المطلب وإضافته لملف قضية الحال.



وحيث اكتفى الأستاذ إبراهيم بودريالة بتقديم مطلب دون أن يرفقه بنسخة من القرار المنتقد ولا قام بتبليغ مستندات الطعن إلى المطعون ضدهم وبما أنّ اثنين من منوّبيه وهما عبد الحميد بن ساسي... وقد نابهما الأستاذ الأزهَر القروي الشابي وقدّم مطلباً في الطعن في حقهما فإنّه يتجه الاقتصار على النظر في هذا المطلب باعتبار أنّ المطلب الثاني مضموم إليه وأنّ الموضوع غير قابل للتجزئة

وحيث إنّ من بين من رفع عليهم الأستاذ الأزهَر القروي الشابي الطعن هي المدعوة راضية أحمد ببيرم واتّضح من أوراق الملف أنّها متوفاة منذ 26 سبتمبر 1989 حسب حجة وفاتها المضافة للملف وانحصر إرثها في ابنتها الدخيلة فاطمة... وقد ذكرت في القرار المنتقد باعتبارها دخيلة.



وحيث إنّ وإن كان الطعن المرفوع ضد ميت يعتبر باطلاً، إلاّ أنّه بالنظر إلى وارث من توفي موجود في القضية باعتباره طرفاً فيها فإنّ المحكمة ترى تجاوز هذا الأمر واعتبار أنّ المطعون ضدها راضية كأنّها لم تكن طرفاً في القضية

ثم ماذا؟

وحيث قدّم مطلب الطعن خلال ثلاثة أشهر من تاريخ صدور القرار المنتقد واستوفى باقي صيغته وأوضاعه القانونية.



ولذلك اتجه لقبوله شكلاً

ثم ماذا؟

ثم ماذا

إنّ هذا الرسم يختزل في وجه من الوجوه قيادة (حيث) للحدث الحجاجي وسلطتها وتسّطها على الوقائع والوثائق بأنواعها، باعتبارهما عناصر الخطاطة القضائية الخطابية. وذلك من خلال ما توفّره (حيث) من إمكانات في تواصل الملفوظ وأخذ بعضه برقاب بعض، كما يقول القدامى، ولذلك يمكن طرح ذلك السؤال الضمني، الذي اقترحناه رائزاً لتسلسل الخطاب، بين الحثيات في سبيل الوصول إلى النتيجة التي يصدرها القاضي ولجنته. فتسلّط (حيث) على الملفوظ هو ما جعل الدليل متعلّقاً بها في تسلسل وتواصل خطابين عبر مقولة السببية إلى حدود الظفر بالنتيجة¹.

هذا عن العوامل حسب النّاجح تعريفاً وتطبيقاً. أمّا الروابط تعريفاً فيقول: "... مفهوم الرابط لم يكن ضمن مصطلحات الجهاز الحجاجي قبل (دكرو) و(أنسكومبر) و نظريتهما بل إنّه في تصوّرها جاء متأخراً عندما اضطرّا إلى تعديل منوالهما، فهو إذن من استنباطهما وكّدّ ذهنيهما وفي كلمة فإنّ الرابط الحجاجي هو العنصر اللساني الذي يربط بين عمليتين حجاجيتين مثلما تربط الروابط اللسانية الأخرى بين عمليتين لغويين والمقصود بعملين حجاجيين هو الربط بين القول الحجّة والقول النتيجة سواء أكانت هذه النتيجة صريحة أم ضمنية²". "وسنختار نموذجاً تطبيقياً للاستشهاد على ذلك، ولا نذكر هذا النموذج هنا لأنّه نموذج محلّ بالتراث العربي نرجئه عندما نتحدّث عن التراث العربي في خطاب (الناجح) الحجاجي، فلا نكرّر الحديث.

3- الملامح اللسانية التراثية في الدراسات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة (عبد الله صولة وعزالدين الناجح أنموذجاً):

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 349، 350، 351.

² - المرجع نفسه، ص 371.

أ - عبد الله صولة:

- قراءة في نسق التوافق بين الحداثة والتراث: (أو في حثّ البلاغة العربية على التّقدم): إنّ ارتباط (صولة) بالبلاغة العربية عن طريق نظرية الحجاج اللغوية الغربية هو ارتباط من أجل مفاوضة المسافة بينهما لأجل دفع البلاغة العربية للتّقدم، وهي غاية وأحياناً أخرى لكسب التّطبيق على العربية... إنّ هذا الارتباط يجعلنا ننتبه إلى إشكالية تاريخية ليست باليسيرة، هي سياق نشأة البلاغتين يقول (حمادي صمود) ضابطاً أمر السياق: "تختلف البلاغة العربية عن الخطابة الأرسطية اختلافاً ظاهراً من حيث ظروف نشأتها والحاجة إليها والتحوّلات التي جدّت في صلبها بتغيّر السياق التاريخي الحاضر لها"¹.

فهي أي البلاغة العربية؛ لم تنشأ كالخطابة نشأة فلسفية منطقية، يقع مجالها على الاختلاف، وضرب الرأي بالرأي، والتّركيز على السامع، وترك المجال مفتوحاً للسيّاقات ونوعية الجمهور، فالخطيب كالطائر ما إن يحط حتّى ينطلق، فهو صراع دائم، ليكون متّفقاً مع الحياة السياسيّة ذات التعدّد والديمقراطية التي أخذت أثينا تتفتّح على النّضج السياسي وترفض الاستبداد، والظلم"²

وإنّما تهتمّ بالخطاب لا من حيث القضايا الخطابية التي منذ قليل، وإنّما بعث الدارس إلى الاهتمام بصورته وشكله وأساليب تعبيره. وهي معايير المفاضلة بين النّصوص فقد ظهرت في أحضان الشعر، والشعر وقعه من هيئته الخلابة، حتّى إنّ القرآن لم يغيّر شيئاً وإنّما زاد الأمر تثبيتهاً، بل رأوا فيه معجزة من حيث حسن التعبير.³

¹ - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو

إلى اليوم، ص 18.

² - المرجع نفسه، ص 18.

³ - المرجع نفسه، ص 19.

هاته هي تقاليد النشأة، إته سلوك ثابت فيهم استمرّ وله تاريخ، فبلاغة اليونان غيرها البلاغة العربية فهاته لها مرجعيتها والأخرى لها مرجعيتها، فهذه ليست هذه، حتّى إنّ التراجمة انتبهوا إلى مشاكلة اللفظ للمعنى أو النكتة - بتعبير صمود- حيث: "أدركوا النكتة. ففضلوا، على ما عرفنا في الترجمة، الإبقاء على المصطلح في لغته الأصليّة، فقالوا "ريطوريقا"¹ وفي المحيط الثقافي نفسه، أي تزامنا، نجد قضايا الحجّة والإقناع مناقشة في كتب التّفسير والأصول بصفة عامة وبعض علماء البلاغة المتأخرين... لكن البلاغة لم تلتقط آنذ أي في فترة ازدهارها هاته الوقائع². فالتراث ربما في مجموعته بلاغة وأصولا وتفسيرا. كان زاخرا بقضايا الحجاج* إلا أنّ البلاغة غطى فيها الشكل على الإقناع، رغم وجود (الجاحظ) و(الجرجاني)... ممن اعتبروا في كتب البلاغة التاريخيّة حدث في المجادلة، وحتّى المتصّفّح العام.

إلا أنّ هذا الأمر لم يؤثّر على تاريخها والدليل على ذلك أنّها في آخر تاريخها نجدها بلاغة تعليميّة لوسائل الزخرفة والزينة والشكل وهو الأمر الذي حمله شراحها فقد: "أصبحت البلاغة في كتب البلاغيين والنقاد منذ مطلع القرن الرابع هجريا سردا بالوجوه والصّور وأنماط البديع وأساليب أداء المعنى القائمة في النّص بالأساس، ولا نستثني من ذلك (عبد القاهر الجرجاني)، على الرغم من قوّة عارضته على الكلام على مذهب الأشاعرة ولهجة المحاجّة والجدل الملائمة لأصل مشروعه البلاغي، حيث كانت كل لبنة سابقة وكل رأي ينشأ من

¹ - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو

إلى اليوم، ص 12 .

² - المرجع نفسه، ص 20.

* - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية.

مخالفته لرأي سابق واستعداد كتابه الأساس لدلائل الإعجاز، لأن يكون فرصة الثقافة الإسلامية لدراسة الخطاب في أبعاده الاستدلالية المنطقية¹.

إلا أن التقاليد يصعب إحداث العدول فيها فقد كان للشعر وزخرف القول فيه ميله شديدة على تاريخ الدرس البلاغي العربي القديم. فالمركزية للشعر والشكل وتصريف الكلام الجميل.

وعليه برزت في القرآن حجج النقل والرواية ولا يعتمد التأويل إلا فيما أشكل، وأصبح القرآن مركز ومعيار كل المعاملات (العلمية) فهو النموذج الصحيح، فبنى الإجماع وأقصى الاختلاف، من أجل إحكام دائرة إيمانية كاملة أو شبه كاملة، فهي النموذج، ثم قامت فنون وعلوم على مرجعية القرآن، على أنه يوجد طبعا هامش للخلاف يؤثر على الجوهر هذا، فالغلبة للنص والنقل، ثم ارتبطت الثقافة بنوازع السلطان مرة تجبر بالسيف ومرة بقوة النص، واشتهرت في مرحلة الفتنة الخطابية - معاوية - علي - وكانت فرصة للأمة لتباحث الاختلاف². إلا أن الأمور لم تتم على هذا النحو وحسبت الخلافات بحد السيف وترتحت السلطة الغالبة في منطلق الإقصاء وبسط النفوذ المطلق³.

على رغم هذا الواقع الصحيح نجد (صولة) يبحث عن مواطن الفرصة لوصل المختلفات فرغم هذا التاريخ، وهو على دراية به دراية تامة، إلا أنه يجد فرصته في كتب التراث مجموعة وبعض كتب المتأخرين والدليل على ذلك استخدامه هاته الكتب. وعليه فصولة يجد تلك الفرصة التي أهملت قديما وقضي عليها بحد السيف، وعلى الرغم -أي التاريخ- فصولة أثبت منطقتة بين الأسلوب كجمالية والحجاج كإقناع وقد أثبت مزجه بينهما في سابق هاته

¹ - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 23.

² - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص 20، 21، 22، 23.

³ - المرجع نفسه، ص 28، 29.

الأسطر* وعليه فالدواعي التاريخية التي قرأها صمود لا تؤثر على (صولة) ومنه كان له أن دعا التراث في عمومه والبلاغة في خصوصها للمساءلة الحجاجية من خلال فرصها التي أسقطتها مرّة حدّة السيف ومرّة أخرى مركزية الأسلوب.

رغم هاته المصاعب دعا صولة نفسه للقبض على الفرص التاريخية من خلال أنه:

رمى الحجاج في البلاغة العربية من أجل حثّها على التقدم.

استخدم التراث والبلاغة بين النظريات الحجاجية الغربية كروابط مساعدة على تحيين وتطبيق تلك النظريات على خطاب اللغة العربية الطبيعي.

ويثير صولة صعوبات البلاغة العربية، أي تلك الصعوبة الموجودة بين مفهومها النظري وبين تطبيقاتها على مستوى أضلاعها الثلاثة، معان وبديع وبيان، إذ يرى بأن مفهومها قريب جدًا من نظريات الحجاج المعاصرة، في حين تظلّ مستوياتها التطبيقية معيارية وصفية تكاد تخلو من أيّ فعالية حجاجية، يقول صولة في ذلك: "تقوم كتب البلاغة منذ السكاكي، وربما قبله، على تعارض بين مفهومها للبلاغة وطريقة تناولها بالدرس لمختلف الوجوه البلاغية بيانًا ومعاني وبديع، فبقدر ما يقرب مفهوم البلاغة فيها من مفهوم الحجاج، خصوصًا في ما يتعلّق بمراعاة قانون الأنفع في الخطاب، يبتعد الجانب التطبيقي فيها عن هذا المفهوم"¹.

وقد استنتج (صولة) التفاهم بين مفهوم البلاغة العربية ونظريات الحجاج من خلال مفهوم السكاكي والذي حثّه صولة قائلاً: "وهذا المعيار فيما فهمناه من شاهد (السكاكي) وكذلك من مواضع أخرى في كتابه هو الجملة مجردة وقد اشتملت على مسند إليه ومسند، فقد يقتضي

*- على أنه أشير بأن محاولة (صولة) تبقى رهانا تعاونيًا، ولكن الأصل يبقى لكل علم مدرسته ومصادره وأسباب نشأته وفرضياته ومبادئه ونتائجه ومستقبله. فالشعرية الأسلوبية لها مستقبلها والخطابة لها مستقبلها والتأويلية لها مستقبلها الخاص ولا يمكن لعلم أن يستبد بعلم. ينظر: بول ريكور، الخطابة الشعرية التأويلية ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته.

¹ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة -، ص 37.

الحال هذه الصورة حيناً لكن في معظم الأحيان كما هو واضح من كلامه يعدل عن هذه الصورة؛ أي الجملة بطرفيها المسند والمسند إليه بأن يحذف أحد الطرفين أو بأن تتضاف إليهما مؤكّدات ومخصّصات بحيث يكون مدار البلاغة في نهاية الأمر، كما اعتبرها كثير من البلاغيين، على الإطناب والإيجاز مراعاة لمقتضى الحال الذي يجري كما يقال على مقتضى الظاهر ... المهمّ أنّنا إزاء عدول (أ) من (ب) تطبيقاً لقانون الأنفع في الخطاب¹، وعليه؛ فقانون الأنفع هو، أو كما صاغه هو بنفسه على شكل سؤال يقول: "لماذا ترك المتكلم العنصر (ب) وعبر بدلاً عنه بالعنصر (أ) وما وجه النفع في ذلك؟ أي فيما كان العنصر (أ) أو الطريقة (أ) أنفع وأجدي من الطريقة (ب)"².

وقد حث صولة هذا أي، الإيجاز والإطناب من حيث العدول بكيفيتين أي عن طريق الكمية والنوعية، وذلك في أضلع البلاغة بيانا ومعاني وبديعا، فنوعياً بتغيير نوعية الكلام وتبرير ذلك بمعيار معين، وكمياً بالزيادة والنقصان، وفي هذا الأمر يقول (صولة) محرراً البلاغة نوعياً وكمياً: "يمكن أن نجعل هذا العدول نوعياً وكمياً. سواء في ذلك البيان والمعاني والبديع فالعدول حاصل على أصعدتها جميعاً، إمّا نوعياً بتغيير نوع الكلام قياساً على معيار معين، وإمّا كمياً وذلك بتغيير كم الكلام بأن تضاف إلى الصورة المعيارية التي ضبطها (السكاكي) ضمناً في شاهده السابق عناصر لغوية أخرى تؤكّد أو تخصص كما قال السكاكي، غير خاف أنّ تعريف البلاغة عند العرب كما قدمناه يجعل البلاغة قريبة جداً من الحجاج باعتباره في البلاغة الجديدة كما رأينا مجمل التقنيّات الخطابية التي تبلغ المعنى وتوصله إلى ذهن السامع"³. وفي مسعاه التّطبيقي دائماً، نجد (صولة) رمى بقانون الأنفع

¹ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة -، ص 38.

² - المرجع نفسه، ص 33.

³ - المرجع نفسه، ص 38.

في تطبيقات البلاغة (المعاني البيان البديع) وبالضبط في التنكيت، وفي المجاز وما يشتمل عليه (التشبيه، الاستعارة...)، وفي الخبر والإنشاء.

وإذا أردنا أن نقرب أكثر فلا بأس أن نستأنس بمثال على ذلك: وهو يخص التنكيت يقول: (صولة) في قضايا التنكيت: "على مثل هذا الضرب قامت بلاغة القرآن الكريم، في مجملها مستبدلة على سبيل المثال ضمير المتكلم العائد على الجلالة بكلمة الله في معظم الأحيان تربية للمهابة كما قال الزركشي، ومستبدلة لفظة ﷺ بلفظ الرسول على عكس ما عومل به سائر الأنبياء مثل موسى وعيسى عليهما السلام، فقد كانت صفة الرسول أدعى للمهابة من اسم العلم محمد عند من كانوا يقولون: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْمِطِينَ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: 31]" ، وقد كان القرآن نفسه حريصا على تسمية الرسول بصفته هذه دون اسمه: قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: 63]. إن في استخدام القرآن للفظتي الله والرسول دون ضمير المتكلم ومحمد حجاجا يسمّى الحجاج بالسبب إنه يعدل على النحو التالي: أطيعوا الله لكون الله يطاع، أطيعوا الرسول لكون الرسول يطاع¹

وعليه صيغ التحليل صيغة حجاجية، أو تتوول مناولة حجاجية ، ولم يتحدّث صولة عن هذا الأمر بالمثال فقط فقد صاغ لذلك قاعدة حجاجية لقضايا التنكيت يقول: "يمكن أن نصوغ مؤقتا قاعدة في التنكيت، فنقول إنه يعدل عن اللفظ (ب) إلى اللفظ (أ) لكون (أ) أقدر على توجيه الملفوظ نحو النتيجة التي تراءت منه ف (أ) ذو طاقة حجاجية أرقى من (ب) ويكون من خصائص اللفظين :

1- أن (أ) لفظ كلي (اسم جنس مثلا) و(ب) لفظ جزئي اسم علم مثلا.

¹ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة -، 40، 41.

2- أنّ (أ) لفظ تقويمي و(ب) لفظ محايد ... فعلى هذا نجد في القرآن الكريم نزوعاً إلى استخدام "يا أيها المؤمنون" أو "يا أيها الذين آمنوا" وهي لقب لهم فيه مدح دون "يا أيها الناس" وهي لفظ محايد¹.

-**الفصل والوصل الحجاجيان:** يقول (صولة) في استعداد المفهومين لبحث البلاغة العربية على التقدم: "من المفاهيم الأساسية التي يمكن أن تفيدها البلاغة العربية في ممارستها لتحليل الكلام البليغ بيانه وبديعه ومعانيه مفهوم الفصل والوصل الحجاجيين"². ويضيف بأنّ البلاغة العربية في معظمها بهاتين الحركتين، غير أنّ الأمر يعوزه المنهجية والتنسيق يقول: "إنّ معظم الوجوه البلاغية في البلاغة العربية إن لم نقل كلّها مبنية على شكلي الوصل والفصل هذين، فهي إمّا للوصل أو الفصل الحجاجيين، أمّا الوصل فيكون بين الحكم الذي هو عرضة لأن لا يقبل وبين الحكم أو الحجة التي تدعمه على نحو ما تدعم حقيقة الأمور التي لا تقبل الطعن أو هي على الأقلّ تقدّم على أنّها كذلك ظواهر هذه الأمور غير المسلّم بها أو غير المجمع عليها، وأمّا الفصل فيكون في الأمر الواحد بين حقيقته وظاهره المزعوم. إنّ كتب البلاغة العربية وكتب تفاسير القرآن قد تشير إلى هاته الظاهرة عند دراستها لبعض الوجوه البلاغية في الشعر أو القرآن، ولكنّها لا تعرض لها عرضاً منهجياً منظماً، ويمكن أن نقدّم على ذلك نماذج من البيان والبديع والمعاني"³.

ولنقترب أكثر من هاته الأمور النظرية بمثال تطبيقي - وهو دائماً من اقتراح صولة - على أسلوب القصر في علم المعاني يقول: "ما زيد إلاّ شاعر" ففيها فصل بين الظاهر المدعى لزيد من قبل المخاطب كأن يقول هذا المخاطب عن زيد إنّه كاتب وليس شاعراً فيبطل هذا

¹ - المرجع نفسه، 40/41.

² - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة -، 48.

³ - المرجع نفسه، 49.

الادعاء أو هذا الذي بدا ظاهراً من الأمر بقوله: "ما زيد إلا شاعر" محدثاً بكلامه قطيعة بين ظاهر زيد وحقيقته"¹، هذا هو زيد موضوع على الظاهر والحقيقة عن طريق الفصل الحجاجي، ومنه يمكن الاقتراب أو الاستمتاع أكثر إذا ما تفسّح القارئ في هذا الحثّ الذي اقترحه صولة للبلاغة العربية.

إنّ هاته المحاولة التي تقدّم بها (صولة) للبلاغة لحنها على التّقدم هي في الآن نفسه حث للقارئ على الانخراط في هاته المعادلة، إذ اختزل (صولة) هاته الأمور كلها باستفهام حجاجي، وكأنّه يشير للمتلقّين إلى ضرورة فتح الآفاق للإبداع يقول: "هذا الجانب الإبداعي الذي تنطوي عليه معظم الوجوه البلاغية من بيان ومعان وبديع لو حركناه بواسطة قانون الأنفع وأسلوب الوصل والفصل الحجاجيين وهما كامنان فيها بالقوّة لأمكن لنا أن نخرج تعليميّة البلاغة العربيّة من تعليميّة معيارية أو هي في أحسن الحالات وصفيّة إلى تعليميّة تواصلية، تأخذ في عين الاعتبار مقولات التداوليّة عامّة وهي من؟ يخاطب من؟ فيم وخاصة لماذا؟² وتأخذ عن البلاغة الجديدة والحجاج خاصة مبدأ الأنفع حجاجياً من ناحية، وهو ثاو بعد في مفهومها النظري المجرد، وأسلوب الوصل والفصل الحجاجيين من ناحية أخرى، أي تأخذ عنهما مقولة أهمّ بالنسبة إلى كل بلاغة هي مقولة: كيف؟ أي كيف يحصل الإقناع الذي هو غاية كل خطاب؟ إنّه يحصل بالوصل والوصل الحجاجي. وبتطبيق مبدأ الأنفعيّة كما رأينا في الكلام"³. فالآفاق حسب (صولة) هي التّموقع في التداوليّة عموماً ونظريات الحجاج خصوصاً. والوصل والفصل وقانون الأنفع عينات على ذلك فقط.

¹ - المرجع نفسه ، ص52.

² - ينظر: محاولة ربط البلاغة بالتداولية في، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية - مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم -، ط1. الجزائر: 2009.

³ - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن، الحجاج مفهومه ومجالاته -دراسات نظريّة وتطبيقية-، ص 55.

استخدام صولة للتّراث: إنّ (صولة) لما يريد تطبيق وتبني مفاهيم نظرية الحجاج المتموقع فيها على اللّغة العربيّة، يطلب المساعدة من المصادر والمراجع العربيّة القديمة والمطوّرة حديثاً منظوراً إليها في مجموعها؛ وعليه فالملاحظ لكميّة تلك المراجع يجدها ليست باليسيرة، وعليه تظهر المساعدة أو التوجيه بلغة الحجاجيين في:

➤ قضية حجاجيّة غربيّة موجودة لصالح قضية حجاجيّة عربيّة لنتيجة هي إبداع حجاجي غربي عربي. (من خلال استعمال الكتب)؛

➤ قضية حجاجيّة عربيّة موجودة لصالح قضية حجاجيّة غربيّة لنتيجة هي إبداع حجاجي عربي غربي. (من خلال استعمال الكتب).

وأحيانا عنصر دلالي عربي بعنصر دلالي غربي. أو صوت لأجل صوت عن طريق المحاورّة.

إنّ هذا الأمر يحتاج إلى إثبات إذ؛ تعدّ النصوص التي يستعين بها (صولة) والتي نعتبرها توجيهات حجاجيّة نصوصا تكاد تكون سياقية، أي مناسبة عندما تتموقع بين القضايا الحجاجيّة الغربيّة، ومن تلك الكتب التي يستعين بها صولة من حيث الدلالة تمثيلا لا حصرا: "لقد عقدت لدراسة دلالة الكلمة في القرآن الكتب المفردة مثل: كتب غريب القرآن وهو معرفة المدلول على حدّ تعبير (الزركشي) مثل: كتاب غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمان اليزيدي (ت237هـ/851م) ، وكتاب تفسير (غريب القرآن) لابن قتيبة وكتاب (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني وكتاب (تحفة الأريب بما في القرآن من غريب) للشيخ أثير الدين أبي حيان الأندلسي (ت745هـ - 1344م) ومثّل: كتاب (الوجوه والنظائر) لمقاتل بن سليمان البلخي (ت 150هـ 767م) وكتاب (تصاريح القرآن) ليحي بن سلام (ت 200هـ 815م) و(قاموس القرآن) أو إصلاح الوجوه والنظائر للحسين بن محمد الدامغاني (ت478هـ 1085م) ومثّل: كتب معاني القرآن ومنها كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط (ت215هـ 830م) فإنّه وإن غلب عليها الطابع النّحوي لم يخل من بحث في دلالة الكلمة مفردة. ومثّل

كتب (المبهمات) ومنها كتاب (غوامض الأسماء المبهمة) لعبد الرحمان السهيلي (ت 581م) وكتاب (مفحات الأقران في مبهمات القرآن) للسيوطي، كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت 210هـ - 825م)¹

وقد استخلص (صولة) من هاته الكتب خمس دلالات للكلمة القرآنية، وهي الدلالة المعجمية الدلالة الحافة، الدلالة السياقية، الدلالة المرجعية، الدلالة الرمزية*، وهاته الدلالات تمثل عنصرا دلاليًا ضخما أدى وظيفته في تجربة المسلمين، وقد حلّله علماءه على هاته الطريقة. وهاته الدلالات أضاف إليها (صولة) رابطا دلاليًا ضخما آخر وذلك حينما أقنع بأنّ القرآن حجاجي وغايته التأثير، فهو خطاب اللغة العربية الحجاجي (وقد تحدثنا عن هذا الأمر سابقا)، ممّا أدى به إلى إبداع عنصر دلالي آخر حجاجي لصالح الدلالات العربية وهما مصطلحا: الكلمة الحجاجية وحركتها الحجاجية وما ينضوي تحت ذلك من مصطلحات حجاجية (اقتضاء تقويم استعمال استبدال حجاجي) إنّ صولة بذلك يجعل الدلالة العربية في صالح الدلالة الحجاجية الغربية لنتيجة إبداعية تطبيقية ونظرية وهي حجاجية عربية غريبة للكلمة*.

يمكن أن نزيد في الإثبات والإثباتات كثيرة في المدونة؛ وذلك عندما ضبط (صولة) العدول الكمّي بالزيادة والغاية أسلوبية تفسّر حجاجيا، وهو أيضا مصطلح أبدعه من موقع النظريات

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 75، 76.

* - الدلالة المعجمية، "بأن يذكر مرادف الكلمة وقد يذكر أيضا أصلها الاشتقاقي ومفردا إذا كانت جمعا أو مثلى... وتذكر معانيها المختلفة إذا كانت من المشترك، وتهمل دلالتها السياقية والحافة لأجل أنّ الدلالة السياقية هي، لها وجوه دلالية مختلفة باختلاف السياقات اللغوية التي ترد فيها، والدلالة الحافة هي أن تعقل من اللفظ معنى يفضي بك إلى معنى غير ذلك المعنى، ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 76 وما بعدها.

* - ينظر: هذا بالتطبيق في، عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 63 وما بعدها. وقد تناولنا أمثلة تطبيقية في سابق هاته الصفحات فلا نعيد؛ لأنّ الحاجة هنا هي إثبات مساهمة التراث في الأداء الحجاجي لصولة.

الحجاجية الأسلوبية، فنجد (صولة) لأجل إثراء هذا الأمر: يستدعي من التراث مصطلحات التوكيد، النعت، البديل.... وهي مناقشة في كتب تراثية عربية، فيكون الحال؛ من أجل عنصر دلالي غربي توجيه بعنصر دلالي تراثي (مصطلحات/ مراجع عربية) لأجل إبداع غربي عربي. لدعم هذا الأمر أكثر نستأنس بقول صولة: "إنّ مظاهر التوكيد في القرآن هذه التي تمثّل في رأينا عدولا كمياً بالزيادة، لأكثر من أن تحصى فيه. وقد عقدت لها الفصول الطوال في القديم والكتب المفردة في الحديث. ويحصل التوكيد على صعيد الجملة الواحدة شأن التوكيد الواحد الداخل على الجملتين الفعلية والاسمية مثل: قد والسين وسوف ومثل إنّ وأنّ مع لام الابتداء ومثل القسم والقصر وغير ذلك مثل البديل والنعت والعطف ممّا يقع داخل الجملة الواحدة"¹. ولأجل - دائما - قضايا حجاجية غربية مدعومة عربيا، نجد قضايا الفصل والوصل الحجاجيين الغربيين مدعومة بقضايا البيان البديع العربية².

وأحيانا أخرى نجد العناصر الدلالية التحليلية الغربية تكاد تتساوى والعناصر الدلالية العربية من حيث قوة التحليل. فنجد هذا من أجل هذا، وكأنّه توجيه لأجل الإبداع الثنائي. هذا الأمر نجده مثلا في أمور الصورة التي حلّ لها (صولة). إذ يصف المراجع التراثية بهذا الوصف، بأنّها مراجع منافسة للمراجع الغربية يقول صولة رابطا: "إنّ الدّراسات الحجاجية في الغرب ... لا تكاد تضيف شيئا إلى ما كان قاله القدماء عن وظيفة الصورة الفنية في الكلام من أنّها لجعل الغائب مشاهدا والإظهار المجرد في شكل المحسوس ولتقوية الشعور لدى المتلقي

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 245. واستعمل صولة الكتب التالية:

- السكاكي، مفتاح العلوم للسكاكي.

- الزمخشري، الكشاف.

- السيوطي، معترك الأقران.

- الزركشي، البرهان في علوم القرآن.

- الرماني، النكت في إعجاز القرآن.

² - عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 1، ص 28

وما بعدها.

بحضور الأشياء من أجل حمله على الاقتناع وللتأثير فيه. فكأنه ما ترك الأول للآخر شيئاً، وقدّم لنا القدماء على الحقيقة كثيراً من الأمور غير المفكر فيها بخصوص وظيفة الصورة في القرآن، أو ما وقع التفكير فيه لكن بصفة عفوية وعرضية، فمما تركه القدماء لنا في هذا الموضوع غير مفكر فيه تفكيراً منهجياً منظماً تحليل الطرائق التي بها يحصل تأثير الصورة في المتلقي.¹

وعليه يمكن القول أنّ التراث عموماً وجد موقعه في الدراسات الحجاجية الغربية الحديثة. وهذا الموقع الذي وجده هو الطريقة التي حثها به صولة. وهي طريقة التوجيه والمساعدة. أو هي بلغة أصواتية حوارية عربية غربية عربية غربية²

ب . عزالدين الناجح:

❖ الصوت التراثي في خطاب الناجح: إنّ الملاحظ المتأمل لاستعمال المادة التراثية العربية في مجموعها (بلاغة وأصول و...) يجدهما مادة ذات موقع في مدونة الناجح، إذ يجدها مقابلة منافسة للمستجدات الحجاجية الغربية، ولذلك يدعونا السياق هذا لتقديم إثباتات ملموسة وهو الذي سنكرسه:

¹ - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 495.

² - هاته المعاشرة التي يراها صولة بين العرب والغرب حجاجياً يراها في كمية من المراجع:

- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.

- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة.

- الزمخشري، الكشاف.

- ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم.

- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال.

الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن.

ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 481. وما بعدها.

❖ حضور الصوت التراثي العربي على هيئة ملامح وتقابلات: سنحاول تقديم مزاحمة

الصوت التراثي العربي على هيئة ملامح للتحليل الحجاجي اللساني الحديث، وذلك بتمثّل الأمر من خلال إشارة (عزالدين الناجح) إلى وجود ملامح ذات بال حجاجي، وسنختار بعض النصوص التي نراها نصوصا منافسة للنصوص الغربية والتي لها صوت قوي في المدونة بأكملها، ووصفا فلنلاحظ مثلا؛ بالنسبة لإشكالية النفي أنّ (الناجح) يقدّم أوصافا للإشكالية مستمدة من صوت المدرسة الحجاجية اللسانية لدكرو وأنسكومبر فيقول: "إنّ النفي يقوم دليلا على الوظيفة الحجاجية للغة من خلال الصرافم المحقّقة للنفي، باعتبارها العنصر القائد لعملية التوجيه الحجاجي ويؤيد تصورنا المبدئي هذا مسلمة لجاكسون (1963، 202) حيث يقول: "إنّ كل تغيير في المقولات النحوية وبالتالي الأبنية اللغوية هو تغيير حامل لمعلومات دلالية جديدة" وذلك أنّ زيادة الحروف المحقّقة لمعنى النفي تؤدي إلى إنجاز "معلومات دلالية جديدة" هي ما يمكن الاصطلاح عليها بالمعاني الحجاجية (إذا لم تكن ثواني على رأي خالد ميلاد في تصوّره الاسترسالي. وقد تعمّق (دكرو) في دراسة المسألة منذ محاولته اتخاذ النفي مطية للبرهنة على سلمية اللغة في السلام الحجاجية (دكرو 1980) وللبرهنة كذلك على بنوية الخطاب المثالي ... علاوة على تقسيمه إياه، أي النفي، أصنافا حسب معايير مختلفة، أهمّها صلته بالمقتضى ومدى صمود هذا الأخير أمامه أو إلغاؤه. وتظهر قيمة النفي في ضوء نظرية الحجاج في اللغة من خلال صدق تعريف العامل الحجاجي على حروف النفي الستة حيث يرى (أنسكومبر) أنّه: "يوجد من اللغة صرافم، عوامل حجاجية، تشدّ الملفوظ وتوجّه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته". وتقريبا هذا ما أقرّه (دكرو) في مصنّفه السلام الحجاجية، عندما اعتبر أنّ الحدث التوجيهي في الملفوظ إنّما هو مناط بعهدة النفي، وهو في كل هذا لا يخرج عن نظرية الحجاج التي يعتبرها نواة (atome) من هباءة (molécule) نظرية كبرى من الخطاب المثالي. وعليه كان

النّفي عنده قانونا اختباريا (loi empirique) ومطيّة واجبة غير كافيّة لوصف

البنية العميقة Deep structure للملافيظ غير المنفيّة في بنيتها السطحية" ¹

وعلى سبيل إثبات أمر النّفي في التراث العربي ولو على هيئة ملامح استعمل (الناجح) الصوت العربي التراثي ممثلا في أعلامه أمثال: (ابن يعيش، الزركشي، ابن جنّي). يقول (الناجح) مقابلا الأمر: "واللّافت للانتباه أيضا؛ أنّ التّحاة العرب القدامى بل والأصوليين أيضا، قد تفتّنوا إلى قيمة النّفي الدلاليّة، وإن لم يشيروا إلى وظيفته وقيّمته الحجاجيتين ولكن نلمح من خلال معالجتهم له نفسا حجاجيا. فابن يعيش يعتبره إكذابا وهو عكس الإيجاب و(ابن جنّي) يعتبره "إنكارا وعكسا وضدّا" إذ يقول: "إنّ منكر الشيء إنّما غرضه أن يحيل إلى عكسه وضدّه" والزركشي في البرهان يعتبره أرقى درجات التّعبير عن المبالغة في النّفي متى أريد به غير التّكذيب يقول الزركشي "من النّفي نفي الشيء مقيدا أو المراد نفيه مطلقا وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النّفي وتأكيد كقولهم فلان لا يرجى خيره، ليس المراد أنّ فيه خيرا لا يرجى، غرضهم أنّه لا خير فيه على وجه من الوجوه"². وبعد هذا الكلام الممتزج بالصوتين الغربي فالعربي يصف (الناجح) من خلالهما النّفي فيقول: "والمحصّل من كل هذا أنّ النّفي حركة (mouvement) غايتها الانتقال من منوال خطابي إلى آخر مغاير، أو هو بعبارة (دكرو) توجيه للمتقبّل إلى وضعيّة خطابية أخرى يتمّ فيها الائتلاف في النتائج والمواقف وهذا غاية الحجاج القسوى وهي إنهاء الحجاج عبر تآلف النتائج، لكن كيف يشتغل هذا الجهاز، جهاز النّفي، في الانتقال بالمتقبّل من وضعيّة خطابية إلى أخرى وكيف يبرهن النّفي على نجاعة نظريّة الحجاج في اللّغة"³.

¹ - عزالدين النّاجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص106، 107.

² - عزالدين النّاجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص106، 107.

³ - المرجع نفسه، ص106، 107. وقد استعمل (الناجح) لذلك مدوّنة نحوية أصوليّة ذات بال في التراث تمثلت في، ابن جنّي (الخصائص)، ابن يعيش (شرح المفصل)،...

ومن بين المباحث التي نعثر فيها على حضور الصّوت العربي التراثي مرافقا للصوت الغربي الحجاجي مبحث الروابط، فالناجح تحدّث عن الروابط وقدم لها نظرياً باستعمال الأصوات الغربية المتمثلة في صوت (تولمين) وصوت (كارون جون) وصوت (كريستيان بلونتان) وصوت (دكرو وأنسكومبر) ومن بين هاته الأصوات رشّح صوت (دكرو وأنسكومبر) (المدرسة الحجاجية اللسانية التقنية) وذلك على سبيل السّبق والنّضح العلمي يقول: "يقتضي صياغة تعريف علمي دقيق للروابط الحجاجية العودة إلى تعريف الحجاج في المقاربة التداولية اللسانية. لأنّ مفهوم الرابط الحجاجي لم يكن ضمن مصطلحات الجهاز الحجاجي قبل (دكرو وأنسكومبر) ونظريتهما بل إنّه في تصورهما جاء متأخرا عندما اضطرّا إلى تعديل منوالهما فهو إذن من استتباطهما وكّد ذهنيهما ... وفي كلمة فإنّ الرابط الحجاجي هو عبارة عن عنصر لساني ظاهر، عادة ما ينتمي إلى قسمي الأدوات أو الحروف من أقسام الكلام، يقوم في الملفوظ بدور الربط بين الحجّة والنتيجة وبالتالي إخراج الملفوظ من الإبلاغية إلى الحجاجية عبر قدح النتيجة وإنزالها منزلتها من السلم الحجاجي وأمّا في الخطاب فإنّها تنهض بنفس الدور كذلك غير أنّ الربط الذي تقوم به يكون بين وحدات الخطاب في سبيل الكشف عن انسجامه وتناسقه القائدين إلى حجاجيته لأنّ الرابط الحجاجي بهذا المعنى هو المحقّق لانسجام الخطاب وحجاجيته فهو بمثابة العماد (cheville D' ouvrière) في الخطاب".¹

و نجد (الناجح) استعمل على سبيل السّبق والنّضح العلمي الصّوت الحجاجي اللساني الغربي، و لكنّه أثناء التّطبيق عالج بالصوت التراثي العربي على سبيل المرافقة وعلى سبيل جاهزية الروابط تراثيا يقول: "أمّا في هذا البحث فإننا سنشتغل على الرابط في معناه العام. كما عالجه نحائنا القدامى والبلاغيون والأصوليون من اللّغويين خاصة على حد سواء".²

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 370،372،373.

² - المرجع نفسه، ص 370.

رأى (الناجح) أنّ الدّراسات اللّغوية العربيّة في مجموعها نعتت الرابطة "الواو" بأنّ له وظيفة إبلاغيّة إخبارية، غير أنّه ومن خلال تفتيشاته في المدوّنة اللّغوية التراثيّة العربيّة عشر على أعلام (ابن هشام والزرکشي...) يعالجون أمثلة مثل الواو التي هي من أمثلة الربط الحجاجيّة في اللّسانيات الحديثة وكانت المعالجة التراثيّة ذات ملامح حجاجي: "تكاد تجمع الدراسات اللّغوية على اختلافها نحويّة وبلاغيّة وحتى اللّسانيّة منها الحديثة بفروعها كالدلاليّة والمعجميّة على أنّ (الواو) هي أم (الرّبط) وأمّ الباب كما يقول القدامى. وهو ربط على الإبلاغيّة والإخباريّة وليس على جهة أخرى من وظائف اللّغة. غير أنّنا لسنا مطمئنّين إلى هذا الطرح الأوّلي، فهذا ممّا لا ينكره قانون اشتغال اللّغة ومزيّة "الواو" فيه بزيادتها المعنى إعلاما وإخبارا ولكن نزع في هذا التّصور أنّه علاوة على الوظيفة الرابطة التي تصاحبها وظيفة إبلاغيّة فإنّهما، أي الوظيفة الرابطة والإخباريّة، تخدمان وظيفة مركزيّة هي الحجاجيّة وفي سبيل بيان هذا الطرح نوّد الإشارة إلى طرحين في دراسة "الواو" الطرح الأوّل لابن هشام في المغني والطرح الثاني للزرکشي في البرهان. وقد اخترنا هذين التّمودجين لما يمثلانه من نضج في الدّرس اللّغوي سواء أكان نحويا أم أصوليا لغويا ولما يمثلانه من تقنيّة وحرفيّة علميّة، أيضا في معالجة الأمثلة التي نراها عصب اللّسانيات الحديثة.¹

ابن هشام وملاحح الحجاجيّة في الواو: وقد حدّد (الناجح) النّص التراثي لابن هشام والذي يتوافق مع مطامحه الحجاجيّة؛ وهذا النّص وجدّه في الفقرة التي وسمها ابن هشام بـ "مزاعم حول "الواو"، وهو حرفيا ضمن كلام الناجح كالتالي: "علاوة على كلامه المهمّ في المسائل التي ذكرنا فإنّه لم يشر إلى الأبعاد التداوليّة الإنجازيّة للواو. إلّا في فقرة وسمها بـ "مزاعم حول "الواو". ففي هذه الفقرة يمكن أن نظفر بحديث يتقاطع وما سقناه آنفا من قول في مسألة الروابط حيث قلنا في بداية هذه الفقرة إنّنا لسنا مطمئنّين إلى القول بأنّ (الواو) متمحضة للجمع والربط فحسب. وادّعينا أنّ هذه الوظيفة تصاحبها وظائف أخرى منها

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 381.

التداولية الحجاجية وهذا ما وجدنا صداه في قول ابن هشام "زعم قوم أن "الواو" قد تخرج عن إفادة مطلق الجمع وذلك على أوجه أحدها أن تستعمل بمعنى (أو) وذلك على ثلاثة أقسام، أحدها أن تكون بمعناها في التقسيم... والثاني أن تكون بمعناها في الإباحة... والثالث أن تكون بمعناها في التخيير... والثاني أن تكون بمعنى باء الجر... والثالث أن تكون بمعنى لام التعليل...¹.

وبعد هذا التحديد استأنف (الناجح) يشرح الوجوه الحجاجية للواو في هذا النص، وقبل شرح الوجوه الحجاجية توقف (الناجح) ليشير إلى الوجوه غير الحجاجية للواو كالعطف والحالية والربط على الاستئناف والتي يشترك فيها مع سائر النحاة، أما بالنسبة لاقترب (ابن هشام) من باب الحجاجية فإنه ترك منزعه النحوي لبعض الوقت والذي يشترك فيه مع النحاة كما أشرنا، لينصرف إلى تبين الوجوه الحجاجية، فالتحول كان في بنائه الاستدلالي أي مروره من اللغة إلى الكلام عن طريق الوظائف الحجاجية الجديدة للواو والتي هي التخيير والإباحة والتعليل والتقسيم والوسيلة... وهي وظائف يستدعيها المقام والتداول، يقول (الناجح) وهو يموقع (ابن هشام) في باب الحجاجية التداولية: "إن هذه الفقرة في رأينا، هي أهم ما قال ابن هشام في باب (الواو) في المغني وذلك، لسببين على الأقل، أن ما قاله من غير هذا، فإنه يتفق فيه مع سائر النحاة الذين أخذنا عنهم من قبيل حديثه عن "الواو" العاطفة والحالية والرابطة على الاستئناف وغيرها. غير أن المريب في هذه الفقرة التي جعلها تحت طائلة "التنبهات" تثير كثيرا من المشاكل المعرفية حتى إنه نعتها بـ "مزاعم حول الواو" وفي كلمة فإن في هذه الفقرة في معالجة الواو نلاحظ ركون (ابن هشام) إلى تفسير الظاهرة اللغوية في استعمال "الواو" إلى مقولات يمكن نعتها، بشيء من التجوز بكونها أقرب إلى التداولية منها إلى النحوية التركيبية التي ألفناه يركن إليها، نظرا لمنزعه النحوي، في تفسير الظواهر اللغوية العامة من قبيل معالجته للواو العاطفة أو الواو الحالية أو الواو التي يأتي بعدها منصوبا أو

¹ - المرجع نفسه، ص 382.

مجروراً... فلعلّه من أجل هذا، أي من أجل تغيير منوال الاستدلال عنده من النّحوية إلى التداوليّة قد جعل الفقرة "تنبيهاً" لمعالجة ما سماه "مزاعم". والحقيقة أن التّحول من الجهاز إلى الإنجاز أي من اللّغة إلى الكلام في معالجة الرابط هو ما يكشف، حينئذ عن الوظيفة التداولية الحجاجيّة. فمقولات التّخيير والإباحة والتّعليل والتّقسيم والوسيلة... هي في رأينا مقولات يستدعيها المقام ومقتضيات أحوال التلفظ، لا صلة لها بالجهاز أصلاً خاصّة التّركيبي منه. فالواو حينئذ في وظيفتها التّركيبيّة السياقيّة هي مجرد رابط ولكنّها خطابياً تداولياً هي مفيدة لبعض الإمكانات والأدوار التداوليّة التي لخصها "ابن هشام" في ثلاث مقولات هي الإباحة والتّخيير والتّعليل¹. وهاته الوظائف الثلاثة الأخيرة ذات البعد الحجاجي وبالنسبة للناجح فإنّه لمسها في الخطاب القضائي يقول: "ولعلّه من أجل هذه الوظائف الثلاث، المشتقّة من الرابطة باعتبارها أم الوظائف، ركن القضاة، علموا بما قاله "ابن هشام" أم لم يعلموا إلى التّعويل عليها في صوغ خطاباتهم وتحقيق انسجامها وحجاجيّتها. فالقاضي يصوغ خطابه وفق وضعيّات تلفظيّة معينة. وتقتضي هذه الوضعيّات أن يجعل المتنازعين أمام خيارات في تطبيق الحكم من قبيل (السجن أو الضريبة الماليّة أو الحجز أو تأجيل التّنفيذ المشروط...). كما يلجأ إلى التّعليل لنص حكمه وهو في نشاطه اللّغوي الإنجازي يجد في (الواو) ما به تتحقّق غايته الحجاجيّة من اللّغة ليضمن إذعان المتنازعين وتسليمهم. وقبل معالجة بعض الأمثلة نود الوقوف على ما جاء في البرهان للزركشي حول "الواو" باعتبارها رابطاً له أبعاد تداوليّة حجاجية².

الزركشي وملامح الحجاجية في الواو: وكما ختم "الناجح" قوله بالتحمّس الشديد للوقوف على الأبعاد الحجاجيّة للواو عند الزركشي، فإنّه إذ يقف فإنّه يعزّز شرحه لابن هشام بالاستناد إلى صوت تراثي لغوي عربي آخر يمثّل في المنظومة التراثيّة قيمة ذات بال؛

¹ - عزالدین الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 382، 383.

² - المرجع نفسه، ص 383.

وعليه يعرض (الناجح) الزركشي كالتالي: "عالج (الزركشي) "الواو" في البرهان على طريفته الخاصّة في معالجة الأدوات والحروف فبدأ بالإشارة إلى الجانب النّحوي التركيبي من خلال مقولة العامليّة النّحوية فرأى أنّ "الواو" تكون عاملة وغير عاملة". وقد تطرق (الزركشي) أيضا إلى ما اصطلحنا عليه بالمعاني التداوليّة أو الوظائف الخطابية والتداوليّة للواو. في فقرة (الواو غير العاملة). وقد أحصى لها عديد الوظائف المتّصلة حيناً بالسياق وحيناً آخر بالمقام. وهو في كل هذه، يعوّل على ما يوفّره التّركيب أولا ثم الاستعمال المرتبط بالمقامات المختلفة ثانيا. ومن الوظائف التي تعرض لها، (مطلق الجمع على الصّحيح، ولا تدلّ على الثاني بعد الأوّل). ثم الاستئناف بما هو (قطع وابتداء)... ثم الإباحة والزيادة والتأكيد.¹

وقد علّل (الناجح) ظهور هاته الوظائف الحجاجيّة الأخيرة إلى جانب الوظيفة الأصليّة/الربط والاستئناف بوجود أبعاد يقتضيها السياق - في سبيل إثباته الملامح التراثيّة أعتقد أنّ (الناجح) ترك الأمر بالنسبة للوظائف الحجاجيّة ثانوية في اللّغة وليست جذرية، فوصف التراث فقط -، يقول: "وليس يخفى ما لهذه الوظائف والمعاني التي تؤدّيها الواو، في الملفوظ عامّة وفي الخطاب خاصّة، من أبعاد يقتضيها السّياق والمقام على حدّ السواء. فمن أجل هذا، أي تعدّد وظائف "الواو" القائد إلى إنتاج معان ثوان في الخطاب، كان للواو، اعتمادا على وظيفتها الرابطة وهي أم الباب، وظائف محايدة كانت الوظيفة التداوليّة الحجاجيّة تبعا لذلك من أبرز هذه الوظائف المتمحّضة في استعمال "الواو". وإن كانت بمثابة النتيجة للوظيفة الرابطة الأصل، فالمقام والسياق هما ما يخرج المعاني الحجاجيّة والدلالات التداوليّة للواو. من حيّز الغموض واللّبس إلى حيّز القصدية والوضوح، لأنّ المتكلّم في ركونه للواو، رابطا حجاجيا، إنّما هو في الحقيقة يحكمه قصد استمالة الجمهور وإذعانه. فالوظيفة التداوليّة الحجاجيّة للواو ليست وظيفة مركزيّة أوليّة من قبيل الرّبط والاستئناف النحويين فهاتين الوظيفتان كما ذكرنا آنفا هما أم الباب وإنّما تمثّل الوظيفة الحجاجيّة

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 383.

التداولية كالقيمة المضافة (valeur ajoutée) للوظيفتين الأصليتين. وهذا ما جعلنا نعتبر المقام والسياق هو القادح لجميع الوظائف غير التركيبية للواو. وهذا رأي قدحه فينا ما قاله الكفوي في كلياته حول الواو¹.

أبو البقاء الكفوي وملاح الحجاجية في الواو: لم يكتف (الناجح) بابن هشام و(الزركشي) في إثبات ملاح "الواو" الحجاجية بل استدعى لتعزيز الاستشهاد صوتا عربيا لغويا تراثيا آخر هو صوت (أبو البقاء الكفوي)، فقد عالج (الكفوي) "الواو" من منظور تركيبى ومن منظور دلالي تداولي؛ ورأى أنّ المنظور التركيبى أي وظيفة الواو الرابطة فقط هي بهاته القيمة الدلالية عنصر دلالي موجود لأجل عنصر دلالي تداولي يمثل نتيجة بالنسبة للعنصر التركيبى، فالحمولة الدلالية للجمع (التركيب) أو كما يسميها النحاة الربط يوجّهها العنصر الدلالي التداولي (الإفصاح والإفهام). يقول الناجح مدقّق الأمر: "وهذا رأي قدحه فينا ما قاله (الكفوي) في كلياته حول الواو، إذ؛ عالج "الكفوي"... الواو معالجة جمع فيها بين ما قاله النحويون والبلاغيون والأصوليون. وقد ربط بين هؤلاء الثلاثة في تعريفه الوظيفي للواو، حيث يرى أنّ الوظيفة الرابطة إن هي إلاّ وظيفة شكلية أولية يقتضيها تماسك اللفظ ونمطه وإنّما الوظيفة الأهمّ للواو هي الإفصاح والإفهام إذ يقول في هذا الصدد "وهي حرف يجمع ما بعده مع شيء قبله إفصاحا في اللفظ وإفهاما في المعنى والجمع بين شيئين يقتضي مناسبة بينهما ومغايرة أيضا". واللّطيف والمفيد في كلام "الكفوي" هو إشارته إلى ثلاث مسائل مركزية لها صلة بالحجاج، إذا لم يكن الحجاج عصبها النابض. وهذه المسائل يمكن قراءتها على محورين الأول تركيبى نحوي. وذلك عند قوله: "يجمع ما قبله مع شيء بعده" وهو هنا يقصد الوظيفة الرابطة والثاني دلالي تداولي وذلك عند قوله "إفصاحا لللفظ وإفهاما في المعنى" وعليه تكون الوظيفة الدلالية التداولية بمثابة النتيجة للوظيفة الرابطة. إذ الإفصاح والإفهام في اللفظ والمعنى على رأي (الكفوي) من وظائف "الواو" التي تنتجها وظيفة الجمع.

¹ - المرجع نفسه، ص 384.

ولعلّه من أجل هذا نفهم إلحاحه على أنّ ما يسمّيه هو بـ (الجمع) ويسمّيه النّحاة بالربط. هو جمع مرتبط بمقاصد توجهها الوظيفتان الدلالية والتداولية (الإفصاح والإفهام)¹.

ووظيفة الربط ليست غاية جذرية في اللّغة في حدّ ذاتها بل وظيفة الإفصاح والإفهام هي الغاية المتجذرة في اللّغة لأنّها النتيجة التي تعني الإفادة والخلوّ من اللّحن وما وظيفة الربط إلّا سبب لوجود الإفصاح والإفادة يقول الناجح: "ولذلك عقب تعقيبا طريفا على مفهوم الجمع بقوله: "والجمع بين شيئين يقتضي مناسبة بينهما ومغايرة أيضا" والمفهوم من كل هذا أنّ رابطيّة "الواو" ليست غاية في حدّ ذاتها، بقدر ماهي وسيلة لتحقيق ما سمّاه "الإفصاح" و"الإفهام" وفي تصورنا الحجاجي. فإنّ الإفصاح والإفهام هو نفسه ليس غاية في حدّ ذاته بقدر ما هو، خطابيا بمثابة الدليل والرائز على ما سماه مناسبة بينهما. وليس الأمر في حاجة إلى البرهنة على أنّ مقصود (الكفوي)، وغيره من اللّغويين وخاصة منهم الأصوليين من "المناسبة بينهما" أو التناسب إنّما هو الانسجام و التماسك والتناسق. وعطفا على ماسبق فإنّ "الواو" متمحضة حجاجيا لتحقيق الإفصاح والإفهام اللذين يمكن اعتبارهما بديلا للتوجيه الحجاجي إذا لم يكن هو بمثابة النتيجة لهما. فالمتقبّل لا يذعن ولا يسلم بخطاب القاضي إلّا إذا كان خطاب القاضي مفهوما فصيحاً ولا تعني كلمة فصاحة في عرف البحث ولا حتّى عند (الكفوي) معناها البلاغي القديم. بل إنّ الإفصاح والفصاحة في عرف البحث هي رديف للإفادة والخلوّ من اللّحن بشتى ضروريه². وبالنسبة للناجح من هذا كلّه تنبيهه إلى الملامح الحجاجية التراثية من خلال هاته الاستشهادات؛ والتي يرى بأنّ القدامى لم يقدّموها بصريح العبارة بل أخذوها على سبيل المرافقة للوظيفة الأصل، أي؛ الربط - بل حتّى المحدثين - . وزعم هو أي؛ (الناجح) أنّ هذا الإرفاق يأخذ على سبيل إثبات الملامح الحجاجية في التراث يقول: "ومهما يكن من أمر فإنّ المقاربات التي أشرنا إليها آنفا منذ (ابن هشام) مرورا

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 385/384.

² - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 385.

بالزركشي ووصولاً إلى (الكفوي) قد أثبتت أنّ "الواو" حرف عطف رابط في دوره الشكلي التركيبي وهذا ما تتفق عليه كل فروع المعرفة اللسانية ولكن ما تتفرد به الدلالة والتداولية هو إثباتها لوظائف أخرى للواو، كالتي كنا أشرنا إليها مع (الزركشي) أو كتلك التي وقفنا عليها مع (الكفوي) ولكن ما يستوقف الانتباه أنّ كلا من (ابن هشام) النحوي و(الزركشي) الأصولي، وحتى (الكفوي) لم يشر جميعهم إلى ما زعمنا أنّها "وظائف حجاجية" للواو، وهذا ليس قدحاً في جهدهم العلمي التأصيلي، إذ المحدثون من اللسانيين أنفسهم لم يشيروا إلى المسألة إلاّ بأخوة وباقتضاب شديد، لأنّها ما زالت تحت الاختبار العلمي فمن ذلك ما أورده (ابن غربية) في (2003) حيث يرى أنّ "الواو" حرف ربط معناه مطلق الجمع مطلقاً... وهذا المعنى المغرق في التجريد يسمح له بإيواء عدد كبير من المعاني". والوظيفة التداولية الحجاجية تدخل تحت طائلة هذه المعاني المتعددة التي أرجعها القدامى إلى الرابطة¹.

ولإثبات الأمر تطبيقياً نجد (الناجح) حلّل "الواو" في نصّ الحكم ذي العدد الأربعين من قرارات الدوائر المجتمعة بمحكمة التّعقيب تحليلاً حجاجياً وفق الملامح التراثية العربية اللغوية يقول: "والمقطع التالي من الخطاب المذكور آنفاً. يمكن اعتباره مقطعاً طرازياً « séquence prototypique » على حدّ عبارة جون ميشال آدم في (2001). في استعمال "الواو" استعمالاً حجاجياً غايته الانسجام الخطابي مع تسليم المتقبّل وعليه نقدّمه فيما يلي للدرس.

(حيث تفيد وقائع القضية كما أثبتتها القرار المنتقد والأوراق التي اعتمدها أنّ المدعو خميس بوعشير كان استصدر حكماً استحقاقياً بتاريخ 30 أكتوبر 1973 تحت عدد 19265 من محكمة تونس يقضي باستحقاقه لقطعة أرض كائنة بسيدي أبي سعيد مبيّنه حدّاً وموقعا بالأصل فقام المعقب عليه محمد وأختاه سعاد وراضية بالاعتراض على الحكم المذكور وتدخل في القضية أطراف آخرون مدعين انتقال الملكية إليهم بوجه الشراء وبعد استيفاء

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 385، 386.

النظر في القضية أصدرت محكمة البداية حكمها برفض الاعتراض شكلا فاستأنفه القائمون به وبعد الترافع أصدرت محكمة الدرجة الثانية قرارها عدد 81925 بتاريخ 30 ماي 1989 بقبول الاستئناف الأصلي والعرضي شكلا في الأمل بنقض الحكم الابتدائي والقضاء من جديد بقبول الاعتراض وموضوعا بالرجوع في حكم المعترض عليه عدد 19265 بتاريخ 30 أكتوبر 1973 وبإعفاء المستأنفين من الخطيئة وإرجاع معلومها إليهم وحمل المصاريف القانونية على المستأنف ضدهم ورفض الاستئناف العرضي طوعا. فتعقبه الطاعنان (...كذا) وحسين يدعي حسن بن بوبكر الإمام بتاريخ 14 جوان 1990 وأصدرت الدائرة الثانية قرارها عدد 25425 برفض مطلب التعقيب شكلا وحجز معلوم الخطية المؤمن أنّ الفصل (...كذا) 185 من مجلة المرافعات المدنية والتجارية أوجب على الطاعنين تقديم محضر إعلامهم بالحكم المطعون فيه إن وقع إعلامهم به في ظرف أجل لا يتجاوز ثلاثين يوما من تقديم عريضة الطعن لكتابة المحكمة وبما أنّهم قدّموا عريضة طعنهم في 22 نوفمبر 1989 وتم إعلامهم بالقرار المعقب في التاسع والعشرين من نفس الشهر ولم يقدّموا محضر الإعلام إلا في السادس والعشرين من ديسمبر 1989 وبالنسبة للطاعن حسن الإمام فقط (...كذا) ممّا يجعل تقديم المحضر خارج الأجل القانوني وهو ما يوجب الرفض شكلا... (نشرية محكمة التعقيب، 1996، 102-103)¹.

لقد حلّ (الناجح) هذا المثال وفقا للصوص التراثي اللغوي العربي (ابن هشام والزرکشي والكفوي) فوجد أربع وظائف حجاجية بغض النظر عن الوظيفة الأصلية الرابطة، وهذا التحديد قدمه الناجح ولو كمياً (إحصائياً/ وصفياً) بقوله: "إنّ هذا المقطع الحجاجي المقتطف من نصّ الحكم عدد أربعين من قرارات الدوائر المجتمعة بمحكمة التعقيب، يحكم انسجامه على الأقل أربعة استعمالات للواو مختلفة، هذا بغض النظر على الواو العاطفة التي لا نعتبرها عاملة على مستوى الرابطة الحجاجية. أمّا الواو العاملة حجاجياً من خلال مقولة

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 387، 388.

الرابطة فإنها في هذا المقطع في أربعة مواضع. وهذه المواضع معقودة دلاليًا وتداوليًا بوظائف متعدّدة يمكن حصرها في الوظائف التي كنا تعرضنا إليها آنفاً مع (ابن هشام والزركشي والكفوي) وهي (الإباحة والتخيير والتعليل والزيادة والتأكيد والمناسبة) وهي كما هو معلوم دلالات مقامية تداولية أقرب إلى الاستعمال والتداول منها إلى الجهاز. إذ دور "الواو" في الجهاز كما أشرنا في ما سبق من البحث هو الرّبط المحض. فالواو الأولى قد حققت معني الزيادة والمناسبة في الملفوظ (وتدخل في القضية أطراف آخرون) في حين حققت الواو الثانية معني الزيادة والتأكيد في الملفوظ (وأصدرت الدائرة الثانية قرارها عدد 25425) وأمّا الواو الثالثة والرابعة، فإنها في الخطاب قد نهضت على وظيفة تحقيق معنى التعليل في خاصة الملفوظ (وبما أنهم قدموا عريضة طعنهم في 22 نوفمبر 1989 وتمّ إعلامهم بالقرار المعقب...) ¹.

ولم يكتف (الناجح) بالجانب الوصفي من خلال تعيين وظائف الواوات وإحصائها في المقطع ولكنه شرح دورها الوظيفي الحجاجي بلغة قانونية علمية؛ أي تحدث عن "الواو" وكأنها عنصر دلالي يمثّل نيّة القانوني الحجاجي والنية ترتبط بالمقصد يقول: "إنّ هذه المعاني التي أحصيناها للواو اعتماداً على ما قاله (ابن هشام النحوي) أو ما قاله (الزركشي) الأصولي أو ما قاله (الكفوي) الموسوعي مطبقة على هذا المثال القضائي تبقى نسبية لا يفصل في نجاعتها العلمية وصدقيتها المرجعية إلاّ مقامات الاستعمال وتعدّها. ولكنّها في نهاية الأمر هي من كليات الاستعمال. يركن إليها القاضي في خطابه ليعطي لحكمه أبعاداً حجاجية تداولية. من أجل هذا كانت "الواو" في الملفوظ الأول ذات قيمة مضافة في الخطاب كله. وهي تحقيقها لدلالات الزيادة والمناسبة، من جهة أنّ القاضي قد تمكن بهذا الملفوظ من زيادة حجة مناسبة لخطابه. وهذه الحجة هي بمثابة الضمان لتماسك خطابه كله. وهي من قبيل ممّا يتبادر إلى ذهن المتقبّل أنّ القاضي قد سهى عنه. وأمّا التعليل والتأكيد فإنهما في

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 388، 389.

الخطاب القضائي من خلال المثال أعلاه، يمثلان حجر الزاوية الناسجة لتماسك الخطاب بأكمله. لأنّ القاضي، وهو ينشئ خطابه، مضطر لمراعاة تعدّد الأصوات في الخطاب. وهو في الآن نفسه، مجبر لعدم ترك ثغرات قد تصيب خطابه بعدم التماسك. وقد كانت (الواو) آلة لسانية محققة لهاتين الخاصيتين أو المعنيتين أي التعليل والتأكيد. وإن كنا نشاطر النحاة القدامى عند إشارتهم إلى أنّ الحرف لا معنى له في ذاته وإنما يستمدّ معانيه ودلالاته التي يؤسّسها من متعلقاته (معناه في غيره) سواء أكانت هذه المتعلقات سياقية لغوية أم مقامية تداولية تستدعيها مقتضيات الأحوال¹.

إنّ وظائف الزيادة والتأكيد والإباحة والتخيير والتعليل والمناسبة هي وظائف واردة سياقياً وعلاقتها المباشرة بالحجاج حسب (الناجح) هي التغيّر المستمر الذي هو خصيصة الحجاج الكبرى وهذا التغيّر يتمّ في انسجام خطابي عن طريق استعمال هاته الواوات. فيصبح الخطاب القضائي يجمع بين الزيادة للإفادة وبين التعليل لتبرير الحكم وبين التأكيد والتخيير للمفاوضة والتسيير يقول الناجح: "ومهما يكن من أمر، فإنّ دور (الواو) الرابطي سواء أكان مطبقاً على الخطاب القضائي أم على غيره من الخطابات، فإنّه متمحّض لإنجاز المقولات الأنفة الذكر من زيادة وتأكيد وإباحة وتخيير وتعليل ومناسبة، على حدّ تصوّر النحويين والبلاغيين والأصوليين. لكن السؤال الذي يطرح هنا: ما صلة هذه المقولات بالحجاج عامة؟ وبالحجاج القضائي خاصة؟ إنّ صلة ما بينهما يمكن أن يفسرها عنصران في الخطاطة الحجاجية: فأما العنصر الأول فهو حاجة الانسجام الخطابي الحجاجي إلى الركون إلى الزيادة مرّة، وإلى التعليل والتأكيد مرّة أخرى، وإلى الإباحة والمناسبة في مواطن أخرى. وأما العنصر الثاني الذي يبرر صلة مباحث الحجاج بوظائف (الواو) الدلالية فهو غاية الحجاج وأهدافه التي ترمي إلى التغيّر سواء أكان هذا التغيّر في المقولات والكليّات الذهنية أم كان في الموجودات العيانية على صعيد الحركة الفيزيائية للمتقبل الذي يجد نفسه ينفاد إلى

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 389.

توجيهات مخاطبه ومقتضيات خطابه واستلزاماته. من أجل هذا، وغيره، كان الخطاب القضائي يتراوح بين الزيادة على سبيل الإفادة وبين التعليل على سبيل التبرير للحكم وبين التأكيد والتخيير على سبيل المفاوضة والتسيير. وهو في كل هذا وبكل هذا خطاب حجاجي بامتياز، لأنه لا يقصي الآخر أي المتقبل، وإنما يدمجه في نصّ المحاكمة إدماجاً يجعله شريكاً في المحاوره ونداً في المحادثة¹.

والخطاب القضائي تكوّن حججه الوقائع مرّة والأسانيد التشريعية مرّة أخرى، أمّا الواو فهي تشحن التفاوض وتقرّب المسافات بين المعاني هاته، وفي كل الأحوال يبقى الدور للحجة القويّة التي تمرّ عبر الواوات وما الواو إلا رابط ينسّق تلك الحجج يقول الناجح: "ولكن تبقى الحجة الأقوى هي الحدّ الفيصل بين طرفي المحادثة. وهي المرجح الوحيد لسلطة أحد أطراف المحادثة على الآخر وهي سلطة معنوية أخلاقية حضارية، تستمد معيها من الوقائع مرّة ومن الأسانيد التشريعية مرّة أخرى. فالحجاج القضائي من هذا المنطلق ليس اثنيّة أو تخاصماً أو شجاراً أو جدلية قوة وضعف، كما زعم أساطين الحجاج من قبل. وإنما الحجاج في عرف البحث؛ ومن خلال الخطاب القضائي، هو محض بحث مشترك بين أطراف المحادثة على الحقيقة. وفي البحث على الحقيقة يستوي القاضي والمتقاضي والرئيس والمرؤوس. ولعلّه من خلال هذا الفهم قال الفرنسيون القدامى "إنّ القاضي بمجرد تصريحه بالحكم لا يعتبر قاضياً"².

هذه بعض الملامح الحجاجية التراثية العربية والتي تغطي مساحة ذات بال في مدونة الناجح، والتي لها نظيراتها التي لم نذكرها مثل مبحث العموم... وذلك لضيق الحيز.

إنّ هذه الإثارة الملمحية التقابلية إن صحّ القول يمكن أن نعزّزها ببعض التحليلات على وجه المنافسة العربية لقضايا الحجاج. فنجد مثلاً في مبحث قضايا التقديم والتأخير أنّ الناجح قد

¹ - عزالدين الناجح، الخطاب القضائي، ص 390 / 389.

² - المرجع نفسه، ص 390.

حلّل بالجهد العلمي العربي هاته القضية ممّا يثمن مقدراتها ونضجها تقنياً للتحليل. فقد حلّل بالجرجاني والسكاكي و الزركشي، والأمر نفسه في مبحث الترتيب والتالي أمثلة تطبيقية تؤكد حضور الصّوت اللّساني التراثي اللّغوي العربي إبداعياً في التحليل اللّساني الحجاجي.

❖ التقديم والتأخير: في مبحث التّقديم والتّأخير ارتكز (الناجح) في تحليله على الصّوت

الغربي ممثلاً في المدرسة التّقنيّة اللّسانية الحجاجيّة الغربيّة وعلى الصوت التراثي العربي ممثلاً في (الجرجاني والسكاكي) يقول الناجح: "سنحاول الإجابة على السؤال التالي: هل من منوال لدراسة مبحث التّقديم والتّأخير ضمن مسائل التّدوليّة المندمجة وضمن مسائل الحجاج فيها خاصة من خلال الملفوظ القانوني.... من أجل هذا وغيره سنعالج مسألة التّقديم والتّأخير في ضوء طرحين مهمّين يعتبران نقطة ارتكاز (Point focale) في الدرس اللّغوي العربي، هما أطروحتا الشّيخين الجرجاني والسكاكي."¹

ومن بين التّطبيقات قابل "الناجح" بين الصّوت التراثي اللّغوي العربي والصّوت الغربي من خلال مصطلح "نية المتكلم" العربي ومصطلح القصدية الغربي، فهما مصطلحان متقابلان. وأحدث (الناجح) هذا التقابل عند حديثه عن تحليل (الجرجاني) لظاهرة التّقديم والتّأخير والذي أخذه نموذجاً ومنطلقاً لتحليل هاته الظاهرة اللّغوية. فرأى (الناجح) أنّ "نية المتكلم" هي المبرهنة على المقاصد الحجاجيّة للمتكلّم المشرّع، وهاته النّية والمقصديّة مسجّلة ظاهراً في بنى اللّغة مثل التّقديم والتّأخير. وباستناد (الناجح) للمدرسة التّقنيّة اللّسانية الحجاجيّة التي ترى بأنّ الحجاج مسجل في بنية اللّغة فإنّ ظاهرة التّقديم مسجّلة في بنية اللّغة يقول الناجح: "نية المتكلم" في عرف البحث، والجرجاني، من قبل، هي ما يعبر عنه اليوم في الدرس اللّساني الحديث بالقصدية (intentionnalité) ومن ثم اعتبرنا "نية المتكلم" هي المبرهنة على المقاصد الحجاجيّة للمتكلّم المشرّع. وتكشف عنها البنية اللّغويّة المتصرّف فيها تقديماً

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 154، 155.

وتأخيراً. ومن المسلّمات في تيار التداوليّة المدمجة وطرحها في الحجاج "أنّ الحجاج مسجّل في بنية اللّغة ذاتها وليس مرتبطاً بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغيّة مقاميّة". ومن هنا فإنّ التّقديم والتّأخير باعتبار صلته بالبنية المسجلة في اللّغة، له وظيفة حجاجيّة. وليس من الغيبيّات في شيء¹

ولأجل هذا قدّم الناجح مثالا تطبيقياً؛ فيرى أنّه يلزم تقديم المفعول في المثال أدناه كي لا تضعف البنية الحجاجيّة للعبارة اللّغوية (إلزام المتقبّل بمقتضى حالها) فتصبح إخباراً فقط يقول: "ويمكن للأمتلة التالية بيان ذلك.

مثال 1: إذا ادعت المرأة الحمل وكذبها الورثة تعرض على أهل المعرفة (م.أش. 2001.47)؛

إنّ ما يبرز فضيلة التّأخير والتّقديم الحجاجيّة في الملفوظ القانوني من خلال الأمثلة أعلاه وعبر مقولة "مقاصدية المتكلم" / "نية المتكلم" إنّما هو المظهر الإلزامي L'aspect injonctif في الملفوظ وذلك عبر دحض كل ما سوى رأي المتكلم المشرّع ففي المثال 1 قدّم المفعول على النواة لإلزام المتقبّل بمقتضى الحال، كما يقول القدامى، (إذا ادعت المرأة الحمل وكذبها الورثة). والمفهوم من هذا أنّه "إذا لم تدع المرأة الحمل ولم يكذبها الورثة فإنّها لا تعرض على أهل المعرفة" غير أنّ البعد الإلزامي الذي أشرنا إليه آنفا لا يدرك حقيقة إلّا إذا أخرجنا المفعول بصيغة أخرى حيث نلاحظ ضعفاً في الطاقة الحجاجيّة للملفوظ. فقولنا مثلاً:

مثال 01: تعرض على أهل المعرفة إذا ادعت المرأة الحمل وكذبها الورثة.

وأوّل ما نلاحظه عند تأخير المفعول هو ضعف الطاقة الحجاجيّة للملفوظ وذلك عبر تحوّل المسار الإلزامي للفصل القانوني، وذلك من جراء تأخر القيد ويشهد على هذا مقتضى قوّة

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 157.

القضية الأصلية. ويصبح بذلك الملفوظ ذا وظيفة إبلاغيّة فحسب. ومعلوم أنّ التّصوّر التّداولي المندمج يغلب الوظيفة الحجاجيّة ويعتبرها سابقة للوظيفة الإعلاميّة الإبلاغيّة في الملفوظ"¹

وفي موضع آخر؛ عالج الناجح مبحث الترتيب معالجة تراثية ماعدا تصنيف واحد من التصنيفات أدناه عالج بالصّوت التراثي الغربي ممثلا في بيرلمان؛ والتصنيفات المتحدث عنها هي كالتالي:

- ترتيب العام قبل الخاص: عالجه ببحوث بدر الدين الزركشي؛
- ترتيب العام بعد الخاص: عالج به ببحوث بدر الدين الزركشي؛
- ترتيب الترادف: عالج به ببحوث بدر الدين الزركشي؛
- ترتيب هرمي منطقي: عالج به ببحوث بيرلمان؛
- ترتيب المحتمل وقوعه بعد الأكثر احتمالا وقوعه: عالج به بالجرجاني"²

¹ - عزالدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، ص 157، 158.

² - المرجع نفسه، ص 124 وما بعدها.

**الفصل الثالث: منهجية التحليل الأحادي في
الكتابات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة
أبو بكر العزاوي ومحمد طروس ورشيد
الراضي ومحمد العمري أنموذجا**

نتابع في هذا الفصل المشاريع الحجاجية لكل من الباحثين التالية أسماؤهم:

✓ أبو بكر العزاوي؛

✓ رشيد الراضي؛

✓ محمد العمري؛

✓ محمد طروس.

وذلك من خلال الوقوف على الوجوه النظرية والتطبيقية والإبداعية الموجودة في كتاباتهم.

أولاً: الخطاب الحجاجي اللساني عند (أبي بكر العزاوي): نحاول أن نراقب القضايا النظرية

والتطبيقية والإبداعية التي يطرحها الباحث (أبو بكر العزاوي) في مشروعه الحجاجي.

1. أبو بكر العزاوي وخياره النظري المنهجي: (دراسة نسقه الحجاجي): إن القارئ المتأمل

لمشروع الباحث يجده مشروعاً يحاول فيه صاحبه أن يساير النسق الحجاجي اللساني

لصاحبه الفرنسي (أوزوالد دكرو)، فالحجاجيات اللسانية هي الزاوية التي ارتكن إليها الباحث

ومثلت بالفعل خياره النظري والمنهجي والذي سيكون له أبعاداً تطبيقية اختبارية على العربية.

والتي هي في الآن ذاته خيار تطبيقي. ونحاول فيما يلي أن نثبت أدلة تلك الخيارات النظرية

والتطبيقية، وفي الآن ذاته نراقب حجم مسابرة للنظرية وتموقعه فيها ومدى تطويرها.¹

¹ - من حيث سياق الباحث، أو من حيث سيرته العلمية، حدّد (العزاوي) ارتباطه بقضايا الحجاج يقول، "ترجع علاقتي

بالحجاج إلى سنة (1984)، حيث سجلت أطروحتي الأولى لنيل شهادة الدكتوراه الفرنسية حول موضوع الروابط الحجاجية

بإشراف الأستاذ أوزوالد دكرو (O.Ducrot)، أي بعد صدور المؤلف الهامّ (الحجاج في اللغة) الذي ألفه (دكرو) بمعية

طالبه ورفيقه (جان كلود أنسكومير) بسنة واحدة، ذلك أنّ الكتاب قد صدر سنة (1983)، عن دار النشر البلجيكية

مارداكا (P.Mardaga) وأقصد هنا العلاقة الرسمية والافاهتمامي بالجدل والحجاج والمنطق والمناظرة اهتمام قديم... وقد

ناقشت أطروحتي الأولى والتي كانت مخصصة لدراسة الروابط التداولية الحجاجية في اللغة العربية سنة (1989، 1990).

وشرعت بعد ذلك في إنجاز بحث آخر لنيل شهادة دكتوراه الدولة بعنوان، (الحجاج في اللغة العربية- دراسة في المنطق

اللغوي-)". أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، ص 100، 99.

وقد صرّح (العزاوي) بصريح العبارة عن خياره النظري المنهجي، وذلك بتبني نظرية محدّدة هي نظرية (أوزوالد دكرو) وهي النّظرية التي ظلّ متبنيًا إيّاها في سائر كتبه ولم يحدد عنها¹، فنجده في كتابه الحجاج في اللّغة يصرّح قائلاً: "نهدف في هذا البحث إلى دراسة ووصف بعض الجوانب الحجاجية للّغة العربية، وقد تبنينا نظرية الحجاج في اللّغة (L'argumentation dans la langue)، التي وضع أسسها اللّغوي الفرنسي (أوزوالد دكرو) (O.Ducrot)، إطاراً نظرياً ومنهجياً لهذا البحث"². ويضيف (العزاوي) موضّحاً ارتباطه سياقياً بالنّظرية فيقول: "اختيار النّظرية يرجع بالدرجة الأولى إلى الاشتغال مع الأستاذ (أوزوالد دكرو)، وإلى إشرافه على أطروحتي للدكتوراه بفرنسا، فهذا الأستاذ يشتغل على هذا الموضوع منذ مدّة طويلة جدّاً، وأول ما نشر بهذا الصدد يرجع إلى سنة (1973)."³ إنّ هذا الأمر عمّق ارتباط العزاوي بالنظرية، لذا؛ نجده يؤكّد اقتناعه بتاريخ النّظرية وبنورها التي كان مرتبطاً بها ليجدّها حلاًّ وتطويراً لتلك البذور التي كان يقرأها، فساعد هذا على اندماجه، وكأنّ هذه النظرية هي الحل الذي كان يتوقّعه، يؤكّد العزاوي اقتناعه فيقول: "هو اقتناع كانت بذرته الأولى اطلاعي على ما أنجز في إطار فلسفة اللّغة العادية والفلسفة التحليلية والتّحليل المنطقي للّغات الطبيعية، وأقصد هنا أعمال (فريج وراسل وستراوسن وفيتغانشتين وأوستين وسورل وكواين ودكرو وغيرهم)، وقد كان هذا في بداية الثمانينات"⁴. وقد دعم هذا بالسفر إلى فرنسا في الحين ذاته، وتموقع في النّظرية الحجاجية اللسانية لدكرو، وذلك عن طريق إشكالها الكبير وبرنامجها القاعدي المتمثّل في المنطق الطبيعي للّغات، يقول: "ثم سافرت إلى فرنسا لمتابعة الدّراسة في سنة (1983). وحصلت على عدد كبير من الكتب والبحوث المصنّفة في هذا الموضوع، وحضرت دروساً

¹ - ينظر: كتب العزاوي، الحجاج في اللّغة، وحوار حول الحجاج. الحجاج والخطاب.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، ص 08.

³ - أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، ص 100.

⁴ - المرجع نفسه، ص 101، 100.

ومحاضرات بهذا الخصوص. وكان الإشكال المطروح هو: هل اللغات الطبيعية تستجيب للتحليل المنطقي الصوري أو الرياضي؟ أم أنّ اللغات الطبيعية لها منطقتها الخاص؟ وما هو المنطق الطبيعي؟ وهل هناك منطق طبيعي واحد؟ وما هو منطق اللغة؟ وما الذي قدّم من اقتراحات وافتراضات في هذا الصدد؟¹.

لقد وجد (العزاوي) ضالته في هاته النظرية التي منطقتها هو المنطق الطبيعي للغات، فهاته النظرية أثمرت أجهزة واصفة للغة انطلاقاً من المنطق الطبيعي ذاته. وقد تجاوب (العزاوي) مع هاته القيمة المضافة في التحليل اللغوي يقول: "نظرية الحجاج في اللغة نظرية دلالية حديثة تقدّم تصوّراً جديداً للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وتقدّم أيضاً أفكاراً ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر اللغوية... وتمكّنت هذه النظرية من التغلب على كثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض المقاربات الوصفية والماصدقية للمعنى وخاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق (La vérité)... وتتدرج ضمن تيار حديث في الأدبيات اللسانية، لا يعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة، بل إنّه على العكس من ذلك، يسند إليها دوراً ثانوياً"². يظهر من خلال هذا النص، أنّ (العزاوي) قدّم كمية من الحجج التي تدلّ على ارتباطه بهاته النظرية، ويبدو أنّ هاته الحجج ذات بعد نظري منهجي افتقده تاريخ التحليل اللساني لفترات طويلة ممّا دعا (العزاوي) إلى إقامة المعاملة معه. لا سيّما وأنّه باحث في الدراسات اللغوية العربية، والتي زادت طموحاً لافتقارها لتلك القيم المنهجية، يقول (العزاوي) في أمر العربية: "أمّا فيما يتعلّق باختيار الحجاج في اللغة العربية موضوعاً لهذا البحث، فإنّ ذلك يرجع إلى خلوّ الساحة العربية من مثل هذه المواضيع، في الوقت الذي حظي فيه موضوع الحجاج ومنطق اللغة والمنطق الطبيعي باهتمام كبير من قبل الأوساط العلمية الأوروبية، فألفت فيه عشرات الكتب

¹ - أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، ص 101.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ط 1. المغرب: 2007، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، ص 08، 09.

والدراسات، وخصّصت له ندوات ورسائل جامعية عديدة.¹ والمتابع لمدونة (العزاوي) يجده يصب في مرميين رئيسيين هما²:

❖ تأكيد فرضية الطبيعة الحجاجية للغة الطبيعية دعما لدكرو؛

❖ إبراز بعض الجوانب الحجاجية للغة العربية في مستويات عديدة (أهمها الصورة

الإشهارية والمستوى البصري) دعما للعربية كلغة طبيعية.

إذن؛ فمشروع (العزاوي) يناضل من أجل جبهتين، جبهة تأكيد حجاجية اللغات الطبيعية وجبهة سدّ الشرخ الحجاجي العربي الحديث.

وكأى مشروع؛ يقيم معاملة التلقي، فإنّ هذا التلقي دعا الباحث إلى تعريف القارئ العربي بالنظرية الحجاجية اللسانية في زاويتها المحددة، فجهده هو جهد تمهيدي تعريفي، ومن بين جهوده التعريفية أنّه قدّم كثيرا من المفاهيم والمصطلحات الحجاجية اللسانية مموقعا إياها في الدلالات الحجاجية داعما ذلك بالمقارنة بين البنية الإخبارية للغة والبنية الحجاجية، وهي البنية التي عثرنا عليها في كتابه الحجاج في اللغة ممّا أعطى لكتابه التعريفية بعدا راقيا إبداعيا ارتقى بها إلى مستوى الكفاية النظرية والتي استقبلها التطبيق في العربية. فحسن تقديم الكفاية النظرية يؤدي إلى حسن التطبيق وإلى تقديم الآراء والاجتهادات الشخصية. ونود تاليا أن نعثر على إثباتات لذلك في مدوّنته:

فبالنسبة لكتابه "الحجاج في اللغة" والذي نعده خطابا، يظهر من خلال عنوانه أنّ الباحث حدّد اختصاص خطابه وهو الحجاج اللغوي في ذاته ولذاته، وكأته من خلال هذا العنوان يرمي القارئ بالمبادئ المنهجية لحجاجية (دكرو) اللسانية، ليستعدّ لاستقبالها في خطابه.

¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ط1. المغرب: 2007، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، ص09.

² - ينظر كتبه التالية خصوصا في صفحاتها، الحجاج في اللغة، ص10. حوار حول الحجاج، ص97. الخطاب والحجاج، ص09. ويشكّل المرميان أساسا لكامل خطابه.

وهو إذ يفعل ذلك نراه يختار زاوية محدّدة ليتقنها نظرياً فيبدع تطبيقها عربياً. أو اختار نسقا محدّداً ليتحكّم في استقباله نظرياً وتطبيقه عربياً، وتوفير فرص الإبداع حينها بذلك التّحكم وذلك بدل استقبال أنساق حجاجية متعدّدة فتزداد مشكّلية الاستقبال، فتصبح تعاني من أمرين:

- التوفيق بين النظريات الحجاجية الغربية في ذاتها؛
- صعوبة التبيء بالنظر إلى كمية النظريات؛
- صعوبة اختراع مصطلحات وأمثلة وحلول من خلال تداخل النظريات لتنمية الكفاية النظرية والتطبيقية.

ونستطيع من هذا التّحديد أن نقول إنّ الباحث من خلال عنوانه رمى المتلقّي بمشكّلية النظرية كلّها، فرضيّاتها، ومبادئها المنهجية، وبرامجها، ومعجمها، وأهدافها،... وبالضبط نسقها ونظامها. وقد أتاح الباحث فرصة اللقاء به في متن خطابه.

إنّ هاته الأمور حقّ علمي طبيعي لا يخرج الباحث عن التزاماته فيه. وإذا أراد أن يدعم نسقه بأنساق أخرى، فليبرّر دعمه وذلك بتغيير أو تعديل فروضه.

مهمّتنا في المتن أن نبحث الكيفية التي أدّى بها (الغزوي) الأمور النظرية والتطبيقية، أو مهمّتنا بالضبط استنطاق الكيفية التأثيرية التي أقامها الغزوي لكسب القارئ. منذ قليل حلّنا العنوان ولم تسمح لنا الظروف المنهجية - لأننا على مستوى العنوان - أن نستشهد بقول للغزوي يثير ويصرّح فيه بنسقه المتبنّى المختلف كيفياً عن الأنساق الحجاجية الأخرى بمبادئه المنهجية المحدّدة ومعجمه المحدّد، وفي انتباه منّا لكيفية انبناء خطابه نجده - قبل أن يقدّم أساسيات النظرية أي مفاهيمها ومصطلحاتها التي تبينها وذلك بهدف التعريف وإن كان البعد التعريفي واضحاً في ذلك عندما قدّمها - يقدّم في بداية الفصل الأوّل نصّاً غزيراً ضخماً يقدّم فيه النظرية منهجياً وفق تعامله ونظرته اتجاهها، يقول (الغزوي) مستجمعا

النظرية في قوله: "نظرية الحجاج في اللغة نظرية تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعدّ الحجاج منتمياً إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (برلمان، أولبريخت تيتيكا، ميشال ماير...) أو منتمياً إلى المنطق الطبيعي (جون بليز غرايس). إنّ هاته النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أوزفالد دكرو (O.Ducrot) منذ سنة 1973. نظرية لسانية تهتمّ بالوسائل اللغوية وإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما. تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثمّ إنّها تتطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: "أنا نتكلم عامّة بقصد التأثير". هذه النظرية تريد أن تبين أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها، ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج (argumentation) ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة (Démonstration) أو الاستدلال المنطقي. فالخطاب الطبيعي ليس خطاباً برهانياً بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح (valide) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية¹. يظهر في هذا القول التعامل المنهجي واضحاً وذلك من خلال النقاط التالية:

- فصل نظرية الحجاج اللغوي عن النظريات الحجاجية الأخرى؛ وذلك بسبب أنّ

الحجاج موجود في بنية اللغة ذاتها، وبذلك فوظيفة اللغة هي الحجاج.

-تتطلق هاته النظرية من إشكال التأثير، وهو عود تاريخي إلى نظرية أفعال اللغة التي

انطلقت منها نظرية الحجاج اللغوي، إذ انطلقت من فعل التأثير.

¹ - أبو بكر العزاوي الحجاج في اللغة، ص 14، 15.

-تضع النظرية تحليلها في المنطق الطبيعي للغات، أي منطق الخطاب، المنطق اللأصوري الذي يختلف عن أدلة المنطق الصوري.

وتحدث (العزاوي) مبسطاً مصطلحات أو معجم النظرية الذي يبين رؤيتها للظاهرة الحجاجية مموقعا تلك المصطلحات في تلك المبادئ المنهجية التي تحدثنا عنها منذ قليل، موضحاً ومبسطاً ومعرّفاً القارئ إياها بدقة من خلال تلك الموقعة مستأنسا بتقديم أمثلة عن ذلك كلما دعت الحاجة. وبعد أن قدّم (العزاوي) معجمها، وذلك قصد التعريف دعا القارئ إلى دعم تلك الأمور بالإنصات إلى التحليل الابستمولوجي وذلك عندما قال بوظيفة اللغة في نسق نظرية الحجاج ووظيفتها في نسقها التقليدي الإخباري، منطلقاً من نظرية أفعال اللغة وفعل التأثير بالضبط، وقبل هاته المقارنة - التي قدّمها في وسط خطابه - دعا القارئ إلى تأمل تلك الإجراءات النظرية مطبقة على شؤون لغة طبيعية هي اللغة العربية، فحاول أن يدرس بعض الروابط الحجاجية. ورأى أنّ تعالق الروابط هو القسم الذي أبداع فيه وكذا مناولته للاستعارة¹. يقول متحدّثاً عن إبداعه: "توسيع مجال النظرية وتطويرها باقتراح مفاهيم جديدة من قبيل الانسجام الحجاجي، وتعالق الروابط، والاستراتيجية الخطابية وغيرها من جهة، وتوسيع مجال تطبيقها ليشمل ظواهر لغوية جديدة (الاستعارة مثلاً)، وليسهل تطبيقه على نصوص عديدة ومتنوعة من جهة أخرى"². يهمنّا الآن أن نقدّم أمثلة عن تحليله لنعرّز الكلام الذي قلناه منذ قليل:

بالنسبة للأمور التعريفية النظرية في خطابه نجدها أموراً غاية في الدقة، تتفق مع كتابات (دكرو) ذاتها، ومع كثير من الكتابات العربية الناقلة لنظرية (دكرو): مثل كتابات: (عبد الله

¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 100.

² - المرجع نفسه، ص 138.

صولة، شكري المبخوت، عزالدين الناجح، رشيد الراضي ...) أو الكتابات الأوروبية مثل: كتابات (جاك موشر وأن روبول...).

وتكمن مظاهر الاتفاق في مبادئ النظرية المنهجية ومصطلحاتها، فعندما تقرأ تعريفاً نظرياً للعزاوي وكأنك تقرأ الأمر نفسه في الكتابات التي أشرنا إليها. أي تقرأ تلك الأساسيات التي تعلن النظرية، ومن بين تلك الأساسيات المبادئ المنهجية الضخمين اللذين يتموقع فيهما الجهاز الواسف للنظرية، وهما:

- الحجاج بنية في اللغة ذاتها ووظيفة اللغة هي الوظيفة الحجاجية. والأثر الابيستمولوجي التاريخي الذي انعطف بالنظرية دلاليًا من إخبار إلى إنجاز إلى تأثير عام إلى تأثير حجاجي خاص؛

- ومنطق اللغات هو المنطق الطبيعي.

ومن بين المصطلحات الأساسية في الجهاز الواسف للنظرية: مصطلح الحجاج، والسلم الحجاجي، والزوابط والعوامل الحجاجية، والمبادئ الحجاجية، وهي مصطلحات قدّمها الباحث خادمة لبعضها البعض كما أسلفنا من خلال المبادئ المنهجية والأثر الابيستمولوجي للنظرية.

بالنسبة للحجاج يقول (العزاوي) فيه مميّز إياه عن البرهنة: "ومن هنا وجب التميّز بين الاستدلال (Raisonnement) والحجاج (Argumentation) لأنّهما ينتميان إلى نظامين جدّ مختلفين، نظام ما نسميه عادة بـ "المنطق". ونظام الخطاب. إنّ استدلالاً ما (القياس الحلمي أو الشرطي مثلاً) لا يشكّل خطاباً بالمعنى القوي الذي يعطيه (دكرو) لهذا المصطلح. فالأقوال التي يتكوّن منها استدلال ما مستقلة بعضها عن بعض بحيث إنّ كلّ قول منها يعبر عن قضية ما، أي يصف حالة ما، أو وضعاً من أوضاع العالم، باعتباره

وضعا واقعيًا أو متخيلاً. ولهذا فإنّ تسلسل الأقوال في الاستدلال، ليس مؤسسًا على الأقوال نفسها، ولكنّه مؤسس على القضايا المتضمّنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم، أمّا الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب¹. في هذا التعريف نلاحظ البعد المنهجي ذا الأثر الابيستمولوجي، ذلك أنّ التعريف مصحّح عن البنية المنطقية الصورية التقليدية، موضحًا في بنية الخطاب أو منطق الخطاب. ولا بأس أن نستمر موضحين بالمثال الذي اقترحه العزاوي لذلك؛ يقول: "ونوضح هذا بالأمثلة التالية:

❖ أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة؛

❖ الجو جميل، لنذهب إلى النزهة؛

❖ الساعة تشير إلى الثامنة، لنسرع؛

❖ عليك أن تجتهد لتتجح.

إذا نظرنا في هذه الجمل، فسنجد أنّها تتكوّن من حجج ونتائج، والحجّة يتمّ تقديمها لتؤدّي إلى نتيجة معينة. فالتعب، مثلاً: في الجملة الأولى، يستدعي الراحة ويقنع النفس أو الغير بضرورتها. فالتعب دليل وحجة على أنّ الشّخص المعني بالأمر بحاجة إلى أن يرتاح ويستريح، ونقول الشيء نفسه عن الأمثلة الأخرى². وفي هذا الإطار يضيف العزاوي متابعاً الآثار الابيستمولوجية في ذات النظرية فيقول: "ونشير إلى أنّ مفاهيم الحجّة والنتيجة كانت، في التصور السابق الذي نجده عند (دكرو)، وخاصة في كتابه "السلميات الحجاجية" عبارة عن أقوال، أمّا في هذا التصور الذي نجده في أعماله الأخيرة، فإنّ هذه المفاهيم أعطيت لها دلالة واسعة ومجرّدة، فالحجّة حسب هذا التصور الجديد، عبارة عن عنصر دلالي يقدّمه المتكلّم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجّة قد ترد في هذا الإطار قولاً أو فقرة أو نصّاً، أو

¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، ص 17.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، ص 17.

الفصل الثالث: منهجية التحليل الأحادي في الكتابات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة أبو بكر
العزاوي ومحمد طروس ورشيد الراضي ومحمد العمري أنموذجا

قد تكون مشهدا طبيعياً أو سلوكا غير لفظي إلى غير ذلك. والحجة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما¹ وبصيغة أخرى يقدم (العزاوي) هذا التصور الجديد على شكل مثال يقول: "ويمكن أن نبين هذا على الشكل:

أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة؛

أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة؛

أنا متعب؛

أنا بحاجة إلى الراحة.

فإذا قارنا بين هذه الأقوال، فسنجد أنه تمّ التصريح بالحجة والرابط والنتيجة في المثال الأول وتمّ التصريح بالحجة والنتيجة وأضمر الرابط في المثال الثاني، أما المثال الثالث فلم يصحّ فيه إلا بالحجة، والنتيجة مضمرة يتمّ استنتاجها من السياق، ونجد عكس ذلك في المثال الرابع حيث ذكرت النتيجة وأضمرت الحجة².

هذه توضيحات حول الحجة والنتيجة والرابط وهي مرتبطة أكثر بالسلم الحجاجي، الذي هو "علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

¹ - المرجع نفسه، ص 18.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 18.



"ب" و"ج" و"د": حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذّاك إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة، ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة ل:
"ن"؛

ب- إذا كان القول "ب" يؤدّي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أنّ "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدّي إليها، والعكس غير صحيح¹.

ويتعاون من أجل الفعالية الحجاجية مع مفهوم السلم الحجاجي مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي، والتي تكون في بعض أحيانها عالقة في الروابط والعوامل الحجاجية، يقول (العزاوي): "ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي (L'orientation argumentative)، ويعني هذا المفهوم أنّه إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإنّ القيمة الحجاجية لهذا القول تمّ تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا، فإذا كان القول أو الخطاب معلم (marqué) أي

¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 21

مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإنّ هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليقات (instructions) التي تتعلّق بالطريقة التي يتمّ بها توجيه القول أو الخطاب. أمّا في حالة كون القول غير معلم، فإنّ التعليلات المحددة للاتجاه الحجاجي تستنتج إذاك من الألفاظ والمفردات بالإضافة إلى السياق التداولي والخطابي العام¹. لقد وجدنا في هذا القول الروابط والعوامل الحجاجية متعاونة مع السلم الحجاجي عن طريق التوجيه، فيكون الحال أن يستوقفنا الأمر لننبه بتعريفهما الذي لم يغفل عنه (العزاوي)، يقول: "وينبغي أن نميّز بين صنفين من المؤشّرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية (les connecteurs) والعوامل الحجاجية (les opérateurs)، فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصحّ (أو أكثر)، وتسدّد لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: (بل، لكن، حتّى، لا سيّما، إذن لأنّ، بما أنّ، إذ،...إلخ)، أمّا العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيّرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما. وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل: (ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما إلّا، وجل أدوات القصر"². ويضيف (العزاوي) مؤكّدا تعاون مكونات الجهاز الواسف فمكوّناته موجود بعضها من أجل بعض يقول: "وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لابدّ من ضامن يضمن الرّبط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية (les topoi) وهي تقابل مسلّمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي هذه المبادئ هي قواعد عامّة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا... فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلّمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية

¹ - المرجع نفسه، ص 27

² - أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، ص 32، 33.

معينة، والكلّ يسلم بصدقها وصحتها"¹. هذا التعاون بين عناصر الجهاز الواسف يعبر فعلا عن بنويّة النظرية الحجاجية اللسانية، فهي بنويّة منهجيا بمضامين تداولية، وبنويتها تظهر عندما أدمج (دكرو) التّداول في الدّلالة.

ويستمر (العزاوي) في إطاره التعريفي التّطريي عارضا النظرية، ليضعها هاته المرّة بعدما عرضها تقنيا في حضنها التاريخي اللساني دعما لعرضه التقني وتعزيزا لوصفه النظري.

انطلق (العزاوي) عارضا هيمنة الوظيفة الإخبارية للغة من (سوسير)²، ورأى أنّ الأمر استقرّ على حاله إلى هدم الأمر من قبل فلاسفة اللغة العادية، يقول: "ولكن وجهة النظر هذه تعرّضت لانتقادات كثيرة من قبل عدد كبير من اللغويين والفلاسفة، وفلاسفة اللغة العادية على وجه الخصوص، ويتعلّق الأمر هنا بمدرسة أوكسفورد، وبفلاسفة من أمثال (ستراوسن وأوستين وسورل) وغيرهم. فقد لاحظ هؤلاء أنّ طائفة كبيرة جدّا من الأقوال لا تتملّ وظيفتها في الإخبار، ولا تصف أي واقع، ولا تخضع لمعيار الصدق والكذب، نذكر منها الأقوال الإنجازية... فهذه العبارات التي تبدو لنا وصفيّة في الظاهر هي لا وصفيّة، وهذا ما جعل (أوستين) يستعمل مصطلح الخداع الوصفي... فهؤلاء اللغويون والفلاسفة يرفضون أن تكون الوظيفة الأساسية للأقوال في اللغات الطبيعية هي الإخبار، أي نقل معلومات عن الواقع الخارجي، إذ أصبحت العبارات ما إن ينطق بها حتّى تنجز فعلا معينا مثل: الأمر، الوعد، التهنة..."³.

ويذهب (دكرو Ducrot) إلى أنّ كل نشاط يقوم به شخص معين يمكن اعتباره فعلا أو عملا إذا كنا نحدده انطلاقا من التغيرات التي يحدثها أو يريد إحداثها في العالم، بما ذلك

¹ - المرجع نفسه، ص 113.

² - المرجع نفسه، 114، 115.

³ - أبو بكرالعزاوي، الحجاج في اللغة، ص 116.

التغيرات المتعلقة بالوضع الفيزيائي أو الاجتماعي للمتكلم، فنفس العمليات والحركات يمكن أن توصف بأنها نشاط خالص، أو أن توصف بأنها فعل وعمل بحسب ما إذا كنا ننظر إليها في ذاتها، أو ننظر إليها باعتبارها تغيير لعلاقة من يقوم بها مع العالم¹. ويظهر من خلال هذا أن (دكرو) ارتبط بالفعل التأثيري تحديداً في أفعال اللغة والتي هي قاعدته في التأسيس لنظرية الحجاج اللغوي، فمن الفرضيات: "التي تقوم عليها نظرية الحجاج في اللغة، هو أن طائفة كبيرة من ألفاظ اللغة وكلماتها وتراكيبها ليس لها معنى وصفي واضح، أو ليس لها محتوى إخباري بين، وإذا سلمنا بهذا فإن وظيفة ستكون إذ ذاك وظيفة حجاجية بالأساس... وحتى إذا اشتمل معنى بعض الكلمات أو العبارات على مكون وصفي إخباري فإنه يكون تابعا للمكون الحجاجي، ويكون ثانوياً بالقياس إليه، فالمعنى الحجاجي هو الذي يعتمد في تسلسل الخطاب وتتاميه، وهو الذي يحكم توالي الأقوال وتتابعها، بصورة استنتاجية، داخل الخطاب. وكيف لا يكون الأمر كذلك، وعدد كبير جداً من الكلمات والمفردات قد تصل نسبته إلى 80% أو يزيد لا نعرف معناها، ولكن نعرف جيداً كيف نستعملها، وكيف نوظفها في خطاباتنا وحواراتنا من أجل التأثير في الآخر"². ارتقى (دكرو) في نظرية أفعال اللغة وثمن ذلك الارتقاء بأن اقترح نظرية الحجاج في اللغة، فنظرية أفعال اللغة كانت منطلقاً ومنبهاً له لتقديم إثباتات حول أسبقية الوظيفة الحجاجية على الوظيفة الإخبارية الإعلامية، وقد تمّ تقديم ذلك في كتابه السلام الحجاجية. وقد قدّم (العزاوي) تلك الأسبقية من المصدر نفسه وبالطريقة نفسها معرباً المثال الذي اقترحه (دكرو) بمثال عربي³. والحيز هنا ضيق لإثارة تلك الأمثلة، هاته الأمور حاول (العزاوي) أن يعرف بها

¹ - المرجع نفسه ، ص118.

² - أبو بكرالعزاوي، الحجاج في اللغة، ص132، 133.

³ - المرجع نفسه، ص 37 وما بعدها.

نظرياً من خلال هاته الطريقة التي حاولنا قراءتها، لتبقى الأمور التطبيقية والإبداعية التي حاول هو نفسه التصريح بها، وقد ارتأيت أن أتابعه في ذلك من خلال تصريحاته.

2- الوجوه الإبداعية في الخطاب الحجاجي لأبي بكر العزاوي: صرح (العزاوي) عديد المرات عن الوجوه الإبداعية في خطابه فقال: "توسيع مجال النظرية وتطويرها باقتراح مفاهيم جديدة من قبيل الانسجام الحجاجي، وتعالق الروابط الاستراتيجية الخطابية وغيرها من جهة وتوسيع مجال تطبيقها ليشمل ظواهر لغوية جديدة (الاستعارة مثلاً)، وليسهل تطبيقه على نصوص عديدة ومتنوعة من جهة أخرى"¹. كان هذا في كتابه الحجاج في اللغة، ونجد الأمر نفسه في كتابه الخطاب والحجاج، وقد صرح بأموره الإبداعية جامعاً إيّاها في كتابه حوار حول الحجاج، يقول: "عملنا على تطوير النظرية الحجاجية وتوسيع مجال تطبيقها. فلم يعد مجال النظرية محصوراً في دراسة العوامل والروابط والأدوات الحجاجية. ولا ينبغي أن يقف التحليل عند حدود الجملة أو القول. بل ينبغي أن يشمل النصوص والخطابات بمختلف أنواعها، أي؛ الخطابات الأدبية، والصحفية، والسياسية، والإشهارية، والاقتصادية، والدينية والفلسفية وغيرها. فمجال الحجاج - كما قلنا في بحث سابق - إنّما هو الحوار والخطاب حيث تظهر وجوه اشتغاله، وتتجلى طرائق وكيفيات استعماله... عملنا كذلك على تطبيق نظرية الحجاج في اللغة على ظواهر جديدة لم يدرسها لا (دكرو) ولا تلامذته. وأقصد هنا ظاهرة الاستعارة وأقصد ما أسميته بالحجاجية الأيقونية (L'argumentation iconique) والتي نجدها في مختلف أنماط الصور ونجدها بشكل خاص في الصورة الإشهارية، ويمكن أن أذكر ظواهر أخرى مثل: الانسجام النصي وتعالق الروابط في إطار منطق النص أو منطق الخطاب والبرنامج الحجاجي"².

¹ - المرجع نفسه، ص 138.

² - أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، ص 104 ، 105.

ننبه؛ بأننا سنعود فيما بعد لنناقش الوجوه الإبداعية هاته، وتأجيلنا هذا لغاية منهجية.

حاول (الغزوي) أن يقارب بعض الروابط، فدرس لکن، وبل، وحتّى، فعرضها على المنهجية الحجاجية التقنية التي تبناها، وأثناء تحليله لتلك الروابط نجده يستأنس استئناسا كبيرا بتحليل نحاة العربية القدامى لتلك الروابط¹. ليسهل عليه حينها أن يقابلها بما قدّمه (دكرو).

يحلل (الغزوي) مثلا (حتّى) حجاجيا فيقول: "ولنأخذ الأمثلة التالية: أكلت السمكة حتّى رأسها... يتعلق الأمر بحتّى الحجاجية، فإذا أخذنا المثال الأوّل، فإنّ الرابط الحجاجي يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجاجي: "أكلت السمكة" و"أكلت رأسها"، وهما تخدمان نتيجة من قبيل: "أكلت السمكة كلّها" أو "لم أبق منها شيئا"، ولكن الحجة الثانية "أكلت رأسها" التي وردت بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبله"².

ويشير (الغزوي) هذا الرابط مستئنسا في ذلك بأراء نحاة العربية مقابلا إيّاه بتحليل (دكرو) والذي يذكر بأنّه لا يجد اختلافا كبيرا بين المناولتين، يقول في هذا النصّ الغزير: "وللمعطوف بحتّى عند النحاة العرب شرطان:

1- أن يكون بعض ما قبلها؛

2- أن يكون غاية لما قبلها، في زيادة أو نقص، والزيادة تشمل القوة والتّعظيم، والنقص

يشمل الضعف والتّحقير، وقد اجتمعت الزيادة والنقص في قول الشاعر:

قهرناكم حتّى الكماة فأنتم تهابوننا، حتّى بنينا الأصاغرا

وهذا يوافق الوصف الحجاجي الذي قدمه (دكرو وأنسكومبر) للأداة المقابلة لـ "حتّى" الحجاجية في اللغة الفرنسية، أي الأداة «mème»، فالحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط

¹ - الزمخشري، الكشاف، المرادي، الجني الداني.

² - أبو بكر الغزوي، الحجاج في اللغة، ص 71.

ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، (classe argumentative)، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، ثم إنَّ الحجّة التي ترد بعد "حتّى" هي الأقوى، وهو ما يقصده النحاة بقولهم: "أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها..."¹

وبالنسبة للاستعارة فهي مكوّن لغوي يراه (العزاوي) إبداعا في تحليله، وقد دعا في ذلك (شاييم بيرلمان) على سبيل المساعدة يقول: "يهدف هذا العرض إلى تناول الاستعارة من منظور نظرية الحجاج في اللغة، وقد انطلق من قراءة مقال ميشال لوغرن "الاستعارة والحجاج"². وقد اعتمد فيه صاحبه أعمال (برلمان) إطارا نظريًا منهجيًا. والاستعارة تعدّ خاصية من أهمّ الخصائص الجوهرية للغات الطبيعية، مثلها في ذلك مثل الالتباس والقياس والشرح إلى غير ذلك، وقد زاد الاهتمام بها في الآونة الأخيرة، فألّفت فيها عشرات الكتب، وعقدت بشأنها ندوات ومؤتمرات شارك فيها باحثون ينتمون إلى مجالات معرفية مختلفة، كما أنّها حظيت باهتمام اللغويين، والأدباء، والمناطقية، والإعلاميين، وفلاسفة اللغة، وعلماء النفس وغيرهم. ولم تعد تعتبر شكلا بلاغيا وأسلوبيا، أو نوعا من أنواع الزخرف اللفظي والبياني ينتمي إلى الأدب بوجه عام، والبلاغة بشكل خاص"³.

وقد موقع (العزاوي) الاستعارة في حجج السلم الحجاجي أي في ترتيبية الحجج؛ وجعلها من الحجج القريبة من النتيجة، ورأى (العزاوي) أنّ الأقوال الاستعارية لها مقبولية عليا في كسب مكانها المتميز في السلم الحجاجي، فهي تقوت الأقوال العادية من حيث قوتها الحجاجية يقول (العزاوي): "فإذا أخذنا المثال التالي:

إنَّ عبد الله بحر.

¹ - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 74.

² - المرجع نفسه، ص 100.

³ - المرجع نفسه، ص 100.

فإنّ هذا القول الاستعاري هو الذي سيقع بالطبع في مرتبة عليا من مراتب السلم الحجاجي ويمكن أن نتخيّل أقوالا أخرى يستلزمها القول السابق، وترد في مراتب سفلى من هذا السلم مثل: "إنّه كريم، إنّه مضياف"... إلخ، أمّا النتيجة التي يقصد إليها المتكلّم، فيمكن أن تكون من نمط "ما أكرمه" أو "اقصده ليحسن إليك" أو "اطلب منه مساعدتك" إلى غير ذلك من النتائج الممكنة¹. ويرى (العزاوي) أنّ الاستعارة وسيلة لغويّة يستغلها المتكلّم للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة، فالاستعارة تقوم بدور مماثل لبعض الروابط الحجاجيّة مثل حتّى،...². هكذا أدمج (العزاوي) الاستعارة في نظريّة الحجاج في اللّغة أي عن طريق السلم الحجاجي.

وفي كتاب الخطاب والحجاج، حاول الباحث فيه أن يربط الحجاج بالخطاب فعرض الالتقاء: "وبالنسبة إلينا نحن، فما قلناه سابقا عن اللّغات البشريّة وطبيعتها الحجاجيّة، نقوله كذلك عن الخطاب، فهذا الأخير عبارة عن متواليّة من الأقوال والجمل، أو بتعبير حجاجي مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق، فالحجّة تستدعي الحجّة المؤيّدّة أو المضادة، والدليل يفضي إلى النتيجة، والنتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه وبوجه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى، فإنّ الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقيّة ودلاليّة مثل علاقات الشّرط، والسببيّة، والاستلزام، والاستنتاج والتعارض (وبتعبيرنا نحن علائق حجاجيّة استدلالية)، ومجموع هذه العلائق هو ما يكون البنية المنطقيّة للنص أو الخطاب المقصود، وهو ما نسميه عادة بمنطق الخطاب أو المنطق الطبيعي³. وقد وسّع (العزاوي) مادّة الخطاب الذي يستهدفه الحجاج قدر الإمكان يقول: "هذا البحث الذي يروم بيان أهميّة دراسة الجوانب الحجاجيّة في تحليل مختلف أنماط النصوص والخطابات، وفي كثير من النصوص، وخاصة النصوص الإشهارية، والدينيّة، والسياسيّة

¹ - أبو العزاوي، الحجاج في اللّغة، ص 104.

² - المرجع نفسه، ص 103 وما بعدها.

³ - أبو بكر العزاوي، الحجاج والخطاب، ص 16، 17.

والصحفية، تكوّن الوظيفة الحجاجية هي الوظيفة الأساسية والمركزية، أي الوظيفة التي تحكم الوظائف الأخرى وتوجهها، وقد لا يسند إلى هذه الوظيفة الدور المركزي في كثير من النصوص الأدبية والفنية، ومع ذلك فإنّها تكون حاضرة وموجودة، بل إنّ بعض النصوص الأدبية يبرز فيها الحجاج بشكل بارز. أمّا النصوص التي لا يمكن الحديث بشأنها عن الحجاج فهي قليلة ونادرة جداً، وغالبا ما تكون من قبيل التمارين التي يقصد من ورائها إبراز المهارات اللغوية والفنية المكتسبة¹. فالحال والقول هذا أنه، يتراءى لنا أنّ (العزاوي) حمل جميع الخطابات على أنّها ذات بعد حجاجي، ولأجل هذا الأمر نجده في كتابه الحجاج والخطاب. قد حلّل سورة الأعلى من القرآن الكريم، وحلّل قصيدة العلة لأحمد مطر، وحلّل طائفة من الأمثال الشعبية المغربية، وحلّل الصورة الإشهارية أو الأيقونية. وقد نظر في حجاجية نصوصه وتحليله الشخصي لها فقال: "وقدّمنا... كثيرا من الاجتهادات المفيدة وكثيرا من المقترحات والآراء الشخصية الجديدة، التي تتعلّق بالانسجام الحجاجي... وحجاجية الخطاب الشعري، والحجاجية الأيقونية (argumentation iconique)، وبيننا أنّ الكثير من النصوص تشتمل على برنامج حجاجي كامل، وأنّ الأمثال الفصيحة والعامية في مجملها مبادئ حجاجية (topoi) بالأساس، وأنّ الخطابات البصرية والصور الإشهارية التي لا تتضمّن أيّ مكوّن لغوي حجاجي، وهي تشتمل على ما دعواناه بالحجاج الأيقوني. فحيث يكون التّواصل يكون الحجاج، والعكس صحيح. ونحن هنا نؤكّد هذا المبدأ العام الذي أوردناه في بحوثنا السابقة: "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل"، فيكون الحجاج مرتبطا بكافة أشكال التواصل، اللغوي وغير اللغوي"²

ونضيف من أجل حجاجية تلك الخطابات التي اختارها بأن نجد (العزاوي) يقدّم إثباتات لذلك حول فرص تلك الخطابات الحجاجية أو مناسبتها للحجاج. فبالنسبة للقرآن قال: "القرآن

¹ - المرجع نفسه، ص 18.

² - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 10.

الكريم خطاب إلهي كتب بلغة طبيعية هي اللغة العربية، وهو موجه إلى كافة البشر، فهو إذن خطاب طبيعي، يحكمه المنطق الذي يحكم الخطابات الطبيعية، وبعبارة أخرى فهو خطاب يقوم على الحجاج، والمنطق الطبيعي، والاستدلال غير البرهاني¹. وبالنسبة للشاعر يقول: "... الشاعر لا يهدف إلى إخبار المتلقي، ولا يقصد إلى تقديم المعلومات والأخبار إليه، فليست وظيفة هذا النص إعلامية إخبارية، وإنما هي وظيفة حجاجية بالأساس. فالشاعر يقصد إلى التأثير في المتلقي ودفعه إلى اتخاذ موقف ما من القضية التي تشكل موضوع القصيدة ومحورها العام، وعندما نستعمل لفظة التأثير أو الإقناع هنا، فإنه لا ينبغي أن نفهم من هذا ذلك المعنى الذي نجده في الدراسات والمقاربات الحجاجية الكلاسيكية (أعمال أرسطو، برلمان..) وإنما ينبغي وضعه في الإطار النظري المحدد الذي انطلقنا منه في تحليلنا لهذه القصيدة، وهو نظرية "الحجاج في اللغة"². وعن المناسبة الحجاجية للأمثال يقول: "إذا كانت المبادئ الحجاجية تتمثل في مجموعة من الأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة، وكانت تتصف بالعمومية، والتدرجية، والنسبية فإننا نعتقد أن أغلب الأمثال يبدو متماثلاً مع هذه المبادئ، فهما يشتركان في خاصية العمومية والخصائص الأخرى، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الأمثال تتضمن خبرات الشعوب وحكمها وخلاصة تجاربها الحياتية، ولذا نجد أن مضامينها ومحتوياتها تتمثل في مجموعة من الحقائق العامة والمعاني الكلية"³. ولأهمية الصورة الإشهارية الحجاجية قال العزاوي: "الصورة لها جوانب جمالية وتربوية ولغوية ونفسية ومنطقية وهندسية واجتماعية وايدولوجية وفلسفية وحضارية، وقد ازداد الاهتمام مؤخراً بموضوع الصورة وأنماطها لأهميتها وخطورتها وتأثيرها العميق في لا وعي الإنسان ولا شعوره ولقوائدها الجمة فألفت فيها عشرات الكتب

¹ - المرجع نفسه ، ص 27.

² - المرجع نفسه ، ص 60.

³ - أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 81.

والأبحاث، وعقدت بشأنها ندوات ومناظرات ولقاءات علمية شارك فيها باحثون ينتمون إلى حقول معرفية مختلفة¹.

ويرى (العزاوي) أنه أكمل الحجاجية اللغوية بإضافة المكوّن الأيقوني يقول: "ولكن إذا كنا في المستوى اللغوي نتحدّث عن الحجج والنتائج باعتبارها عناصر دلالية، فالحجج قد تكون كلمات أو جملا أو فقرات بأكملها، ولكن الذي يقدّم باعتباره حجّة هو عنصر دلالي ما، ولا نهمنا تحقيقاته وتمظهراته الشكلية والمادية التي تختلف من سياق لآخر ومن حالة لأخرى فإننا هنا في مستوى أعمّ نتعامل مع أشكال عديدة من التواصل (الكلامي، الأيقوني السلوكي...) نحتاج إلى توسيع التعريف الذي قدمناه لمفهوم الحجّة، وبالتالي لمفهوم الحجاج حتى يشمل مختلف أنماط العملية التواصلية. فالتواصل قد يكون لغوي أو غير لغوي والحجاج يكون هو الآخر بوسائل لغوية وأخرى غير لغوية"².

وفي كل هاته المدونة حاول (العزاوي) أن يقدّم أبعادا حجاجية انطلاقا من هاته المسافات الموجودة بين الخطاب والحجاج، تارة عن طريق الروابط وتعالقها وتارة عن طريق الاستعارة... انطلاقا من حضنها الذي هو المدرسة الحجاجية اللسانية.

ثانيا - الخطاب الحجاجي اللساني عند (محمد طروس):

1. المقاربة المنطقية واللسانية والبلاغية:

إنّ المتأمل للتحليل الحجاجي كما هو جاهز في الدراسات الغربية الحديثة حسب (محمد طروس) وذلك في كتابه (النظرية الحجاجية - من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية-) يجده تحليلا متعدّد التوجّهات، إذ هو تحليل يصعب القبض عليه، ذلك أنّ الظاهرة الحجاجية ظاهرة مرتبطة بعدد المجالات المعرفية، كالمنطق، والبلاغة، والقانون

¹ - المرجع نفسه ، ص 100.

² - المرجع نفسه ، ص 105.

والفلسفة... مما دعا الباحث إلى تحديد موقف إزاء هذا كله نظراً للاختلافات والتوافقات. بانياً موقفه ذلك كله على الخطاب، يقول: "حين نقارب مفهوم الحجاج لأول وهلة، يتضح أنه مفهوم عائم، يصعب حصره و تحديده داخل ركام هائل من الكتابات، و المرجعيّات النظريّة إذ نجده متواتراً في الأدبيّات الفلسفيّة، والمنطقيّة، والبلاغيّة التقليديّة، وفي الدّراسات القانونيّة والمقاربات اللسانيّة، والنفسانيّة والخطابيّة المعاصرة، ولا ينحصر المشكل في تشعب الخريطة وتتوّعها فحسب بل في تعدّد الدّلالات والاستعمالات التي تتباين تباين كلّ هذه الأطراف النظريّة والمجالات المعرفيّة، ممّا يستدعي إعادة تنظيم الخريطة، ورصد التّدخلات والاختلافات، ويجعلنا بالضرورة نلجأ إلى آليّة للاقتضاء والانتقاء، تبقي على المقاربات التي تركز على الحجاج كوظيفة خطابيّة، وتبعد الكتابات والدراسات التي لا تحفل بالخطاب ولا بوظائفه. أي أننا سنركز في بنائنا لمفهوم الحجاج، فقط على المجالات التي تهتمّ بالخطاب في تشكلاته وتحققاته وكيفيات اشتغاله."¹

ومن أجل الخطاب طاف (محمد طروس) على أكثر من خمسة عشر نموذجاً حجاجياً محاولاً تصنيف تلك النّماذج إلى مقاربات بلاغيّة، و منطقيّة، و لسانيّة. وقد تمثلت المقاربات البلاغيّة تقليديها وحديثها في مقاربة (أرسطو وبييرلمان)، يقول (طروس): "ندرج داخل المقاربات البلاغيّة، كل الأعمال التي تناولت الحجاج من زاوية بلاغيّة، واعتبرته تقنيّات وآليّات خطابيّة موجّهة إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه، مميّزين في هذه المقاربات بين البلاغة التقليديّة، التي انطلقت مع (أرسطو) واستمرت بعده شارحة، أو مفسّرة، أو موسعة، أو مطبّقة، متخذة في الغالب طابعا تعليمياً، وبين البلاغة الحديثة، أو لنقل البلاغة المراجعة كما تمثلت في نموذج (بييرلمان) خاصة"¹، أمّا بالنّسبة للمقاربات المنطقيّة فقد تناول ثلاث مقاربات، مقاربة (ستيفن تولمين) من خلال كتابه (استعمالات الحجاج)، ونموذج (جون بليز

¹ - محمد طروس، النظرية الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة، ص 6.

¹ - محمد طروس، النظرية الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللّسانيّة، ص 14.

غرايس) من خلال كتابه (من المنطق إلى الحجاج) ونموذج (جورج فينو) من خلال مؤلفه (الحجاج محاولة في منطق الخطاب). أمّا في المقاربات اللسانية؛ فقد تحدث عن نخبة من علماء الحجاج في الغرب مثل: (أوزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر وجاك موشر وفان إيمرين وسكوت جاكوبس وسالي جاكسون وأولكا كونزت وأنطوني بليز وسوزان كلاين وفان دايك وزامينر بادوفا). والملاحظ ككلّ سيجد كمية كبيرة من الدراسات الغربية طاف عليها (محمد طروس طوفة ماراطونية) من خلال تصنيفها بلاغياً، ومنطقيّاً، ولسانيّاً، وإعادة تركيبها كيفياً بطريقة نقدية؛ وذلك كله بالنسبة للخطاب، مراعيًا في ذلك التمهلات الابستمولوجية.

وقد قدّم (طروس) ملاحظة يوضّح بها اختياراته لهاته المدوّنة الغربية فقال: "لما كان الهدف من هذه المقاربة، هو بناء وصياغة نموذج نظري إجرائي من الكتابات المتراكمة حول الحجاج، متموضعة داخل نظرية تحليل الخطاب، ومركزة على الفعل الخطابي في بعده البنيوي والوظيفي، فإننا سنقتصر على الكتابات والأعمال التي تسير في هذا الاتجاه أو تقرب منه، و نقصي كل التعريفات والكتابات التبسيطية أو التطبيقية أو التعليمية، أو التي تنحو منحى سوسيولوجياً أو سيكولوجياً أو اقتصادياً، لا لأنها دون أهمية، وإنّما لكونها لا تسير في وجهة النظرية الخطابية، ولا تحفل بالكيفية التي يتبنين بها الخطاب الحجاجي أو يشتغل. بهذا الاختيار تضيق دائرة البحث وتتحصر في الكتابات التي تتبعت الحجاج في تحققاته اللغوية وتشكلاته النصية، وإنّ اختلفت تحليلاتها ومنطقاتها. وهذه الدائرة تتشكّل بدورها من ثلاثة حقول معرفية: البلاغة، المنطق، اللسانيات"¹.

فبالنسبة للبلاغة نعثر على (طروس) قد تحدث على كثير من أساسياتها في صيغتها التقليدية عند (أرسطو) مثل: أنواع الخطاب (الاستشاري، القضائي، القيمي)، وتحدث عن

¹ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 13.

بنية الخطاب من خلال طرق إعداده وتنظيمه وبيانه... وكذا عن علاقة الحجاج بالطرق التقنية المنطقية كالقياس والاستقراء²، هذه أساسيات قدم (طروس) إزاءها ملاحظات نقدية يقول: "من كل ما تقدم يبدو أن النموذج الحجاجي البلاغي التقليدي نموذج مثالي معياري؛ يسعى بالأساس إلى محاربة الألاعيب الخطابية، ودحض المغالطات السفطائية. من هنا انحصر همّ البلاغة التقليدية في وضع معايير للخطابات و مقاماتها وطرقها الاستدلالية والتميّز بين المقبول من الحجج، وبين ما يصدر عن نوايا الاستغلال والتسخير، بمعنى أنّها كانت تؤسّس لشكل خطابي معياري، وترسم الخطوط الواجب على الخطيب اتباعها، بعيداً عن أيّ وصف أو تفسير للممارسة الخطابية الفعلية. إنّها تقعد لما ينبغي أن يكون، وتتجاهل الكائن والمحتمل، بصورة يصبح معها الخطاب جاهزاً ومتعالياً، ويصبح الحجاج ركاباً من الحجج والطرق الاستدلالية، قد لا تفيد في الشرح التعليمي لنصوص وأمثلة مصنوعة لإيضاح الغايات التصنيفية، وهذا لا يمكنها من وصف التفاعلات الخطابية وتفسير آلياتها وطرق اشتغالها"¹. وهذا النقد جرّه إلى المتابعة الاستمولوجية، إذ يرى أنّ هاته البلاغة مدينة من حيث الإكمال والتصحيح إلى أعمال (بيرلمان) يقول: "تكاد البلاغة تكون مدينة لأعمال (بيرلمان) في إحيائها وتحديثها وبعثها من جديد، وإخراجها من مآهات التصنيف والتبسيط؛ إذ ارتبطت جلّ أعماله بالبلاغة، شرحاً وتطبيقاً، أو تحييناً ومراجعة و توسيعاً؛ وحاول أن يجعل من النظرية البلاغية أداة لتفسير وتحليل غيرها من الظواهر الفكرية، الفلسفية والقانونية بالخصوص. من هنا تولدت حاجاته إلى بناء تصوّر نظري للحجاج، والدفاع عن أهميته وجدواه على ضوء المفاهيم البلاغية والفلسفية والقانونية"². ويلخص (طروس) أوجه المجاوزة البرلمانية للنموذج الأرسطي فيقول: "الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية

² - المرجع نفسه ، ص 15 وما بعدها.

¹ - المرجع نفسه ، ص 42.

² - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 43.

كوظيفة حجاجية، وتفحص شروطها وآثارها، إذ تنصبّ الممارسة على الحجج العقلية والتجريبية وعلى قضايا ترجع إلى الرأي و تواجه الجانب اللاعقلاني من رغبات ومصالح وأهواء؛ مما يوجب التمييز بين البرهنة المستقلة عن الذات، وبين الحجاج كمارسة ذاتية اجتماعية... العملية الحجاجية عملية جدلية، تنطلق مع أطروحة أو ضدها، وتتجه للإفحام أو الإقناع، لتقوية الانخراط أو تقليصه ويتحرك الحجاج داخل بنية حوارية، يتعدّد فيها المخاطب كميّاً، ويتنوّع كيفيّاً، ويختلف بين كونه واقعا خارجياً، وبين كونه بناء خطابياً ويتحقّق في بنية تواصلية أحادية، من الخطيب إلى المتلقي ... يكتسب الحجاج فعاليته من السياق الاجتماعي، ويستقي شرعيته من مالكي السلطة داخل المجتمع ... تحتم الضرورة المعرفية والمنهجية تبني النظرية الحجاجية لتطوير معرفتنا بالمجالات التي لا تسعفنا المناهج العلمية الصارمة في الإحاطة بها¹، إلا أنّ هذا الجديد الذي قدمه (بيرلمان) تعرّض له (طروس) ناقداً، إذ اعتبره تنظيمًا للممارسة الحجاجية الأرسطية فقط، فالحجاج كما يرى مازال يتّجه من المخاطب إلى المتلقي ليعدّل موقفه مستنداً على تقنيات حجاجية، و كذا المكانة الاجتماعية، والحال هذه، مازال الحجاج في عمقه مقاوماً للانحرافات الخطابية، يقول (طروس) مدقّقاً نقده: "يضعنا نموذج (بيرلمان) إذن أمّا مواجهة خطابية جدلية أحادية الوجهة، ترتبط بقضية أو أطروحة، يستند فيها الخطيب على تقنيّاته الحجاجية ومكانته الاجتماعية ليعدّل موقف المتلقي أو يعزّزه. وهو بهذه الصيغة لا يعدو أن يكون إعادة تنظيم للتصور البلاغي التقليدي. فلا تزال وظيفة الحجاج في العمق، تتمثّل في مقاومة الانحرافات الخطابية، ولا يزال يستند على نفس العلاقات التّواصلية (الخطيب- المتلقي) الهادفة إلى إحداث تعديل في الأذهان. وما التقنيّات الحجاجية الموجهة للتأثير إلاّ الحجج كما صنفتها البلاغة التقليدية. صحيح أنّ التقنيّات أصبحت تنتظم في عملية جدلية و تتّجه لتحقيق هدف محدّد، ممّا يجعلنا نتصوّر الفعل الحجاجي آلة خطابية منظمّة. لكن كيف تشتغل؟ كيف

¹ - المرجع نفسه، ص 55، 56.

تتنظم داخل هذه العملية؟ ما مدى إجرائيتها وشموليتها؟ ما مدى قدرتها على وصف وتفسير الظواهر الخطابية؟ يبدو أنّ (بيرلمان) فكّر وناضل من أجل إثبات فعالية الآلة الحجاجية ولكنّه لم يأخذ الوقت الكافي لبنائها وتشغيلها².

أمّا بالنسبة للناحية المنطقية المتمثلة في أعمال (تولمين وغراس وفينو) فقد استنتج: "نستنتج من النماذج الثلاثة المقدّمة أنّ المقاربة المنطقية قد حاولت أن تعيد الاعتبار للحجاج في مقابل البرهنة؛ وأنّ تبني منطقاً حجاجياً طبيعياً يختلف عن المنطق الصوري الرياضي وعن البلاغة التقليدية؛ غير أنّها انشغلت ببناء هذا المنطق، وبرسم حدوده، وآليات اشتغاله أكثر ممّا اهتمّت بالخطاب الحجاجي ذاته، ممّا جعلها تفتقر نسبياً، إلى الوظيفة الإجرائية التحليلية"¹.

أمّا بالنسبة إلى المقاربات الحجاجية اللسانية فقد قسمها إلى قسمين: التداولية المدمجة والتي قال فيها: "تتناول التّداوليات المدمجة - لدى ديكر و أنسكوبر - مفهوم الحجاج باعتباره ظاهرة لسانية تخضع كغيرها من الظواهر الدلالية للوصف الدلالي، بالتركيز على المحتوى وربط المستوى التّداولي بالبنية التركيبية مباشرة. وتشتغل هذه الآلة في وصف الفعل الحجاجي، استناداً على سلسلة من المفاهيم الأولية والأدوات الإجرائية، فتسند إلى المقولات محتويات تخصّصها وتصورنها، وتحوّل المحتويات اعتماداً على القوانين الحجاجية؛ ثم تستنبط الوجهة الحجاجية الشاملة الموجهة لتحقيق فعل الحجاج... ويعمل (موشلر) على توسيع وتطبيق وإعادة صياغة نظرية التّداوليات المدمجة، بتبني منطلقاتها ومفاهيمها وتصوراتها الأساسية؛ ويسير بها نحو ظواهر لسانية أعقد من الجملة، ليجعل منها آلة لوصف البنيات الحجاجية الحوارية. لقد انحصر همّ التّداوليات المدمجة في بناء آلة نظرية

² - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 56.

¹ - المرجع نفسه، ص 93.

للوّصف الدلالي². أمّا بالنسبة لتقسيمه الحجاجي الثاني المرتبط بنظرية أفعال اللّغة فيستجمعه مختزلاً: "تكاد كل هذه النماذج تندرج في نظرية الأفعال اللّغويّة، سواء ربطته بالإقناع أو بالخلاف أو بالمعرفة أو بالهويات، فإنّها تجعل منه نشاطاً خطابياً، يتجسد في فعل لغويّ مركب أو موسع، يستغل كاستراتيجية تنظيميّة للخطاب، تنطلق من قضية (حدث)، وتحمل موقفاً أو أطروحة؛ فتتظّم الحدث، وتوزّع أفعاله، مستندة على القوّة الحجاجيّة للأفعال اللّغويّة الضمنيّة المنجزة المحترمة لشروط الإنجاز، وتوظّف كل المعطيات النصيّة السياقيّة التفاعليّة، هكذا تسير على خطّ تصاعدي جدلي نحو هدف محدّد، واصفة الفعل اللّغوي الحجاجي في كل تحقّقاته الخفيّة والمتجليّة، بهذا تكون نظريّة وصفيّة بنويّة تصف البنيات والاستراتيجيّات الحجاجيّة"³.

إذن هاته هي الأوصاف و النّقود الخاصّة التي صنّف بها (طروس) النماذج الحجاجيّة التي رآها أكثر ارتباطاً بالخطاب، إذ؛ من خلال هاته الأوصاف والنقود المنظّمة للنماذج في إطارات بلاغيّة ومنطقيّة ولسانيّة وراصدة لحدودها التحليليّة نجده مرّة أخرى؛ يدعو نفسه ليبيّن من كل هاته النماذج التّموذج الأقرب للخطاب. فيكون له بذلك خيار يتوافق مع مفهومه للخطاب، يقول: "انسجاماً مع منهجيّة التّبني والإقصاء التي مارسناها في بداية تحديدها لخريطة الحجاج، وحصرناها في المقاربات الثلاث، باعتبارها أقرب إلى الخطاب، واعتباراً لكون الخطاب أيّاً كان تحقّقه، يملك خصائص عامّة، لا مجال لتفصيل القول فيها في هذا المؤلّف، نلجأ إلى نفس تقنيّة الإقصاء والتّبني، لنبيّن المقاربة الأكثر قدرة على وصف وتفسير الخطاب"¹ وانطلاقاً من هذا يقول مطبقاً الأمر: "إذا اعتبرنا الخطاب نصاً قولياً ذاتياً وتواصلياً، يتفاعل مع سياقاته المختلفة، ويملك القدرة على تحريك أو خلق

² - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 168.

³ - المرجع نفسه، ص 170.

¹ - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 170.

التفاعل، أي أنّ الخطاب نشاط لغوي حجاجي ذو قدرة تأثيرية وكفاية تفاعلية، وهما خاصيتان لا تتحققان إلا بفضل الوظيفة الحجاجية، وهي وظيفة خطابية تفاعلية تقيم جدلاً بين النص و السياق والذوات القولية، تركنا النموذج الحجاجي البلاغي، لكونه نموذجاً تصنيفياً، لا يربط الحجج المصنفة بالعلاقات النصية والممارسة الخطابية، وأبعدنا المقاربات المنطقية، التي انشغلت ببناء المنطق الحجاجي، وتبيننا المقاربة اللسانية الأقرب من الممارسة الخطابية². ويضيف (طروس) مفضلاً نظرية الأفعال اللغوية الحجاجية على التداوليات المدمجة قائلاً حاسماً: "لكن داخل المقاربة اللسانية نحتاج أيضاً إلى الحسم، لأنها في الواقع مقاربتان مختلفتان ومتفاوتتا الكفاية، فالتداولية المدمجة، وإن كانت تعتبر السلوك الحجاجي سلوكاً متتامياً، فإنها لم تقدم النموذج الكفء لتحليل الخطاب الحجاجي، لأنها آلة نظرية للوصف الدلالي، وأغفلت جوانب الخطاب الذاتية والسياقية و التفاعلية، مما يقتضي تركها بدورها، والانصراف إلى نظرية الأفعال اللغوية، وكونها تعتبر النشاط الحجاجي فعلاً لغوياً مركباً أو موسعاً يتفاعل بحدث لغوي، وينظمه بنويًا وتفاعليًا، ويشغل كاستراتيجية خطابية إقناعية، تتظم الحجج وتعطيها خصوصية سياقية، تخضعها للنشاط الكلي للفعل اللغوي؛ تجعلنا نتبنى نظرية الأفعال اللغوية، ونعتبرها نظرية للخطاب، مؤهلة إلى حد بعيد لوصف البنيات الاستراتيجية الحجاجية الخطابية"¹.

ثالثاً: الخطاب الحجاجي اللساني عند رشيد الراضي:

1- رشيد الراضي من خلال كتاب المظاهر اللغوية: تبني الباحث رشيد الراضي المدرسة الحجاجية اللسانية التقنية التي يتزعمها الفرنسيان (أوزفالد دكرو وجون كلود أنسكومبر)، وذلك من خلال كتابه: "المظاهر اللغوية للحجاج - مدخل إلى الحجاجية

²- المرجع نفسه ، ص 171.

¹- المرجع نفسه ، ص 171.

اللسانية -"، ويظهر للمتعامل مع الكتاب كيفية تعامله مع الإشكالية الحجاجية
اللسانية وذلك في مظهرين مهمين:

- توضيح النظرية في إطار برنامجها البنيوي النسقي.

- قراءتها في نسقها إبستمولوجياً وتاريخياً.

بدأ رشيد الراضي خطابه بالحديث عن الأمور الإبستمولوجية والتاريخية للنظرية، إذ ذكر
المراكز التي بنت منها الحجاجية اللسانية أمورها، وكأنه يشير إلى التقود التي مورست على
المبادئ المنهجية والفروض. يقول الراضي: "ينحدر توجه الحجاجيات اللسانية من أصلين
اثنين، أحدهما تمثله النزعة التداولية في اللسانيات، والتي تولدت نتيجة إخفاق المقاربات
الصورية الصارمة للظاهرة اللغوية، والثاني تمثله أعمال الخطابة الجديدة مع رائديها (شاي
بيرلمان و أولبريخت تيتيكا)، والتي بدورها تخلقت بفعل إخفاق المحاولات الصورية لنمذجة
الفاعلية التداولية"¹.

وهذا الانتساب لتلك المدارس صحح وروجع من حيث المبادئ والفرضيات والنتائج، لتنتج
عن ذلك مدرسة خاصة بنفسها قادها (دكرو وأنسكوير)، يقول (الراضي) حول خصوصية
هاته المدرسة: "غير أنّ هذا الانتساب لا يعني الوفاء الحرفي لأطروحات هذه المدارس، فقد
تمت الحجاجية اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من هذه الأطروحات لتتمكن بفضل ذلك من
رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعه و متميز بخطة عمله، درس ينطوي على
نضج نظري معتبر يوشك أن يخرج من دائرة النظريات الفلسفية في اللغة ليلحقه بحظيرة
الممارسات العلمية اللسانية المضبوطة"². وقد ضبط (الراضي) السلوك الإبستمولوجي
للنظرية تجاه التداولية الكلاسيكية فقال: "لقد تمثلت مجاوزة الحجاجيات اللسانية للنزعة

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، ص 09.

² - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، ص 09.

التداولية الكلاسيكية في جهود التنسيق والتدقيق للمشروع العام للتوجه التداولي في الدراسات اللغوية، فمعلوم أنّ المهمة التي سعت اللسانيات التداولية أو بالأحرى الدلائيات التداولية للقيام بها هي إدماج الوقائع التداولية في قلب الدرس الدلالي بعدما كانت هذه الوقائع تعتبر في المنظورات الصورية مجرد معطيات خارجية لا تمتّ إلى موضوع اللسانيات بصلة، إذ تقصر هذه المنظورات نظرها على البنيات التركيبية الطيعة لعمليات النمذجة والصوغ الصوري، حتّى إنّ أحد أنصار هذه النزعة في اللسانيات المعاصرة يتحرّج من وصف التداولية بكونها مزيلة للسانيات¹. وبالنسبة لمجاوزتها لأعمال الخطابة الجديدة يقول (الراضي) بطريقة ابستمولوجية: "أمّا مجاوزة اللسانيات الحجاجية لأبحاث الخطابة الجديدة فقد تمثّل في تعميق أطروحتها المركزية المتمثلة في تأكيد نوع من التداخل بين الوقائع من جهة، والذوات المتفاعلة حجاجياً من جهة أخرى، فقد أجاد (بيرلمان وتيتيكا) في التأكيد أنّ الوقائع تحضر في سياق التفاعل الخطابي الحجاجي مثلونة بسيرورة التذات القائم بين المتكلم والمخاطب. ومصبوغة بالمعايير والقيم التي تؤنّث فضاء التواصل بينهما، بحيث يبطل الحديث عن وقائع خالصة ومجردة ومبرأة من الذاتية والتداولية، وإذا شئنا القول بأنّ هناك فاعلية يمكن الاصطلاح عليها بالتذويت تطال الوقائع فتشحنها وتغلفها في سياق التفاعل الحجاجي"². ويضيف: "صحيح أنّ هذا التصور الذي جاءت به الخطابة الجديدة يجسّد ثورة حقيقية في فهم العلاقة بين الإنسان والعالم وخطوة متقدّمة في الكشف عن حقيقة التفاعل الذي يحدث بين الذوات المتواصلة عموماً، والمتفاعلة حجاجياً على وجه الخصوص، إلّا أنّه لم يصل مع ذلك إلى حدّ الوفاء بطموح (ديكرو وأنسكومبر) فيما يخصّ طبيعة العلاقة بين الوقائع والخطاب في سيرورة التفاعل الحجاجي"³.

¹ - المرجع نفسه، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، ص 11.

انطلاقاً من هذا تموقع (دكرو وأنسكومبر) في إطار عمل لسانيّ جديد صعب المنال كان في السابق يتعدّر من دراسته؛ وهذا العمل تمثّل في تفسير المعطيات التداوليّة المعثور عليها في بنية اللّغة لسانيّاً. يقول (الراضي) في الأمر: "جاء توجه الحجاجيّة اللسانية مسكوناً بهاجس التّدقيق والتنسيق لهذا النوع من الدّراسة، فكان التّدقيق في تعيين موضوع الاشتغال الذي سيغدو محصوراً في تلك المعطيات التداوليّة التي تنطبع في بنية اللّغة، ومن ثمّ تتيسّر معالجتها معالجة لسانيّة ملموسة، بل أكثر من ذلك سيصرف هذا التّوجه عنايته كلّها إلى مظاهر أكثر تحديداً ضمن هذه المعطيات التداوليّة، وهي التي تتصل بالفاعليّة الحجاجيّة لا غير، وكان التنسيق بتعيين الحدود النظريّة لهذا التوجه، والخطة الدقيقة التي سيسير في ضوئها مشروع التّدالويّة المدمجة في صورتها المدقّقة والمنسقة، والخطوات المضبوطة التي ستقود إلى تحويل التّدالويّة من مجرد تأملات فلسفيّة عامّة، إلى الاندراج في سلك الأبحاث العلميّة النّاضجة"¹. هكذا أدمج التّدالويّة في الدلالة وصار يخضع لمعايير المعالجة اللسانية وهذا إطار عام للتّحليل افتتحه كل من (دكرو وأنسكومبر)، لكن إطارهما الخاصّ الذي تموقعا فيه من جراء هذا التّصحيح الذي منذ قليل هو التّحليل الحجاجي، إذ وقائع اللّغة هي وقائع حجاجيّة في أصلها يقول الراضي: "فالبحت الفعلي في الحجاج بصورته التي تتعكس وتنطبع في الصياغة اللسانية للوقائع يكشف عن حقيقة أعمق من ذلك بكثير، وهي أنّ التّمايز بين هذه الوقائع وصيّاغاتها اللسانية غير موجود أصلاً، لأنّ اللّغة في مجملها ليست سوى ترجمة للوقائع في سياق حركيّة حجاجيّة متّصلة، أو بعبارة أخرى تحويل حجاجي للوقائع، بحيث يكون كل استعمال للّغة هو في حدّ ذاته حجاج بغض النّظر عن السّياق الخارجي لهذا الاستعمال وأغراضه المخصوصة، مادام أنّ الحجاج مؤصّل في الأنسجة القاعدية للّغة"¹، وقد حلّل الراضي أبعاد هذا الأمر ابستمولوجياً وجعل يقول أنّ هاته الأمور

¹ - المرجع نفسه، ص 11.

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، ص 12.

هي أهداف برنامجية عند (دكرو وأنسكومبر) لمشروع (دو سوسير) البنيوي، ولكن بنويّة بصيغة تداوليّة. وإزاء هذا قدّم الراضي عنواناً لافتاً في هذا الشأن هو "الحجاجية اللسانية والمنهجية البنويّة"³. إذ يقرأ (الراضي) الظاهرة الحجاجية عند (دكرو) قراءة بنويّة، فهو يرى تحليل (دكرو) موقعا في الحضن البنيوي، فهي والأمر كذلك تداوليّة بنويّة؛ وحجاجية بنويّة؛ وحجاجية في البرنامج البنيوي السوري، ويرى (الراضي) هذا الأمر من حيث الأهمية بأنّ (دكرو) كسب رهان التحليل الصّعب هذا، بالاستفادة من البرنامج (السوسيري) يقول: "إنّ هذا التّصوّر الذي بلورته الحجاجيات اللسانية لم يكن ليتحقّق دون الاستناد إلى خفيّة منهجية ونظريّة صلبة، وهذه الخفيّة هي بالذات المنهج البنيوي في صورته الأصليّة كما أرسى معالمها (فرديناند دو سوسير) في بداية القرن العشرين من خلال كتابه دروس في اللسانيّات العامّة، فمن المعلوم أنّ (دكرو) ظلّ منذ أعماله المبكّرة أواخر الستينات يدافع عن قيمة المقاربة البنوية للمظاهر اللغويّة فألّف بمعيّة آخرين في شرح هذا المنهج وتوضيح أوجه استثماره في الدّرس اللساني، وحين بدأت الأبحاث تتّجه إلى تأسيس نظرية "الحجاج في اللّغة" سنجد أنّ الاشتغال سيكون (أو بالأحرى سيستمر) وثيق الصّلة بهذا المنهج ملتزماً بقواعده ومبادئه"¹، وعليه فالتداول تهرب منه اللسانيون لسبب أنّهم لم يجدوا الزاوية والمنهجية التي يحلّونه بها، فتعذروا دراسة، ولما نقول تعذروا يعني أنّهم لم يجدوا الجهاز الواصف العلمي الدقيق. ولذلك نجد الاجتهادات التّداوليّة التي قبل (دكرو) اجتهادات متفرّقة وغير منسجمة نسقيّاً، أي لم يعثر على بنيتها التي تحكّمها، فكان يوصف الدرس التّداولي وقتنئذ بالدرس العصي، وعليه: "كان الرّهان الأكبر للحجاجيات اللسانية يصب في السعي الحثيث لتحويل الدّرس التّداولي الذي كان يوصف عادة بكونه عصياً على الصوغ البنيوي، ووثيق الصّلة بالمعطيات المقاميّة والسياقيّة الخارجيّة، إلى درس يتّخذ من بنية اللّغة موضوع

³ - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 79.

¹ - المرجع نفسه، ص 81.

اشتغاله بدل الانكباب على هذه المعطيات المختلطة التي لا تمتّ بصلة إلى الظاهرة اللغوية في حدودها الفعلية، بل ولا تشكّل في ذاتها موضوعاً علمياً يتمتّع بحد أدنى من الانسجام والوحدة اللتين بدونهما لا تكتسب المادة المدروسة شرط التحوّل إلى موضوع علمي يمكن مباشرته بطرائق المعالجة العلمية المتعارفة¹. وقد قدّم (الراضي) إثباتات نقلها من خلال قراءته الابدستمولوجية التاريخية التقنية لخطاب (دكرو وأنسكوبر) كلّها، فقراءته لم تكن مبتورة أو موجهة بكتاب أو اثنين، فقراءته كانت شاملة؛ ويمكن أن تتوالى إثباتات ذلك على النحو التالي؛ إذ يقول (الراضي) مستشهداً بتصريح (دكرو) ذاته: "ففي مقال استرجاعي لمسار هذا التّوجه، يذكر (دكرو) أنّ أحد الأهداف التي كان الدرس الحجاجي اللساني يتطلّع باستمرار لتحقيقها يتمثّل في إنجاز وصف دلالي للجمل يتسق مع الإطار العامّ للبنويّة السويسرية وهو ما يفسّر ذلك الرّفص الحاسم لأيّ وصف يلحق الوحدات اللغوية بوحدات خارجة عن اللّغة، أو بعبارة أخرى يحتكم إلى "الواقع" الذي تتحدث عنه اللّغة في سياق الوصف اللساني دون أن يعني ذلك من جانب آخر اختياراً محكوماً بخلفيات ميتافيزيقية حول طبيعة اللّغة يرى فيها عالماً مستقلاً وغريباً عن باقي العالم. إنّ هذا الاختيار البنوي- كما يؤكّد دكرو- ينطلق فقط من اعتبارات منهجية تستمد مسوغاتها من مبادئ علمية تؤكّد أنّ العبور إلى "الواقع" لا يتمّ إلاّ عبر التّمثلات، سواء تلك التي تحصل عبر الفاعلية اللغوية ذاتها، أو تلك التي تشرها مختلف علوم الطبيعة أو الفكر"¹. وعليه فمعالم التّوافق كثيرة نذكر منها الجلية فعن طريق العلامة اللسانية تظهر مواطن التّوافق جلية، إذ المتأمل لكتاب (دي سوسير) (محاضرات في اللسانيات العامة) وهو أمر متّفق عليه عند الدارسين، يجد أنّ (دي سوسير) قام بتقديم وصف نسقي للعلامة اللسانية عن طريق دالها ومدلولها ووقر لهذا إجراءات الاستبدال والتّوزيع، وهذا لفهم الجملة. ولأجل فهم الخطاب جعل (دكرو) الجملة وحدته الدنيا

¹ - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 88، 89.

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج- مدخل إلى الحجاجيات اللسانية-، ص 52.

في الوصف الدلالي بدل العلامة عند (دي سوسير)، يقول الراضي: "فمن المعلوم أنّ (سوسير) خصّ اللسانيّات بمهمّة أساسيّة، وهي العمل على وصف العلاقة اللسانية وصفا داخليًا نسقيًا مستقلًا عن استعمالاتها الكلاميّة، وذلك بالعمل على إسناد قيم لسانية خالصة لهذه الوحدات المؤلّفة من الدال والمدلول (المصطلحين اللذين ارتضاهما (سوسير) للإشارة إلى العنصرين التكوينيّين لكلّ علامة لسانية وهما على التوالي الصورة السمعيّة والتصور الذهني). إنّ هذه الفكرة ستجد ترجمتها في الحجاجيّات اللسانية بشكل واضح، فقد تمّ البحث عن الوحدة التي ستكون المنطلق لإنجاز الوصف الدلالي، أي العنصر الذي سيقوم مقام العلامة في اللسانيّات السويسريّة، وقد وجد (دكرو وأنسكوبر) نفسيهما مدفوعين بتوجيه من التقاليد التوليدية التي كانت تمثّل النموذج العلمي المهيمن في مجال اللسانيّات إبّان فترة السبعينيّات، إلى التسليم والقبول على نحو تلقائيّ باعتماد الجملة أساسًا للدراسة الدلالية، أي وحدة للوصف الدلالي والتي سيتمّ النظر إليها كقاعدة لهذا الوصف تحنل موقعًا مناظرًا للموقع الذي تحتله العلامة في اللسانيّات السويسريّة، وبالتالي يتعيّن أن يتمّ إسناد المدلول إليها، وهذا المدلول هو بالذات ما سيصطلح عليه "بالدلالة" في الحجاجيّات اللسانية"⁴. وقدّم الراضي التوافق بصفة فعلية عن طريق قيمة العلامة وقيمة الجملة: "وكما أنّ (سوسير) وجّه عنايته إلى البحث في قيمة العلامة معتبرًا أنّها تتمثّل في مدلولها الذي بدوره يتحدّد في تلك الملامح الاختلافية لهذه العلامة عن العلامات الأخرى ضمن نسق اللسان، فإنّ (أنسكوبر) ودكرو سيوليان) عنايتهما للحديث عن قيمة الجملة، وسيعتبران أنّ هذه القيمة تتحدّد انطلاقًا من علاقاتها بالوحدات الأخرى التي تشترك معها في الانتماء إلى النسق، أي نسق الجملة"¹.

⁴ - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 89.

¹ - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 89.

وعن طريق العلاقات الاستبدالية والتراكيبية الأفقية التي أحدثها (دي سوسير) في جهازه التقني سمح بتأليف العلامات عموديا وأفقيًا، أي؛ إحداث تآلف من أجل تحقيق دلالة للجملة خاضعة للوظيفة الإخبارية التواصلية التي ارتضاها (دي سوسير) مبدأ منهجيًا.

وقد اقتضي من (دكرو) تصحيح النظرية منهجيًا، لأن الأمر يراعي شروط الصدق والكذب و العودة إلى ما كان عليه التحليل. وعليه ومن أجل المبادئ الجديدة للنظرية (إقحام التداول في الدلالة وترشيح الحجاج كوظيفة أولى مركزية) والاستبقاء بل الوفاء لمبدأ المحايثة اعتمد (دكرو) العلاقات التراكيبية الأفقية، لكن الصعوبة التي انتبه إليها (دكرو) وهي إمكانية ورود الجملة تقريبًا في كل السياقات الخطابية، أي لها قدرة الورد، بخلاف العلامة اللسانية المفردة التي تتحكم فيها شروط توزيعية دقيقة. إن الأمر يؤدي وفق هذا إلى عدم القدرة على اختصاص جملة بعينها بمظهر اختلافي يحدّد قيمتها الدلالية². وحسم (دكرو) الأمر بإبداع يقول الراضي في هذا: "هنا بالذات تتدرج المهمة الحاسمة للحجاجيات اللسانية، والمتمثلة في حصر نمط التأليف الخطابي الذي ينبغي أخذه بالاعتبار في الوصف اللساني، وذلك بالوجه الذي يصير معه من الممكن القيام بتحديد تراكبي للجملة يميّز بعضها عن البعض الآخر وهذا الملمح التألّفي الخطابي الذي سيتمّ الاعتماد عليه دون غيره هو الذي سيصطلح عليه بالحجاج، أي أنّ دلالة الجملة تحدّد انطلاقًا من مجموع التأليفات الحجاجية التي تتبعها هذه الجملة، وهذه التأليفات يتمّ تعيينها عبر تحديد الإرشادات الخاصة بكلّ جملة"³. وعليه يمكن القبض على مفهوم الجملة كعلامة لسانية نظامية في خطاب (دكرو وأنسكوبر) من خلال مفهوم الإرشادات، فالجملة في لبها أي معناها ما هي إلا خلاصة لتلك الإرشادات يقول (الراضي) عارضا الأمر: "يعرّف (دكرو) الإرشادات في كتابه كلمات الخطاب بأنها عبارة عن مجموعة من التوجيهات تقدّمها الجملة لأولئك الذي يهّمون بتأويل ملفوظ معين من

² - المرجع نفسه ، ص 90.

³ - المرجع نفسه، ص 90، 91.

ملفوظاتها، وتطالبهم بالبحث في وضعيّة الخطاب عن المعطيات التي تفيد بصورة ما في إعادة بناء المعنى المقصود من المتكلم، وفي سياق تعيين وظيفة هذه الإرشادات أيضا نجده يقرّر في كتابه "القول والمقول" إنّ الإرشادات تقوم بتعيين الخطوات التي ينبغي اتّباعها لإسناد معنى لهذا الملفوظ أو ذلك من ملفوظات الجملة التي تتضمن هذه الإرشادات. وعلى هذا الأساس تكون دلالة الجملة هي خلاصة إرشاداتها، أي تلك الإرشادات التي تتضمنها هذه الجملة والتي تمكّن المخاطبين من إسناد المعنى لملفوظاتها، أي حين ترد هذه الملفوظات في سياقاتها الاستعمالية المتنوعة، وكذلك يكون المعنى الذي يمكن اشتقاقه من هذه الجملة (المعبر عنها في صورة ملفوظات) متعدّدًا ومتغيّرًا بحسب الأوضاع والسياقات المتغيرة أيضا¹. فالجملة والحال تلك، سيكون لها دور ضروري في الخطاب يقول (الراضي) محسنًا التعبير بالاستفهام والجواب: "وقد يرد السؤال ... لماذا تمّ الأخذ بهذا النمط من التّأليف الحجاجي ضمن تصوّر الحجاجيّات اللسانية للعلاقات الداخليّة التي تحكم النسق اللغوي منظورًا إليه هنا كنسق للجمل؟ الجواب مرّة أخرى لا يخلو في جانب منه من خلفيّة بنويّة موجهة، فهذا النمط من العلاقات يتميّز بطابعه الداخلي المحايث للخطاب ولا يمكن اشتقاقه عن المعارف الخارجيّة (أي الخارجة عن اللّغة) بحيث تكون العلاقة الحجاجيّة مؤهلة لتلعب الدور الأساس بالنسبة إلى الدراسة البنيوية للّغة"². ولأجل بنويّة الخطاب حاول الراضي تقديم إثباتات لذلك، وذلك باعتماد المعجم النقّي للنظريّة نفسها، فنجده عنون عنصرًا من تحليله أسماء الخاصيّة السلميّة للخطاب ووضّحه بأمثلة (دكرو وأنسكومبر) وبأمثلة من عنده يقول: "إنّ الحديث عن الظاهرة السلميّة في الخطاب لا يرتبط حصراً بالحجاجيّات اللسانية، فلقد كانت هذه الظاهرة موضوع بحثه العديد من اللغويين، وقد صرّح (دكرو) أنّ دراسته للسلام الحجاجيّة أفادت كثيرًا من هذه الدراسات المبكرة التي كانت قاعدة

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج -مدخل إلى الحجاجيات اللسانية-، ص 62.

² - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 91.

هيات لإنجاز هذا التأويل الحجاجي للظاهرة السلمية، غير أن (أنسكومبر وذكرو) عملا على صياغتها وإدراجها بصورة نسقية ضمن نظريتهما الحجاجية اللسانية، إن استحضار النظرية الحجاجية اللسانية للسلمية في تحليلها للمفوضات الحجاجية تطوّر تدريجياً نتيجة الكشف عن بعض المميّزات المتعلقة بسلوك بعض الروابط¹. وكمثال لأجل ذلك اقترح (الراضي) من عنده: " - زيد طويل القامة، غير أنّه يفقد للياقة البدنية. فقد يرد هذا الملفوظ في سياق التّداول حول مناسبة زيد للعب ضمن فريق لكرة السلة، فتكون الحجّة الأولى "زيد طويل القامة" حجّة مساندة للنتيجة "يصلح للعب ضمن الفريق" وتكون الحجّة الثانية معاندة لهذه النتيجة، وبالتالي مساندة لنتيجة مقابلة "لا يصلح للعب ضمن الفريق"². ويدخل من أجل إنجاز عمل السلمية المعجم التقني المتمثل في الروابط والعوامل والإرشادات التي هي خلاصة دلالة الجملة؛ هذا المعجم من أجل السّلام والسّلام من أجل بنيوية الخطاب. لذلك نجد (الراضي) يشيد بالروابط و العوامل ومفهوم الحجاج ذاته. فهذا المعجم موجود إجرائياً في علاقات بنيوية توضّح رؤية (ذكرو وأنسكومبر) للظاهرة الحجاجية لسانياً. ونجد هذا المعجم حسب (الراضي) مموقع منهجياً في مفهوم الحجاج الذي حدّده بالمتابعة التاريخية يقول: "ولقد تمّت صياغة تعريف جامع لسائر هذه الصّور التّأليفية الحجاجية الداخلية نجده يتردّد في جميع كتابات الباحثين كما هو الحال في كتاب الحجاج في اللّغة (1983) الذي يمكن اعتباره بمثابة التّمودج المعياري لهذا التّوجه، حيث نقرأ ما يلي: "حين نصف خطاباً ما بأنّه خطاب حجاجي، فذلك معناه أنّ هذا الخطاب يحتوي على ملفوظين اثنين على الأقل: م1 وم2، حيث يقوم أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر، يسمى الأوّل حجّة والثاني نتيجة"... وعموما فإننا سنعمد إجرائياً... هذا التّعريف بالذّات، أي أنّنا سننظر إلى الحجاج من حيث هو ظاهرة تأليفية خطابية، لذلك يتعيّن استحضار هذا التّعريف حتّى لا يحصل الالتباس

¹ - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 103.

² - المرجع نفسه، ص 110/111.

نتيجة اشتباه لفظ الحجاج ودلالته على فاعليات أخرى غير هذه الظاهرة التأليفية الخطابية اللسانية الخالصة. وهذا القيد النظري والمنهجي هو في حد ذاته يضع حديثنا في سكة المعالجة البنيوية الخالصة للحجاج باعتباره علاقة تأليفية داخلية تنشأ بين وحدات لغوية وليس فاعلية خارجية ترتبط بمعطيات وقائعية متنوعة¹. وهذه البنيوية الحجاجية الخاصة تستمد طاقتها من المنطق الطبيعي والذي فرزه (الراضي) عن البرهان في مقال له موسوم بـ: (الحجاج والبرهان) حيث يحدّد الفرق كالتالي: "إنّ العبارات التي ترد في المصوغات البرهانية توجد مستقلة بعضها عن بعض، وتتألف فيما بينها على أساس جملة من العلاقات الصورية الصارمة دون مراعاة للقيم الداخلية التي تتضمنها هذه العبارات (معانيها، إحالاتها الخارجية)... بخلاف ذلك تتميز العلاقة التي تنشأ في الخطاب الطبيعي بأنّ تعالق الملفوظات فيها يستجيب لاعتبارات داخلية محضة، مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته، أي أنّ المحتوى يلعب دوراً حاسماً في الانتقال بين الوحدات في العملية الحجاجية... في الاستدلال البرهاني يكفي إيراد دليل واحد لتكون النتيجة مثبتة أو منفية... بخلاف ذلك يتميز الاستدلال الحجاجي بأنّ عدد الحجج التي تتألف منها لا يكون محدداً... يتميز البرهان باستقلاله التام عن الذات الإنسانية وما يتعلق بها، فالأصل في البناءات البرهانية أنّها جملة من العلاقات الموضوعية القائمة بذاتها والمستندة على قوانين عامة تستمد قوتها من ذاتها وتفرض سلطتها على غيرها... بخلاف ذلك لا يكون للعلاقة الحجاجية أي معنى إذا لم تستحضر سياق تداولها الإنساني الخاص... يتميز الحجاج بارتكازه على ما يسمّى بالمواضع، والمواضع هي مجموعة من القيم والمعايير والعلاقات المتميزة بطبيعتها الظنية واللايقينية، ولكنها مع ذلك تتمتع بشهرة ومقبولية لدى عامة الناس نتيجة توافقها مع الحس القويم المشترك. إنّ هذه المواضع تقوم في الحجاج مقام القوانين والقواعد العقلية الضرورية التي يقوم عليها الاستدلال في المصوغات البرهانية (المقدمة الكبرى في القياس)،... هناك

¹ - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، 93، 94.

خاصية أخرى تميّز الحجاج عن البرهان، وهي متفرّعة عن الخاصية السابقة، فقد قلنا إنّ الموضوع المشترك قاعدة عامّة يقبل بها أغلب الناس وليس كلهم، ويرجع ذلك إلى طبيعته الظنية المتحصّلة من المرجعية القيمة والثقافية النسبية المتغيرة بحسب المقامات والسياقات والعوائد والظروف والأحوال، من هنا كان الحجاج الذي يشكّل الموضوع قاعدته مفتوحاً دائماً على الاعتراض وقابلاً باستمرار للفحص والتقيّد والمنازعة فكّل عملية حجاجية يمكن مواجهتها بعملية حجاجية معارضة تأسّس على الدوام لطبيعته اليقينية الكلية... ممّا يميّز الخطاب الحجاجي أنّه يقبل الورد في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يلزم فيه التصريح بكل مكوناته¹. ومن أجل البنيوية في التحليل أدمجت التداولية في الدلالة فحصل على التداولية المندمجة. وفي هذا الإطار حدّد ضبطاً للمتفرّقات موضوعها الذي هو الحجاج ومن هذه الطبيعة تنامي معجم تقنيّ بنيوي حجاجي يخدم بعضه البعض، هاته الأمور كلّها محكمة تحكيما ابستمولوجياً، فهاته النظرية موجودة من أجل زيادة الضبط العلمي في التحليل اللساني يقول: (الراضي) معلّنا التحكيم: "زيادة في الضبط النظري والإحكام المنهجي لهذه الدراسة، سيقوم (دكرو) بوضع مجموعة من القيود المنهجية التي يتعيّن الخضوع لها أثناء الاشتغال، وهذه القيود تستلهم الكثير من أدوات الابستمولوجيا المعاصرة... ولأجل هذا الغرض وقع الاختيار على العمل بمنهج النمذجة، وهو منهج ظل يحكم - كما يؤكد دكرو - مجموع النشاط العلمي في الغرب منذ (ديكارت)، ويعتبر النحو التوليدي مع (تشومسكي) شاهده الأمثل في القرن العشرين، وتتمثّل فلسفة هذا المنهج في التأكيد أنّ مهمة العلم الحديث لا تتمثّل في تجميع وتصنيف الوقائع والمعطيات الجديدة، وإنّما يجب بناء نظريات عامّة، ونماذج فرضية تنطلق من عدد محدود من الملاحظات أو التجارب، وتسعى إلى تفسير الوقائع المعلومة والتنبؤ بوقائع جديدة، وفي هذا الصدد يعلن (دكرو): "سوف أصف ب

¹ - رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 2، ص 185، 192.

"العلمي" البحث الذي يحاول أثناء تفسيره للظواهر الملاحظة في الطبيعة، أن يضع تمثيلاً مصطنعاً للكيفية التي تنتج بها هذه الظواهر"².

وقد صحّحت حسب الراضي - بحسب دكرو وأنسكومبر - الخطابة الجديدة التي كانت تفصل بين الوقائع والخطاب، وصحّحت نظرية أفعال اللّغة بإعلان (دكرو) نسقه هذا الذي كنا نحلّله منذ قليل. فاستوى نسقا متكاملًا واسعًا عن الخطابة الجديدة وأفعال اللّغة. لكن هذا الاستواء لم يتأدّ دفعة واحدة، بل حينًا حينًا، فجاء تدريجيًا، أي أنّ هذا النسق هو في حدّ ذاته خضع للتّصحيح والمراجعة؛ وحتى الآن وبعد (دكرو) نجد تلامذته يصحّحون وبدعم من (دكرو) نفسه. وقد حاول الراضي أن يراقب كيفية ذلك، أي لاحظ سلوك هاته المدرسة تجاه نسقها.

حاول (الراضي) القبض على هذا الأمر من خلال متابعة خطاب (دكرو و أنسكومبر) متابعة شاملة فقال: "إنّ المتابعة المتأنية لأبحاث (أنسكومبر ودكرو) في تسلسلها التاريخي تضعنا أمام خلاصة أساسية وهي أنّ هذا التّحول من القول ب: "خارجية" الحجاج إلى القول بـ "داخليته" تحقّق بصورة متدرجة ونتيجة لأبحاث ودراسات متأنية ومدافعة هادئة لتقاليد راسخة وشائعة بين أنصار النّزعة الخبرية الوضعية الداعين إلى إغفال العوامل التّداولية الخارجية وأقطاب التّداولية الكلاسيكية والخطابة الجديدة المُعْرضين عن المظاهر البنيوية للوقائع التّداولية ومن ضمنها الحجاج، لقد حصل هذا التّحوّل العسير عبر محطات متتابعة انتهت في آخر المطاف إلى توطين الحجاجية في البنية الداخلية للّغة"¹. وعليه فخطاب الحجاجية اللسانية مصحّح من خارجية الحجاج إلى داخلية، وقد تمّت داخلية بإصدار (دكرو وأنسكومبر) لكتاب (الحجاج داخل اللّغة)، يقول الراضي: راصدًا الأمر: "لقد كان توجه

² - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، ص 55، 56.

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، ص 44، 43.

الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر و(دكرو) في بداية أمره بعيداً كلَّ البعد عن الروح التي وُجِّهت كتاب (الحجاج داخل اللغة)، فقد كان الباحثان يعتمدان - كما هو الحال في التقاليد الحجاجية السائدة آنذاك- أن هناك انفصلاً تاماً بين البنية اللسانية للملفوظ واستعمالها الحجاجي، وحين يتعلَّق الأمر بتمثيل الترابط أو التآليف الذي يحصل بين البنيات الحجاجية في الخطاب، يتم الرجوع إلى الوقائع وليس الملفوظات التي تعبّر عنها. فالملفوظ (م) يساند النتيجة "ن" لأنه يشير إلى واقعة من وقائع العالم "و"، وبمقتضى قانون خطابي متعارف عليه بين المتخاطبين يحصل الاعتقاد في النتيجة "ن" بمجرد ثبوت الواقعة "و". فالاحتكام هنا يكون إلى الوقائع أولاً وأخيراً، أما دور اللغة في هذه السيرورة فيقتصر على الوظيفة الدلالية العامة، فالجمل اللغوية التي تتحقَّق في صورة ملفوظات هي التي تضطلع بمهمة الإشارة إلى الوقائع، والنتيجة أن الحجاج يظهر في هذا السياق باهتاً منحصراً في الطاقة الوضعية في الكلمات من جهة، وفي وظيفة التأثير على ترابط الوحدات الحجاجية من جهة أخرى... لقد كان التعامل اللساني مع الظواهر الحجاجية في الخطاب خلال هذه المرحلة يقوم إذن على أساس إرجاعها إلى مقابلاتها في عالم الواقع². وفي مرحلة أخرى ظلت الفكرة نفسها ولكنها معدلة جزئياً، ذلك أنه تمَّ حصر عالم الوقائع هذا في تدخلاته على مستوى العبارة فصارت الوقائع تنتخب، يقول (الراضي) مستجمعاً: "لقد تمَّ تجاوز هذه المرحلة التي يمكن الاصطلاح عليها بالمرحلة "الواقعية" أو كما نجد عند الباحثين المرحلة "الإخبارية الجذرية" بالانتقال إلى موقف لا يمثّل تغييراً جذرياً في التصور السابق، وإنما مجرد تحويل بسيط في الفكرة المركزية لهذا التصور، فقد استمر القول بأنَّ أساس التآليفات الحجاجية ومرجعها هو الارتباطات الموجودة بين الوقائع، لكننا نجد في هذه المرحلة تقييداً لهذا المبدأ حيث سيعلن الباحثان أن هذه التآليفات الحجاجية لا تستند إلى جميع الوقائع التي تتضمنها

²- المرجع نفسه، ص 44،45.

الملفوظات، بل تنتخب منها نمطا خاصاً¹. ولكن بعد هذه المرحلة تمت عملية التصحيح الابدستمولوجي الحقيقي، إذ ضرب التحليل الحجاجي في جذوره، هاته المراجعة هي التي أعلنت الحجاجية اللسانية كنظرية، وجعلتنا نتحدث عنها بعدها نظرية مستقلة عن باقي النظريات، لها أمورها الخاصة بها فشكّلت فيها فيما بعد تصحيحات أصبحت تخصّها هي في ذاتها ولذاتها، وأصبح لها مدرسيون يمارسون عليها الإكمال والتّقد، يقول (الراضي) حول اكتشاف (دكرو وأنسكومبر) معقّبا: "بعد هذه المرحلة ستأخذ الأبحاث منحى جديداً وسيبدأ توجّه الحجاجيات اللسانية باكتساب ملامحه التي سيعرف بها لاحقاً، وستبدأ الفكرة الأساسية لهذا التّوجه بالتبلور على نحو جليّ، عكسته الأبحاث المجموعة ضمن كتاب (الحجاج داخل اللّغة) الذي حاول التأكيد أنّ الحجاج جزء من الدّلالة، أي دلالة الجمل طبعاً. لقد كشف التحليل اللّغوي الداخلي للملفوظات خلال هذه الفترة أنّ الجمل ذاتها تتضمّن إشارات إلى الاستعمالات الحجاجية لملفوظاتها، وهو ما يظهر بجلاء في سياق تحليل بعض الروابط من قبيل "لكن" و"حتّى" و"مادام"... فقد تبيّن أنّ هذه الروابط ليست - كما كان الاعتقاد في السابق - مجرد وحدات لتمثيل العلاقات بين الوقائع، فهي تكتسي وظيفة حجاجية كامنة في صميمها، بل إنّها أكثر حجاجية حتّى من تلك الوحدات اللسانية التي يتمّ عادة اعتبارها أدوات استدلالية أو روابط بلغة منطقية بلغة تحليل الخطاب"². ويضيف مستمراً متابعا تطوّر الحجاجية اللسانية وهاته المرّة بلغة (دكرو وأنسكومبر) اللذين رأى في إنجازهما هذا محطة لإنجاز البحوث وتمكين النتائج التي تؤرّقهم بسبب غياب الرؤية المنهجية، يقول الراضي: "ويشير الباحثان - مع ذلك - إلى أنّ هذه المرحلة بدورها لم تكن إلاّ قنطرة نحو البناء المكتمل لصرح هذا التّوجه، فقد اكتشفا لاحقاً أنّ الأبحاث المجموعة ضمن كتاب (الحجاج داخل اللّغة) لم تكن تعبّر حقيقة عن الحجم الفعلي لحضور الحجاج في اللّغة. وبالفعل فإنّ

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللّغوية للحجاج -مدخل إلى الحجاجيات اللسانية-، ص 47.

² - المرجع نفسه، ص 49.

لحظة الذروة في تأكيد الطابع الداخلي للحجاج ستتحقق مع الانفتاح المبدع خلال الفترة التي أعقبت هذه المرحلة (أي أواسط الثمانينات) على مفهوم الموضع، حيث نشهد شبه انمحاء للوقائع لتترك المجال لتلك المبادئ العامة التي تمّ الاصطلاح عليها بالعبارة الأرسطية "المواضع" والتي يلعب إعمالها الدور الحاسم في التآليفات الخطابية بين الملفوظات الواردة حججاً، والملفوظات الواردة نتائجاً، وبفضل هذا المفهوم سيتمّ تمثيل ذلك الانتشار القاعدي المكثف للفاعلية الحجاجية في اللغة، خصوصاً بعدما تمّ استثمار مفهوم الأصواتية أيضاً والذي سيتمكن من تصوّر الملفوظات بوصفها "عروضاً مسرحية حوارية مصغرة"¹ يضيف الراضي شارحاً التوافق بين المواضع والأصواتية التي كانت تصحيحاً للموضعية في الحجاج، يقول: "وعموماً يمكن القول إنّنا من منطلق المنظور الأصواتي سنعتبر وجهة نظر المتلفظين في سياق النظرية الموضعية هي بالذات تلك العملية المتمثلة في استدعاء موضع معين عبر إعمال صورة من الصور الموضعية، وهذه الوقائع لن تظلّ وفق المنظور الأصواتي أفعالاً متكلم متوحد، وإنما ستصير وقائع متعدّدة يتقاسمها المتكلم مع المتلفظين أي إنّ استدعاء المواضع وإعمالها كما تحدثنا عنها في سياق النظرية الموضعية هي بالذات تدخلات المتلفظين وأصواتهم المتنوّعة، وهذه التداخلات و الأصوات إنّما تكون خاضعة لتدبير وتوجيه المتكلم الذي يؤدي هنا دور المخرج المتكلم في مسرح الحركة التلفظية، فهذا المتكلم يتصرّف في حركة المتلفظين لحسابه الخاص، ويدفعهم إلى سوق وإعمال المواضع بالوجه الذي يفيد غايته ويحقّق قصده"². وعزّز (الراضي) الأمر بالذهاب إلى حدود بعيدة عند (دكرو) يقول: "وقد ذهب (دكرو) إلى حدّ الحديث عن متلفظين معجميين، فالمتكلم حين يستعمل كلمة فهو يستدعي هؤلاء المتلفظين المعجميين الذين يبنون المواضع في دلالة الكلمات وهو ما قد يوحي بأنّ الأصواتية محايدة للمعجم ذاته، حيث تنتشر فيه الأصوات

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج -مدخل إلى الحجاجيات اللسانية-، ص 49، 50.

² - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج -مدخل إلى الحجاجيات اللسانية-، ص 226.

مادام أنّ دلالة الكلمات إنّما هي إشعاع من المواضيع...¹ هكذا تتأسلت النظرية، فهي بعضها من بعض. شيد الباحثان هذا الأمر ومازالا يصححان ويبثان روح التصحيح في مدرسيتهم.

لقد لاحظ (الراضي) مضمار التصحيح ضمن هذا التوجه، وقبض عليه بعد مسيرته الطويلة التي كانت تطوّر إشكالية الحجاج داخل اللغة، لكنّه يرى (دكرو) هاته المرة مرتدا عن الإشكالية، وكأنّ هذا التصحيح انتقل من النقيض إلى النقيض، خصوصا عندما أدرج مفهوم الموضوع، فتلقف المدرسيون هذا الأمر بتوجيه من (دكرو) نفسه. ولذلك نجد (الراضي) أورد نصا طويلا لدكرو لخصوصيته، إذ يعبر هذا النص عن إعادة تأنيث النظرية في فكرتها المركزية (الحجاج داخل اللغة) يقول (دكرو): "إنّ النتيجة التي انتهيت إليها بعد هذا التفكير في المواضيع هي أنّ أبحاثنا كانت تسير على غير هدى... لقد أخطأنا حين اعتقدنا أنّنا بصدد بيان كيفية تحقّق "الحجاج" بواسطة الكلمات اللغوية والأسباب الكامنة وراء ذلك، إنّ الذي تبين بالفعل بحسب ما يظهر لي هو أنّ الحجاج بواسطة الكلمات إنّما هو محال من المجالات، وأنّ الخطابات حتّى وإن كان من الدارج وصفها بصفة "الحجاجية"، لا تربطها صلة قريبة أو بعيدة بذاك الذي يفهم من عبارة "الحجاج"، وتبين أيضا أنّ الحجاج ما هو إلّا سراب. لقد درج بعض النظار على القول إنّ الخطاب الذي يسري في الحياة اليومية لا يمكنه أن ينشئ "براهين"...؛ هذا ما صرّح به (أرسطو) حين جعل البرهان الضّروري الذي ينماز به القياس، في مقابل الحجاج المخروم ذي الطابع الاحتمالي فقط، والذي يمتاز به القياس المضمر، وقد ألح (بيرلمان وكريز وإيغز) على هذه الفكرة. لقد كنا نرى في البدء سلوك هذا المسلك عاقدين العزم على أن نحلّ في اللغة الحجاج محلّ البرهان عادّين ذلك من الضروريات، وقد وقع في اعتقادنا أنّنا عثرنا على علّة الخاصية الخطابية أو علامتها - أو بتعبيرنا الخاصية الحجاجية للخطاب- في كلمات اللسان، لكنّ الذي يعنّ لي أنّنا انتهينا

¹ - المرجع نفسه، ص 227.

اليوم إلى قولٍ أبعد من ذلك، فليست الكلمات عاجزة عن إنجاز البرهان فقط، بل هي كذلك قلماً تسمح بتلك الصورة المتدرجة للبرهنة المسماة حجاجاً. فهذه الأخيرة ليست أيضاً إلا حلماً من أحلام الخطاب، ونظريتنا ينبغي أن توسم بنظرية اللجاج¹. وفي تحوّل الدرس الحجاجي اللساني إلى بحث دلالي خالص يحدو حدو (سوسير) في التزامه الصارم بالمنظور البنيوي. يستعين الراضي بقول (دكرو): "إنّ الفكرة القاعدية (يقصد لهذا المنظور الجديد) هي أنّه في السلسلة الحجاجية (ح) إذن "ن" نجد أن معنى (ح) يتضمّن في ذاته ما يشير إلى أنّه يستلزم النتيجة لكي يكون تاماً. وهكذا فإنّ معنى (ح) لا يمكن تحديده في انفصال عن كون (ح) يُنظر إليها باعتبارها تقود إلى "ن" فليس هناك نقطة بالمعنى الدقيق للكلمة من "ح" إلى "ن"، ليس هناك تعليل ل"ن" بالملفوظ (ح) بالوجه الذي يمنح هذا الأخير مدلولاً قائماً في ذاته مستقلاً عن "إذن ن"، ومن ثم ليس هناك إبلاغ لحقيقة، إبلاغ لصفة المقبولية انطلاقاً من "ح" في اتجاه "ن"، مادامت السلسلة تعرض الفقرة "إذن ن" كما لو كانت تتضمّنه في الفكرة الأولى "ح"....."². ويعلق (الراضي) على مرمى هذا القول بقوله: "فالتأليف الحجاجي في هذا التصوّر يخلو من أي شيء له علاقة بالحركة الاستنتاجية بين الوحدات اللغوية، فالعلاقة الوحيدة القائمة بين هذه الوحدات هي علاقة دلالية خالصة. أمّا سائر مظاهر اللجاج الأخرى، أي تلك التي اعتدنا أن نقف عليها في أسفار الخطابة الكلاسيكية والتي تدرس مختلف مظاهر النشاط القولي الذي يسعى إلى جعل المرء يعتقد في أمر من

¹ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، ص230، نقلا عن:

O. Ducrot, « Les topoi dans « La théorie de L'argumentation dans la langue », p.240.

² - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للجاج - مدخل إلى الحجاجيات اللسانية -، المظاهر، ص 231، 232، نقلا عن:

O. Ducrot. « Argumentation rhétorique et argumentation linguistique » L'argumentation aujourd'hui, p.22.

الأمر فهي موضوعات ينبغي أن يترك أمر البحث فيها للضرب الثاني من الحجاج وهو الحجاج الخطابي³.

فدكرو وتلامذته عقدوا عزمًا جديدًا، خصوصاً مع الباحثة (ماريون كاريل) التي أنجزت أبحاثاً بمعية (دكرو)، يقول الراضي: "لقد أشارت (ماريون كاريل) في مقال مشترك لها مع (دكرو) إلى أن التّأليفات الحجاجية في كثير من الأحيان لا تقدّم لنا تلك الصورة النمطية التي عادة ما يتمّ الانطلاق منها في تعريف العلاقة الحجاجية في الخطاب، فلا يتعلّق الأمر كما بيّنا أعلاه بفقرتين تؤدّي فيها الواحدة دور الحجّة والأخرى دور النتيجة، إذ لا وجود لاستقلال دلالي بين الفقرتين، إنّنا إذا فحصنا جيّدًا هذه التّأليفات نكتشف - كما تقول كاريل - أنّ معنى الفقرة الأولى (الحجة) يحدده معنى الثانية والعكس صحيح... إن هذا... سيتمّ التعبير عنه في الاصطلاح الخاصّ لماريون كاريل (وهو ما سيأخذ به (دكرو) أيضاً) ب: الملتحمة الدلالية. وهو المفهوم الذي يشكل قاعدة انطلاق لإعادة بناء الحجاجية اللسانية بصورة متوافقة مع المنطلقات الأساسية لهذه المدرسة، وخصوصاً الأسس البنيوية التي تؤكّد مبدأ المحايثة وعلى ضرورة تخليص الدرس اللغوي الدلالي من كل ارتباط بمعطيات ذات طبيعة وقائعية"¹. ليكون و الأمر كذلك؛ تحويل مفهوم الحجاج في إطار الدلالة الملتحمة إلى: "إنّ مفهوم الحجاج الذي أخذ به لا علاقة له بمفهوم الاستنتاج. فهذا الأخير يستند كما هو معلوم على فكرة النّقلة، حيث يكون ملفوظ من الملفوظات (الحجّة) في سياق هذه النّقلة بتعددية صدقيته إلى ملفوظ آخر (النتيجة)، بينما يفترض المفهوم الذي أخذ به وجود صلة بين الفقرتين (أي يفترض غياب الاستقلال بينهما)، ففي نظري لا وجود لأيّ ازدياد في المعلومات داخل سلسلة حجاجية. فالرأي المتفاعل هو ذاته صورة امتدادية أو في صورة عنادية. ومن ثم فإنّ الحجاج في نظري لا علاقة له بفاعليتنا التّفسيّة إذا كانت فاعليتنا

³ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج -مدخل إلى الحجاجيات اللسانية-، ص 232.

¹ - المرجع نفسه، ص 235، 234.

النفسية من طبيعة استنتاجية. نعم أقول إذا كانت فاعليتنا النفسية من طبيعة استنتاجية. لكن ما طبيعة فاعليتنا النفسية في الواقع لا علم لي بذلك، فاللسانيات التي أباشرها تسعى إلى أن تكون بنويّة، فأنا لا أضع فرضيات فيما يخص الفكر...².

إنّ عمل المدرسة هاته هو عمل ممارسة عملية ابستمولوجية؛ فما إن تحطّ على فكرة حتّى تغير وجهتها مطوّرة إيّاها، وقد استطاع (الراضي) أن يقبض على أفكار هاته المدرسة انطلاقاً من مغزاها الابستمولوجي التاريخي، والذي يندرج في إطار التشكل الحداثي الغربي إذ الحداثة كما هي شائعة في الغرب ردّة على كل نموذج، ردّة على مراجع الفهم، فهي مضمار سريع.

2- الظاهرة السوفسطائية وأثرها في تاريخ الظاهرة الحجاجية عند رشيد الراضي: إنّ الذي يتأمّل خطاب (رشيد الراضي) الحجاجي يجده يلاحق الحجج في شكلها الصحيح والمقبول والحجج في شكلها المعوّج، ونجده هاته المرّة يتابع الحجج المعوّجة تعزيزاً للحجج الصحيحة المقبولة. إذ الالتفات للحجج المعوّجة من شأنه أن يعود بالفائدة العظيمة على تنسيق الحجج المقبولة، وربّما الحجج الصحيحة المقبولة ناشئة من الحجج المعوّجة، والتّاريخ أثبت صدق هاته الفرضية، إنّ هذا الأمر دعا الراضي إلى متابعة الحجج المعوّجة تاريخياً وبيان أثرها في إفراز الأنسقة الحجاجية الصحيحة، أو بلغة الابستمولوجي التاريخي، لاحظ (الراضي) التّحوّلات الحاسمة للظاهرة الحجاجية التي كان مرتكزها الحجج المعوّجة، ليشير للبحث المعاصر مدى الأهمية المتزايدة في الاستفادة من الحجج المعوّجة وبناء الأنساق منها، ومن ثمّة محاصرة الاعوجاج في تلك الأنساق. وإن كانت الضّرورة لدراسة الاعوجاج الحجاجي معاصرة بحسب مقال (الراضي)، فإنّ هاته الملاحظة هي في عمقها مبنية على الملاحظات التاريخية الابستمولوجية لتاريخ هذا الاعوجاج. يقول (الراضي) في أمره هذا- من خلال

²- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج -مدخل إلى الحجاجيات اللسانية-، ص234، 235.

مقاله: "السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي -" بعدما تحدّث عن الجانب الإيجابي للحجة وحضورها الكثيف في الحياة المعاصرة: "غير أنّ الحجة قد ترد معوجة، وهذا العوج إمّا أن يكون بقصد أو بغير قصد، وهو في كلتا الحالتين عيب يزري بالفعاليّة الحجاجيّة، ويعطلّ طاقتها في إنتاج المعقوليّة. لذلك أكد (النظار) في هذا الشّأن قديماً وحديثاً على ضرورة الإحاطة بمظاهر هذا الاعوجاج حتّى يحترز من الوقوع فيه ويقتر على تنبيه الغير إن زلت قدمه أو انحرف قصده، وهذا ما جعل البعض يذهب إلى حدّ القول: إنّ البحث في مظاهر الاستقامة فيها، بحيث تغدو نظريّة الحجة المعوجة (السفسطة) معادلاً مكّلاً لنظريّة الحجة المستقيمة. وواقعنا اليوم أصبح يعجّ بالحجج المعوجة التي تقذفنا بها وسائل الإعلام المقروء منها والمنظور، وخصوصاً برامج الإشهار وخطب الساسة ومناظرات أهل العقائد والمذاهب والنحل، فهي في العادة تحمل في أحشائها جحافل من الحجج العرجاء التي لا وزن لها في عرف من فقه منطق الحجة وأحاط بضوابطها، وهي على كثرة عللها تمرّ بين الناس مرور الكرام على الكرام، سواء فيهم أهل التعلّم وأهل التسليم، فلا نقد ولا تحليل، فتنقشوا في القوم علل الأذهان، وهي لعمرى أفنك من علل الأبدان.¹ وإزاء هذا كلّه يحدّد الراضي خطة عمله ليحض الأغاليل، ويضع الأمور في سويتها يقول: "ومقالنا هذا محاولة لتسليط الضوء على جانب من الإنتاج المعاصر في دراسة الحجة، ويتعلّق الأمر هنا تحديداً بالوجه السالب من الحجة، أي ما اصطلحنا عليه أعلاه بالحجة المعوجة، وما يصطلح عليه الفكر الحجاجي المعاصر بالسفسطة. ويتضمّن هذا المقال بالأساس تعريفاً بالمدرسة الهولندية في دراسة السفسطة، وهي الدراسة التي تتدرج ضمن النتيجة الشاملة للمحاورة النقديّة، وتتنظر إلى هذه الظاهرة الخطابيّة كفعل من أفعال الكلام يرد في المحاورّة النقديّة كصورة انزياحيّة عن المظهر العاقل للسلوك الحواريّ النقديّ.

¹ - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجاً -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 197، 198.

وقد اقتضى منّا هذا العمل القيام بجولة عابرة تتبعنا فيها بصورة موجزة ميلاد هذا الوعي بهذه الظاهرة، وتاريخ الخطاب الفلسفي المنطقي الذي تناولها منذ اليونان وإلى عصرنا هذا، وذلك حتى نضع القارئ في السياق العام لهذا المبحث، خصوصا وأنّ الكتابات العربية في هذا الشأن محدودة جداً².

- السفسطة في السلسلة الحجاجية: (معاينة لمعالمها ومواقف الفلاسفة والعلماء منها):

-السفسطة كحركة فكرية اجتماعية من حيث سياق ميلادها: ارتبط الظهور السوفسطائي بالقرن الخامس قبل الميلاد وذلك عندما أطاح اليونان بالطاغيتين الصقليين (جيلون Gélon وهيرون Hieron)، إذ مثل هذا الحدث عاملا حاسما في التشكل السوفسطائي، وذلك بالنظر إلى التسلّط الممارس من قبل الطاغيتين، هذا التسلّط أدى إلى قيام حركة ديمقراطية أطاحت بهما، وأتاحت التفاوض حول قضايا الملكية و الدفاع عن الحقوق. فكان هذا الفن الذي استغل بانحراف. يقول (الراضي) مستجمعا هذا الأمر بعد الإطاحة بالطاغين : "وتشير النصوص التاريخية إلى أنّ حكم هذين الطاغيتين كان يتسم بالكثير من التسلّط، فكانا يقومان بترحيل سكان صقلية ليتسنى لهما توطين المرتزقة الذين كانوا يعملون لحسابهم فأدى ذلك إلى قيام حركة ديمقراطية ضد هذا الوضع تمكّنت من الإطاحة بهما، فهب السكان الأصليون للمطالبة بإرجاع الأرض التي سلبت منهم، وقد تطلّب ذلك عقد محاكم شعبية ينتصب فيها المعنيون للدفاع عن حقوقهم...وهو ما أدى إلى قيام هذا الفن المتميز في الثقافة اليونانية فن الخطابة، وأدى إلى بروز فئة متميزة في المجتمع اليوناني هي فئة الخطباء الذين أصبحوا يحظون بتقدير كبير... ممّا فرض على الناس تعليم أبنائهم فنون القول، وأساليب الإقناع، ومخاطبة الناس... لقد أصبح الخطباء بفعل هذا الطلب القوي على

²- رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجا-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 198،199.

فنون الإقناع و أساليبه يحكمون مقامات عليا داخل المجتمع اليوناني، سواء على المستوى المادي أم الرمزي، بحيث تحوّل هؤلاء إلى طبقة من المعلمين المتخصّصين في تدريس هذا الفنّ لأبناء النبلاء والأغنياء القادرين على تأديّة أجرة على ذلك، وخصوصا من أولئك المتطلّعين إلى احتلال المناصب العليا في الدولة¹. إذن العلة التي بني عليها هذا الفن الخطابي هو العلة المادية، فمن استعادة الملكية الماديّة بواسطة فنون القول إلى الطمع في ملكيّة المناصب الماديّة في الدولة. يتوافق هذا مع إثارة الشهوات الماديّة وإثارة منطقة الباتوس في الإنسان، وإثارته كانت بترشيد من الكلام المنبثق عن اللوغوس، فالهيمنة للباتوس بمساعدة اللوغوس. فسبب الانحراف هو الأمور الماديّة التي مجالها الباتوس. والتي كانت تثار في المحتشدات الشعبيّة أين يغطّي العامي على الخاص و المثقف، فكثير من العامّة عجولون ماديا، وحتّى المثقف حينها لا يصمدون أمام العجلة المادية، بسبب التعاند وكميّة الإثارات الممارسة على منطقة الباتوس في الإنسان. زد على ذلك أنّ هذا الفن بني على خصومة وفي الخصومات ينخفض المستوى الثقافي وتستدعى الحيل للتّنفيذ، وتكون هناك الغاية هي الأولى والأخيرة. فالغاية حينئذ تبرز الوسيلة، وعليه حسب الراضي: "اشتهر من السوفسطائيين الأوائل نفر كبير نذكر منهم (كوراكس و تسياس ثم جورجياس وبيروتاغوراس وبيروديكوس وتراديماخوس وهيبياس وكريتياس...) لقد كانت حياتهم الفكريّة عبارة عن معارك قوليّة وصلوات خطابيّة... وكانوا يعتبرون أنفسهم سلاطين القول بلا منازع، يتباهون بالقدرة على إقناع من يشاؤون وبما يشاؤون ومتى يشاؤون² وتبعاً لهذا ظهرت بوادير أدت إلى أنساق لمحاصرة هذا الغرور والغلط التّاريخي المبني على المادة وكان الفلاسفة من مثلّ هذا؛ سقراط وأفلاطون وأرسطو...

¹ - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجا-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص199، 200.

² - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجا-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص201.

- الفلسفة في مواجهة السفسطة: هاته الصورة التي كنا نشاهدها منذ قليل عن السوفسطائين هي مكتوبة من قبل خصومهم الفلاسفة*، وقد استاء الفلاسفة بسبب هاته الصورة، إذ ليست مهمة الإنسان البحث عن الحقيقة بموضوعية، بل البحث في طرق إقناع الخصم، بغض النظر عن صحة هذا الاعتقاد، هذا الأمر يسيء للعقل و الفلاسفة مما جعل جداراً من الفلاسفة والمفكرين في العلوم على مرّ التاريخ يحاصرونهم، يقول (الراضي): "ومما يؤسف له أنّ نصوص السّوفسطائيين الأوائل شبه منعدمة، ممّا جعل الوقوف على حقيقة منهجهم أمراً متعزراً، ولم يصل إلينا إلاّ ما نقله خلفهم المباشرون وخاصة (أفلاطون وأرسطو)، وهي نصوص في أغلبها تعطي الانطباع بأنّ السّوفسطائيين كانوا أعداء للعقل والحقيقة، لأنّهم جعلوا الإنسان مقياساً لكلّ شيء كما كان يعلن كبيرهم (بروتوغوراس)، وهذه نتيجة طبيعية لمذهبهم الذي لم يكن يهتمّ بالبحث عن الحقيقة والكشف عن أسرار الظواهر بل المهمّ عندهم... هو إقناع الخصم بما يعتقدُه المتكلّم، بغض النظر عن صحة الاعتقاد"¹.

- أفلاطون وتمييزه لنوعين من الخطابة: على إثر حوادث السّفسطة المزيفة، وخصوصاً المحاورّة الشهيرة التي جرت بين أستاذ (أفلاطون سقراط) ورائد السّفسطة (جورجياس)؛ والتي أوردها الراضي في هذا المكان¹ أصبح أفلاطون تبعاً لذلك يميّز -وبحسب شديد- نوعين من الخطابة، يقول الراضي: "الخطابة المعقولة (logographie) والخطابة المعقولة (psychagogie). فالأولى هي خطابة السّوفسطائيين القائمة على التّنكر للعقل و للفكر المنضبط، واعتماد الحيل والأساليب الديماغوجية في سبيل إقناع أي كان؛ بأيّ قضية كانت.

*- ينظر، أحمد يوسف، البلاغة السوفسطائية و فاتحة الحجاج ومحمد أسيداه، السوفسطائية وسلطان القول في الكتاب نفسه، الجزء نفسه.

¹- رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجاً-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص201.

¹- ينظر: رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجاً-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص204 وما بعدها.

أما الثانية فهي خطابة رسالتها بناء العقول وتهذيب النفوس، وهي خطابة فلسفية منهجها الجدل وغايتها البحث عن الحقيقة، والجدل بحسب (أفلاطون) هو إجراء يمكن من التفكير الجمعي للمتحاورين الجادين الملتزمين بتلمس سبيل الحقيقة، والذين يخاطبون القوة العاقلة وليس الشهوانية في الإنسان، مما يجعل الخطابة في هذا المنظور تابعة للفلسفة وخدمة لها، وهو خلاف ما كان يتطلع إليه (السوفسطائيون) حين حاولوا ربط الخطابة (السفسطة) باللغة وتقنياتها البيانية والتعبيرية ليتحللوا من كل مسؤولية عقلانية... ومع هذا النقد الأفلاطوني بدأ الانفصال بين الخطابة والسفسطة لتستقل هذه الأخيرة بذاتها حاملة معها التبعات القديحة. بل وأصبحت كل ممارسة فكرية أو كلامية لا تتقيد بضوابط المعقولة والواقعية توصف بأنها سفسطة. أما الخطابة فإنها ستسير في اكتساب صورة متميزة نسبيا غزتها بعد ذلك تقعيدات (أرسطو) وشراحه ومن سار على طريقتهم كشيرون وكونتليان) والفلاسفة العرب المسلمين كالغزالي وابن سينا وابن رشد...¹

أرسطو ومواجهة السفسطة : لقد تناوب المفكرون على نبذ الظاهرة السوفسطائية عبر تاريخ الفكر، وهاته المرة نجدها ملامة من قبل (أرسطو) إذ؛ درسها دراسة كانت تاريخية تختلف عن الدراسات التي قبلها، فدراسة نسقية شاملة، فلم تصبح هاته الظاهرة حركة فكرية اجتماعية لحظية، بل أصبح الحديث عنها كظاهرة خطابية، فأوجد لها تعريفها الذي له أداء حتى الآن، ورصد معالمها وخصائصها كاشفا حيلها يقول الراضي: "يعتبر أرسطو صاحب أهم مساهمة على الإطلاق في معالجة السفسطة، هذه المساهمة المتكاملة لا زالت إلى اليوم منطلق جميع الأبحاث التي تتناول المخاطبة السوفسطائية. وتاريخيا يعتبر هذا الفيلسوف صاحب أول عمل نسقي في دراسة هذا النوع من المخاطبة... إننا مع (أرسطو) نتحول من الحديث عن السوفسطائيين (أي الحركة الفكرية الاجتماعية) إلى الحديث عن السفسطة (أي كظاهرة خطابية) التي عرفها تعريفا دقيقا سيصير من بعده التعريف المعتمد عند أغلب من

¹ - المرجع نفسه، ص 206.

نظروا في هذا الموضوع. فهي استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة، وينبغي التأكيد أنّ الغرض من دراسة السفسطة عند (أرسطو) هو معرفة الحيل التي يلجأ إليها السوفسطائيون حتى يكون الناظر بمنأى عن الوقوع في شراكهم، وذلك بأن يعرف كيف يميّز الأقيسة السليمة والمقدمات المشروعة عن غيرها مما يدخل في باب السفسطة حتى يسلم من الوقوع في حيلها المغلطة، خصوصا وأنّ هناك شباها كبيرا بينها وبين الخطابة¹. وبعدها أرسطو أمورا خمسة سوفسطائية هي²:

❖ إلزام المخاطب أمرا شنيعا معلوم كذبه؛

❖ إيقاع المخاطب في الشك؛

❖ جعل المخاطب يدلي بكلام متخيل المفهوم؛

❖ دفع المخاطب إلى الإتيان بالهذر من القول؛

❖ تبكيت المخاطب.

ويضيف (الراضي) أنّ النقطة الخامسة والتي هي نقطة التبكيت خضعت لتوسّع أرسطي دقيق، يقول: "وهذا القصد الأخير، أي تبكيت المخاطب، هو أهمّ مقاصد المخاطبة السوفسطائية في نظر (أرسطو)، ذلك أنّ القياس بمعناه العام قد يستعمل في التبكيت استعمالا صحيحا ومشروعا ينضبط لشرائط التبكيت الصحيح، فيسمّى قياسا مبكّتا، وهو القياس الذي يلزم عنه نتيجة هي نقيض النتيجة التي وضعها المخاطب، بحيث يتم استخراجها من المقدمات التي سبق وسلّم بها، ومن هنا يأتي السوفسطائي فيوهم أنّه يصوغ قياسات مبكّته دون أن يكون الأمر كذلك، فتسمّى هذه القياسات قياسات مبكّته سوفسطائية" يظنّ بها أنّها تبكيتات حقيقية وإنّما هي مضلّلات". والمبكّت المغلّط قد يتشبه في عمله هذا

¹ - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجا-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 206، 207.

² - المرجع نفسه، ص 208.

بأهل الجدل، فيدعي أنه يبني كلامه على مقدمات مشهورة، فيسمى في هذه الحالة مشاغبا وقد يتشبه بأهل البرهان بحيث يدعي أنه يعتمد مقدمات علمية يقينية فيعدّ سوفسطائياً³، وقد انتهى أرسطو بحسب (الراضي) إلى أن التبكيث يتم لغوياً، فمن جهة الألفاظ يتم عن طريق اشتراك اللفظ المفرد، اشتراك اللفظ المؤلف. وإثراء القول المركب. والقسمة. والإعجام وشكل الألفاظ. أمّا من جهة المعاني فإنه تبكيث يتم بخرق شروط التبكيث الصحيح، وشروط التبكيث الصحيح متبوعة بالتبكيث السوفسطائي على التوالي الثلاثي التالي:

1- صحة الشكل.

2- صدق المقدمات.

3- أن تكون النتيجة نقيضا بالفعل لما تمّ التسليم به من الخصم.

أ- الخروج عن الشكل الصحيح للقياس؛

ب- الاحتيال على المقدمات.

ج- أن تؤخذ النتيجة التي ليست نقيضا لما سلّم به الخصم على أنها نقيض.¹

ويتابع (الراضي) الظاهرة السوفسطائية في تاريخها، فيورد أنها ظاهرة متهاوية انطلاقاً من (سقراط) إلى (أفلاطون) إلى (أرسطو) الذي حسم في بطلانها. وهذا الحسم تعدّى إلى من بعده، ولسبب تاريخي تراجعت الخطابة كجنس وضمنه السفسطة. تحدث (الراضي) عن هذا السبب فقال: "لقد ظلت المعالجة الأرسطوية منارة لجميع الأعمال اللاحقة، وقبل الحديث عن بعض هذه الأعمال تجدر الإشارة عموماً إلى أنّ الأجناس الخطابية (والسفسطة من ضمنها) ستعرف تراجعاً ملحوظاً بعد (أرسطو)، وتحديدًا خلال الحقبة الرومانية. وقد أرجع المؤرخ الروماني الشهير (تاسيت) أواخر القرن الأول الميلادي هذا التراجع إلى العامل السياسي

³ رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجاً -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 209.

¹ - المرجع نفسه، ص 210، 211.

المتمثل في الانتكاس الذي أصاب الديمقراطية على عهد (أوغسطين)، بحيث لم يعد الكلام هو أداة الإقناع وحلبة المنافسة السياسية والطريق الموصل إلى السلطة، فانصرف اهتمام الناس عن الخطابة، وتراجعت عناية الدارسين بمسائلها بعدما توجه اهتمام الرومان - ورثة التراث اليوناني - نحو أسباب القوة العسكرية التي تمكنهم من توسيع حدود إمبراطوريتهم وقد استمر هذا الوضع مدة خمسة عشر قرنا ظلت خلالها الخطابة حبيسة بعض الأبحاث النمطية الكلاسيكية التي كانت خليطا من الأعمال التصنيفية الخالية من أي روح إبداعية تدور حول الشعر والمحسنات القولية البيانية والبدعية².

وبعد هذه المرحلة جاء عصر النهضة، وظهر فلاسفة جدد، وهم؛ (ديكارت) ممثل التوجه العقلاني (فرنسا)، و(فرنسيس بيكون وجون لوك، وديفيد هيوم)... ممثل التجريبيين (انجلترا) يقول الراضي فيهم: "وقد كان من الطبيعي أن تتم مراجعة التصورات القديمة حول قضايا المعرفة وأسئلتها النظرية والتطبيقية. وفي سياق ذلك تمّ التعرض للخطابة وللمعرفة التي تنتجها، والملاحظ أنّ ذلك الجهد الذي بذله (أفلاطون وأرسطو) للفصل بين الخطابة والسفسطة سيذهب سدى خلال هذه الفترة، إذ سنشهد عودة لنفس النظرة التي تطابق بينهما وقد تجسد ذلك الاتفاق بين العقلانيين والتجريبيين على نقد الخطابة والقدرح في المعرفة التي تولدها والمطابقة التامة بينها وبين السفسطة التي أصبحت تدلّ على الكذب والخداع"¹.

وعليه حسب (الراضي)؛ سعى (ديكارت) إلى معرفة صلبة، وقد وجد ضالته في البداهة الفكرية التي عدّها أساس الحقيقة ومنبعها، فعد حينها البداهة الموجودة في المقدمات أنّه يمكن تعديتها إلى المبرهنات باعتماد قواعد استنتاجية يقينية، وهو إذ يفعل ذلك يطرد من

² - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجا -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 212.

¹ - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجا -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 212.

دائرة العلم والمعرفة كلّ محتمل وتقريبي²، ويضيف بشأن التجريبيين: "والنتيجة نفسها سينتهي إليها أنصار المذهب التجريبي، فهؤلاء يحصرون المعرفة الصّحيحة في تلك المستمدّة من التجربة وحكم الحواس، إنّ التجريبيين بهذا المعنى يمثلون وجهاً آخرًا لموقف عام مشترك بينهم وبين العقلانيين، فمقابل الضّرورة والحدس العقلي ويقين البداهة عند أولئك، نجد عند هؤلاء على التّوالي، الصّدق (معيّار الصّدق هنا هو التّوافق مع التجربة)، والحواس والحدس التجريبي، إنّنا إذن مع نفس النظرة المتطلّعة إلى حصر فعالية الفكر في دائرة اليقين"³.

وهكذا ظلّت السّفسطة والظاهرة الخطابية في عمومها مهانة لفترة طويلة. إلى أن عادت إلى الوجود بسبب انهيار اليقين، وظهر قضايا احتمالية صعب على المناهج العلميّة اليقينيّة التّحكم فيها، فمن ذلك: "بدأت العودة إلى النّظر في كتب (أرسطو) حول الجدل والخطابة والشعر والسّفسطة... وبعدها كان (أرسطو التّحليلي البرهاني) يحجب عن الباحثين (خاصّة الفلاسفة والمناطق) كل أثر لـ (أرسطو) الجدلي الاحتمالي"⁴. وتماشى هذا الأمر مع أمر آخر أصبح شائعاً في الحياة اليوميّة، بل ضرورة يوميّة ممارسة في كلّ لحظة فانتشرت الجمعيات والنوادي والأحزاب وظهرت نظم ديمقراطيّة... فعمّ النقاش حول هذه الاختيارات وساعد بلورة تلك الأمور وسائل الإعلام بأنواعها، فأصبحت سمة النقاش والتّواصل مهيمنة على العصر، خصوصاً التّواصل الحجاجي التي أصبحت الظروف مواتية له، وذلك للظفر بحزب أو عالم مال، أو سلطة، أو قضية...¹. وكان: "لا بدّ لهذا الواقع الحجاجي الثري من علم ينظر فيه، ويبحث في أسئلته وقضاياها، ويواكب تطوّراته وتقلباته. وهذا بالذات ما سيشهدّه النّصف الثاني من القرن العشرين، إذ سرعان ما بدأ الحديث عن ميلاد فرع علمي

² - المرجع نفسه، ص 213.

³ - المرجع نفسه، ص 213.

⁴ - المرجع نفسه، ص 219.

¹ - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجاً-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج 3، ص 220.

جديد يسمّى تارة بالخطابة الجديدة، وتارة أخرى بالحجاج. إضافة إلى تسميات أخرى كثيرة كالفكر النقدي والاستدلال والمنطق اللّاصوري والمنطق التّطبيقي...²، ومن الناحية التاريخية اتفق الدارسون على أنّ (شاييم بيرلمان وستيفان تولمين...) "أول من قام بدراسة الظاهرة الحجاجية حديثاً³، وفيما بعد أصبحت تعقد الممارسات الجادة يقول الراضي: "وقد اهتمّ بهذا المبحث في البداية الفلاسفة وأهل المنطق. وسنة بعد سنة أخذت هذه الدراسة تحنلّ مكانها في أوساط الباحثين من تخصصات متنوعة، وأصبحت تغزو المؤسسات العلمية حتى صار بالإمكان مع مطلع الثمانينات عقد مؤتمرات دولية خاصّة تنظر في هذا المبحث من زوايا متعدّدة، وتحاول رسم معالم الدرس الحجاجي عبر إحياء التراث المرتبط به من جهة، وفتحه على أسئلة العصر العلميّة والعملية من جهة أخرى. ثم توجّه هذا التطور بأن أصبح للخطابة والحجاج في بعض الدّول شعب مستقلة، ودوريات علمية مختصة تساهم في إغناء هذا الفرع المعرفي الجديد، وفي تقويم مختلف الأعمال التي تنجز في إطاره، خصوصاً بعدما أضحت المفاهيم الحجاجية تساهم في مقارنة ظواهر أخرى بعدما تمّ وصل الحجاج بكثير من الفروع العلمية الإنسانية كاللّسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد... إلخ⁴.

وفي إطار ازدهار الدرس الحجاجي، دعا الباحثون من جديد الظاهرة السّوفسطائية للدراسة، إذ حسب رؤيتهم فإنّ الدرس الحجاجي الإيجابي لن يكتمل حتّى تدرس الحجاجية السالبة يقول (الراضي) : "وفي نفس السياق سيؤكّد عدد من الباحثين أنّ هذه الملكة الحجاجية لن تكتمل إلاّ بالانفتاح على درس السّفسطة، أي تلك الأحوال التي يخرج فيها الحجاج من وجهة النّمودجي ليتحوّل إلى ممارسة باطلة، نتيجة لما اصطلحنا عليه...

² - المرجع نفسه، ص 220.

³ - المرجع نفسه، ص 221.

⁴ - رشيد الراضي، السّفسطات في المنطقيات المعاصرة - التّوجه التّداولي الجدلي نموذجاً-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 220، 221.

بالحجج المعوّجة، وهو ما يخلّ بما ينبغي أن يكون الهدف الأصلي من وراء كل ممارسة حجاجية عاقلة، ويخرق القواعد والأعراف الأساسية لهذا النشاط المتميّز. خصوصا إذا علمنا أنّ النشاط الحجاجي من حيث طبيعته التوعّية يكون في العادة مرشحا للانزلاق إلى ممارسة غير سليمة، بسبب ما يحيط به من معطيات نفسية واجتماعية... من هنا برز في الدرس الحجاجي المعاصر توجّه يصطلح عليه بتوجه مقاربة السّفسطة؛ والذي أصبح يلقي عناية كبيرة من الدارسين والنظار خلال العقود الأخيرة، وهذا التّوجه يعدّ عنصرا مكّملا للدرس الحجاجي لا يتمّ هذا الدرس إلّا به لأنّ البحث في السّفسطة يمثّل بعبارة (كريستيان بلانتان) الوجه السّالب للحجاج مقابل الوجه الموجب الذي يدرس النّشاط الحجاجي السليم، فالدراسة التّحليلية التّقديّة للسّفسطة هي بمثابة تكملة للنّظرية الحجاجية العامّة¹. ولأجل هذا نجد عدّة دراسات في هذا الأمر، يقول (الراضي): "فتواتل الأعمال في العقود الأخيرة حول السّفسطة، واشتهرت بعض الأبحاث والنّظريات أهمّها كتاب (هامبلين) ... الذي صدر سنة (1970) والمعنوّن بـ "السّفسطات"، والمؤلف المشترك بين (وودز وولتون) "الحجج، منطق السّفسطات" سنة (1982) والذي يعتبر توسيعا لمؤلف (هامبلين)، وعشرات من الدّراسات المنشورة في الدوريات المتخصّصة في الحجاج"²، وأمام هذه الكميّة من الدّراسات التي أصبحت ترى أنّ دراسة الظّاهرة السّفسطائية أمر في خدمة الحجاج الصحيح، فيكون الأمر والحال تلك؛ أنّه إذا سكت عن دراسة السّفسطة فإنّ قضايا الحجاج السويّ لن تتطوّر، وتعدّ دراسة (فان ايمرين، روب غرونتدورست) السّفسطات من منظور تداولي جدلي "دراسة نسقية، وكانت نسقيتها هي سبب اختيار (الراضي) لدراستها في هاته الدّراسة، كنموذج حديث يبيّن مدى مساهمة القطب المعوج من الحجاج في توجيه القطب الصحيح والإيجابي، بعد أن قدّمها

¹ - المرجع نفسه ، ص222.

² - رشيد الراضي، السّفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجا-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص223.

تاريخياً وقدّم مدى تطوّر الدرس الحجاجي بسببها من أثينا إلى أوروبا حديثاً. يقول (الراضي) في هذا السياق: "تأتي مساهمة الباحثين الهولنديين (فان إيمرين وروب غروتدوست) "الفسطات من منظور تداولي جدلي" والتي أصبحت تعدّ أهمّ مساهمة نسقيّة محكمة البناء تتوخى البحث في الفسطات، والاستفادة من التراث الدراسي الكلاسيكي القديم لهذه الظاهرة في تعزيز الدرس الحجاجي المعاصر. وقد اندرجت هذه المساهمة في إطار مشروع متميّز يسعى إلى إدماج الفسطة بعد إجراء التحوّلات اللّزمة عليها، في نمذجة شاملة للمحاورة النّقديّة بما هي نمط خاص من الحوار يتسمّ بقدر معتبر من العقلانية"¹.

هاته المحاور يقول عنها (الراضي): "ففي هذا الضرب من الحوار تتمّ المواجهة بين طرفين ويكون هدف كل طرف هو إقناع الطرف الآخر بدعواه، ويتمّ لأجل ذلك اعتماد مسلك التّدليل على الدعوى، وينبغي في التّدليل على الدعوى أن تراعى فيه جملة من القواعد التي حصل التسليم بها من جهة الطرف الآخر. فكل من انخرط في هذا الضرب من الحوار عليه أن يلتزم بالسّعي لإقناع محاوره بالاستناد إلى المقدمات التي يقبل أو يسلمّ بها هذا المحاور... وتبعاً لذلك فإنّ هناك نوعين من الحجج يمكن التوسلّ بهما في المحاور النّقديّة الحجج الداخليّة، ويتعلّق الأمر هنا بالعمل على انتزاع الحجج من القضايا التي يسلمّ بها المحاور في المحاور ذاتها. وهناك مسلك آخر في طلب الحجج، يتمثّل في استدعاء حجج خارجيّة وهي قضايا ووقائع جديدة يتمّ قبولها لأنّها بديهيات علميّة أو معطيات يقطع بها أهل الخبرة الذين يمثّلون في هذا السياق طرفاً ثالثاً يتّخذ كمصدر محايد للخبرة، وتشتت المحاور النّقديّة كذلك أن يلتزم المتحاوران بالتعاون فيما بينهما للوصول إلى حلّ للمحاورة؛ فكل طرف يظلّ ملتزماً بإفصاح المجال للطرف الآخر حتى يعرض دعواه ويستوفي مسألته"².

¹ - المرجع نفسه، ص 223.

² - رشيد الراضي، الفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجاً -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 226.

وهاته المحاوره قام كل من (فان ايمرين وروب غروتندوست) باختيارها لمحاصرة الظاهرة السوفسطائية فيها يقول (الراضي): "لقد وقع اختيار الباحثين (ايمرين وغروتندوست) على المحاوره التقديه باعتبارها نموذج الحوار العاقل، واتبعا في سبيل إدراج مفهوم السفسطة ضمن هذا النموذج مسلكا أصح دارجا في الكثير من النظريات اللغوية المعاصرة، وذلك عبر تقرير القواعد المعيارية للحالة النموذجية في المحاوره، ثم البحث في أوجه الخرق التي يمكن أن تتعرض لها هذه القواعد، بحيث تكون السفسطة هي بالذات تلك الانزياحات عن القواعد"³. ولأجل هذا: "يقرر الباحثان اعتبار الحجاج فعلا من أفعال الكلام، أي أنهما سيدرجان مبحث الحجاج ضمن نظرية أفعال الكلام باعتبارها إطارا يوفّر الأدوات الضرورية لوضع مقارنة نظرية جدلية تصف الحالة النموذجية للتفاعل الحجاجي الذي تمّ خلال المحاوره التقديه، بحيث يتمّ هذا الوصف بالكلية والنسقية... جاءت مساهمة (فان ايمرين وغروتندوست) التي يمكن اعتبارها لحظة تحوّل نوعية في طور هذه النظرية، إذ سنتنقل من نظرية لأفعال الكلام البسيطة، لتصبح نظرية موسّعة تشمل الأفعال اللغوية المركبة... إنّ نشاط المتحاورين سيصير في هذا المنظور عبارة عن متواليّة من أفعال الكلام التي تحكّمها جملة من القواعد تدفعها دفعا لتحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح"¹. ولأجل هذا كلّه تصبح السفسطة معرفة من قبل الباحثين: "يدلّ مصطلح السفسطة في تصورنا التداولي الجدلي على أفعال اللّغة التي تعوق بوجه كيفما كان حلّ منازعة ما في سياق المحاوره... ففي هذا المنظور لا يعني ارتكاب سفسطة ما إقدامها على سلوك مقدوح فيه أخلاقيا، ولكنّه يشكل غلطا من حيث كونه يعيق الجهود التي تبذل من أجل حلّ المحاوره"². ومن أجل هذا

³ - المرجع نفسه، ص 229.

¹ - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجا -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص230، 229.

² - رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة - التوجه التداولي الجدلي نموذجا -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص 232. نقلا عن:

الفصل الثالث: منهجية التحليل الأحادي في الكتابات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة أبو بكر
الغزوي ومحمد طروس ورشيد الراضي ومحمد العمري أنموذجاً

المفهوم يعلّق الباحثان: "إنّ المقاربة التداولية الجدلية للسفسطات التي تمّ عرضها هنا تسعى جاهدة أولاً إلى بسط نظرية في السفسطة تطرح بديلاً ملائماً للمعالجة المألوفة التي تفتقد للصياغة النظرية... فنحن ننظر إلى السفسطات كأقوال يؤدي ورودها في المحاوراة إلى تهديد فرص الحلّ: فهي تمثل ضرباً لخرق قواعد المحاوراة النقدية. والنموذج التداولي للمحاوراة النقدية يلتزم بأن يغطي كلّ المظاهر ذات الصلة بهذا النمط من المحاوراة، وذلك بالصورة التي تمكّننا من استحضار الأغلاط الحجاجية المسماة تقليدياً بالسفسطات استحضاراً كلياً، ومن تحليلها تحليلاً أكثر تنسيقاً"³. ومن أجل محاصرة السفسطة عمل الباحثان على إعداد هذا النموذج النسقي، فالتسقي يكشف التجاوزات مهماً كانت. والقواعد التي تصورها الباحثان هي عشر كما يلي¹:

- القاعدة الأولى: يتعيّن على كل مشارك من جانبه أن لا يحرم الطرف الآخر من تدعيم أو نقد الدعاوى المعروضة؛

- القاعدة الثانية: أيّما طرف نزع إلى دعوى معينة فهو ملزم بالمدافعة عنها إذ طلب منه ذلك؛

- القاعدة الثالثة: إنّ نقد الدعوى ينبغي أن ينصبّ على الدعوى المعروضة فعلاً من طرف العارض؛

- القاعدة الرابعة: لا تتحقّق المدافعة عن الدعوى إلّا باعتماد أدلّة مناسبة لها؛

Frans Van Emeren et Grootendost, Les Sophisme dans une perspective pragmatico-dialectique, p188.

³- رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجاً -، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص232.

¹- رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة- التوجه التداولي الجدلي نموذجاً-، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، ص234، 233.

- القاعدة الخامسة: يمكن لأي شخص أن يلزم بالمقدمات التي تركها ضمنية؛
- القاعدة السادسة: ينبغي الإقرار بأن المدافعة عن الدّعى قد كانت مقنعة إذا توّسّلت هذه المدافعة بحجج تجد أصلها في مقدّمة مشتركة؛
- القاعدة السابعة: ينبغي الإقرار بأنّ المدافعة عن الدّعى قد كانت مقنعة إذا اعتمدت هذه المدافعة حججا لا يمتنع أن تطبق عليها خطاظة حجاجية مقبولة من الطرفين تطبيقاً صحيحاً؛
- القاعدة الثامنة: ينبغي في الحجج المعتمدة في نص خطابي أن تكون صحيحة، أو في حكم الصحيحة إن تم التصريح بما ورد فيها من مقدمات مضمرة؛
- القاعدة التاسعة: إنّ فشل المدافعة يجب أن يقود العارض إلى العدول عن دعواه، ونجاح المدافعة يجب أن يقود المعترض إلى العدول عن شكوكه تجاه الدّعى التي عليها صار الكلام؛
- القاعدة العاشرة: ينبغي أن لا تكون الأقوال غامضة أو عصية على الفهم، ولا مختلطة أو ملتبسة، بل قابلة للتفسير بأعلى درجات الدّقة الممكنة.
- إنّه من خلال هاته القواعد يتعيّن أنّ ما طلبه الباحثان هو احترام هذه القواعد، والعمل على جعلها مساعدة من أجل إنجاز الحوار والارتقاء به. وهدفهم في ذلك هو محاصرة الخروقات التي هي عندهم سفسطة. وهذا معناه أنّ التّموذج المثالي البنيوي هو كاشف للخروقات السوفسطائية.
- هكذا إذن تابع (الراضي) الظاهرة السوفسطائية، وأثرها في تاريخ الظاهرة الحجاجية قابضاً على التّحوّلات الاستمولوجية التاريخية للظاهرة. فاكتشف تاريخياً استمولوجياً دورها في صنع الاكتمال الحجاجي وتطويره. ونمذجته الدّراسة بالمدرسة الهولندية النّسقية هو دليل

على متابعته التاريخية للأنساق. فالمتابعة التحليلية التي ارتضاها (الراضي) هي متابعة الأنساق في السلسلة التاريخية لتطور الظواهر.

رابعاً: الخطاب الحجاجي عند محمد العمري:

1- محمد العمري (تحليل أسس الانطلاق في مشروعه البلاغي): حاول (محمد العمري) إحداث التوافق النسقي بين التخيل والتداول، بين الشعرية والخطابة، وقد استدعى لهذا النسق التوافقي أعلام هاته العلوم هناك في الغرب، محللاً الأمور تاريخياً. وقد دعا لهذا الأمر تاريخ البلاغة، ودعا وجهتي نظر عميقتين مشهورتين؛ الأولى يمثلها التحليل بالمصدر لبول ريكور، والثانية يمثلها التحليل بالنتيجة لألفي ريبول، وبعد مناقشة الأمور مال لريبول داعماً الأمور بنتائجها، فالعمري يسير بذلك السير كله إلى تأكيد بلاغة عامة وتأكيد شرعية نسقها.

بالرغم من الصعوبات التي تعترض هذا النسق، أي النسق الواحد المتكامل بين التخيل و التداول، إلا أن الباحث (محمد العمري) ظل يميل الميله الشديدة للأمر. مستنداً في ذلك إلى (ميشال مايبير وأوليفي ريبول) خاصة، داعماً الأمور بالبلاغة العربية.

فبالنسبة للصعوبات التي تعترض إحداث التوافق بين الشعرية والخطابة القراءة العميقة لبول ريكور التي درس فيها مناطق القرابة والبعد بين الشعرية والخطابية. وهي دراسة صرح بها وناقشها. أما الصعوبة الثانية فهي تمييز أرسطو ذاته بين الحقلين. أما الصعوبة الثالثة فهي دراسة (حمادي صمود) العميقة التي تحدّد البعد من حيث أسباب نشأة البلاغتين العربية والغربية (مما يهدّد دعمه الربط بالبلاغة العربية). أما الصعوبة الأخيرة، وهي البلاغة من حيث الأسلوب، والتي أخذت نسقها لفترة تاريخية لها أدلتها. هاته صعوبات جمة نحاول إثارتها ونعدها حجة من أجل إحداث نتيجة فيها مغامرة وهي نسقية البلاغة العامة بين

التخييل والتداول التي ارتضاها (العمري) عن طريق (مايير وروبول) داعما الارتضاء بالبلاغة العربية، والبلاغات الخاصة، والمجاز.

يكون منطقيا جدا أن نثير هاته الحجج التي اعتبرها (العمري) إيجابية من أجل نتيجته النسقية.

- بول ريكور: في البحث عن نواة الخطابية والشعرية رجع (ريكور) إلى المهد اليوناني لتدقيق الأمور، فوجد أنّ الخطابية هي من أجل حلّ النزاعات، هذا النزاع يتمّ حلّه في منطقة معقولة توجد بين الخطاب البرهاني والخطاب الإغوائي، وهي الحوار مع مستمع، هذا المستمع هو كوني بعبارة (بيرلمان)¹. ليضيف (ريكور) فيما يتحدّث عنه (العمري) أنّ الخطابية والشعرية تلتقيان في إنتاج نصوص نواتها الاحتمال، يقول: (العمري) مستشهدا في قوله (بريكور): "وتلتقي الشعرية مع الخطابية في كونها، هي الأخرى تعالج إنتاجا لنصوص نواتها الاحتمال، ف "إذا لم نقف- حسب عبارة (ريكور) - عند اعتبار الوزن والايقاع فارقا وحده بين الخطابية والشعرية فسيكون من الصعب التفرقة بين المبحثين"، ذلك أنّ (poiesis) تعني، هي الأخرى، عند (أرسطو) إنتاج الخطاب؛ فهل الخطابية شيء غير تركيب الخطاب، أي أنّها هي الأخرى (بوزيس poiesis)، أضف إلى ذلك أنّ (أرسطو) قد صرّح بصدد الحديث عن الانسجام في بناء حبكة القصيدة (التراجيدية والكوميديّة والملحميّة) لضرورة الاستجابة لما هو محتمل الوقوع، أو ما هو ضروري. بل ألم يقل، أكثر من ذلك، بأنّ هذا الاحتمال أو الضرورة هو ما يسمح للشعر بأن يكون ذا طابع كوني، وبذلك يظهر أكثر فلسفية

¹ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص17، 16. وينظر أيضا: كذلك بول ريكور، الخطابة، الشعرية، التأويلية، تر: ياسين ساوير المنصوري، ضمن كتاب، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج5، ص204 وما بعدها.

وأسمى من التاريخ" لاشك، إذن، بأنّ الشعري والخطابي يتقاطعان في منطقة (région) المحتمل¹.

بالرغم من اعتراف الباحث حسب (العمري) بوجود منطقة القرابة بين الحقلين، إلا أنّ الأمر يظل يختلف. وذلك بسبب الاختلاف في المنطلق والهدف، على الرغم من استعمال (ريكور) للفظ (région) ذي الدلالة الجغرافية القوية² يقول (ريكور): "غير أنّ تقاطعهما يعني مجيئهما من مكانيين مختلفين، وتوجههما نحو هدفين مختلفين"³. وعليه يتجسّد الاختلاف بحسب (ريكور) يقول (العمري): "الشاعر هو صانع حكايات وحكايات وليس صانع كلمات وجمل فحسب، وهذا ما يشهد به في نظره مهد الشعر الذي عرف الملحني والتراجيدي الكوميدي، وهو المهد الوحيد الذي يسمح بالمقابلة بين الشعرية والخطابية... "الفعل الشعري هو خلق حكايات - حبكة -، والفعل الخطابي هو تقديم حجج". من الأكد أنّ هناك خطابة في الشعر وشعراً في الخطابة، غير أنّ الأمر ليس بنفس القوّة في الحالتين؛ فالشاعر لا يحتاج بمعنى الكلمة، حتّى وإنّ كانت شخصيّاته تحتاج؛ فالحجاج عنده يساهم في حدود تنميّة الحبكة، والخطيب لا يخلف حكا للحكاية حتّى وإنّ ضمن خطابه عنصراً سردياً". هذا من حيث البنية أمّا من حيث: "الهدف والوظيفة فإنّ الشعر يستهدف التّطهير في حين تستهدف الخطابة الإقناع، الخطابة حمالة أيديولوجياً والشعر حمال إيطوبيا (الحلم والوهم)"¹. ومنه نجد (ريكور) يتّخذ حلاً بأنّ ترك العلوم كلّ يشتغل في مكانه إذ؛ "ليس من الممكن في نظره، قيام علم يستوعب الشعريّة والخطابيّة (بل والتأويليّة أيضاً). فالملائم إذن هو أنّ تتحدّث كل واحدة باسمها الخاص؛ فتختصّ الخطابيّة بفن الحجاج الهادف لإقناع

¹ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 17، 18.

³ - المرجع نفسه، ص 17، 18. نقلا عن: بول ريكور، « Rhétorique- Poétique- Herméneutique »، p.148.

¹ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 18.

المستمع يكون رأي ما مقدما على منازعة، وتختصّ الشعرية بفن بناء الحبكة مستهدفة توسيع الخيال الفردي والجماعي...².

- ويرى (العمري) أنه تشكل مفهوم له دلالة تاريخية يفصل النسقين يقول: "المفهوم الأرسطي الذي يخصصها لمجال الإقناع وآلياته حيث تشتغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة (المشاور، المشاورة، المشاجرة، والمفاضلة). وهي بهذا المفهوم تقابل بويتيك (poétique, poetics) التي تعنى بالخطاب المحاكي المخيل أي الشعر حصراً"³.

لقد أصاب كلمة بلاغة أن اقترنت بالإقناع أرسطياً تاريخياً، فأصبح الأمر أن كلمة بلاغة بهذا الارتباط أصبحت تؤدي دلالة تاريخية عميقة وفاصلة بين النسقين.

- زد على هذا الذي منذ قليل فقد انكمش الأداء الإقناعي للبلاغة لتتحول إلى بلاغة أسلوبية بديعية جمالية، وهو الذي كرسه المفهوم الأدبي يقول (العمري): "المفهوم الأدبي الذي يجعلها بحثاً في صور الأسلوب، هذا المفهوم الذي استقر لها عبر تاريخ من الانكماش رسم (بارت) خطوطه العامة في محاضراته المشهورة عن تاريخ البلاغة القديمة. وقد أعيدت صياغة هذا الاتجاه حديثاً باعتباره بلاغة عامة أحياناً، كما هو الحال في الدراسة المشهورة لجماعة مي، تحت عنوان البلاغة العامة"⁴.

وأما بالنسبة للصعوبة الأخيرة؛ وقد تمثلت في القراءة العميقة لحمادي صمود ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من (أرسطو) إلى اليوم في مقاله: مقدّمة في الخلفية النظرية للمصطلح، والباحث متخصص في البلاغة العربية، وصاحب الكتاب الثمين:

²- المرجع نفسه، ص 19، 18.

³- المرجع نفسه، ص 12.

⁴- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 12.

(التفكير البلاغي عند العرب)، إذ قارن الباحث بين البلاغة العربية والبلاغة الغربية وأكد أن أسباب نشأة البلاغتين مختلفه تمام الاختلاف يقول: "تختلف البلاغة العربية عن الخطابة الأرسطية اختلافاً ظاهراً من حيث ظروف نشأتها والحاجة إليها والتحوّلات التي جدّت في صلبها بتغيّر السياق التاريخي الحاضن لها. فهي لم تنشأ كالخطابة نشأة فلسفية منطقية تحاول تصنيف الأقاويل بحسب قدرتها على قول الحقيقة وإنتاج المعنى الفرد الذي لا يمكن أن يقوم ما يناقضه والقضايا التي تتربّط فيها النتائج عن المقدمات بصفة محكمة. وكان أن جاء القول الخطبي في نظرية المعلم الأول بعد البرهاني والجدلي. وجاء بعده الشعري فاستأثر البرهاني بدائرة الحقّ ودار الجدل والخطابة والشعر على الممكن والمحمّل. وإن كان الجدل أقربها إلى دائرة الحقّ وكان الشعر أبعداً عنها وتوسّطت بينهما الخطابة... لقد كانت الدواعي إلى نشأة البلاغة مختلفة تماماً عن دواعي نشأة الخطابة... فالبلاغة ظهرت تباشيرها في أحضان الشعر والشعر وقع من إيقاعه وفضله من هيئة القول فيه. ولم يكن يفوق شاعر على شاعر إلاّ بما يقع له من نهج في تصوير المعاني وإخراجها رائقة عذبة تسرّ الناظر وتخلّب لب السامع"¹.

2. نسق التخييل والتداول: لم يلتفت (العمري) لتلك الصعوبات، وذلك من أجل إحداث نسقية للتخييل والتداول، اقتداء بمايبر وروبول، وقدّم لذلك عديد الإثباتات والتي يمكن طرحها.

عبّر (محمد العمري) عن النسق الذي هو متحمّس له، بتقديم مزيد من الحجج لإثباته، وذلك بتعبير مملوء بالبعد التاريخي للظاهرة البلاغية، يقول: "المفهوم النسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علماً أعلى يشمل التخييل والحجاج معاً. أي يستوعب المفهومين الأولين* من خلال

¹ - حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 18، 19.

* - يقصد المفهوم الأرسطي الذي يفرّق بين الشعرية والخطابية والمفهوم الأدبي ذو البعد الأسلوبي للبلاغة.

المنطقة التي يتقاطعان فيها، موسعاً هذه المنطقة أقصى ما يمكنه التوسيع. وقد حدث خلال التاريخ أن تقلص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة وتوسع البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الوحيد لها، فكانت نهضة البلاغة حديثاً منصبة على استرجاع البعد المفقود في تجاذب بين المجال الأدبي (حيث يهيمن التخيل) والمجال الفلسفي المنطقي واللساني (حيث يهيمن التداول)¹.

وقد قدّم (العمري) للظفر بنسق التخيل والتداول إثباتات، بل استشهادات غريبة وعريية فتبنى طرح (مايير)؛ يقول موضّحاً تبنيه: "بذل بلاغيون محدثون كبار جهداً فلسفياً ومخبرياً إن صحّ التعبير، في بيان مدى صلابة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامّة. البلاغة باعتبارها علماً كلياً يستوعب علوم اللسان وعلوم الإنسان. وفي هذا الإطار يرى (ميثال مايير) أنّ بناء بلاغة كلية يتطلب الخروج من المقابلة القضيوية بين الوجود واللاوجود التي بني عليها تفريق (أرسطو) بين الشعرية والخطابية، حيث الشعر "لاوجود يحتمل الوجود" والخطابة "وجود يحتمل اللاوجود". أو بعبارة أقرب إلى المصطلحات المستعملة في القراءة العربية لأرسطو: الشعر كذب يحتمل الصدق، والخطابة صدق يحتمل الكذب، فبدل هذا التقابل القضوي الوجودي يمكن تحقيق وحدة البلاغة باعتماد التفاعل القائم على الإشكال والمساءلة"².

فمايير يرى أنّ الأمور التي نبحثها تخضع لإشكالية المساءلة، أي؛ نسأل لنجيب ونجيب لنسأل... فالكلام من حيث المساءلة هو: "إننا عندما نسأل الكلام نجيب بأنّ عملية التفكير هي عملية المساءلة وإنّ استعمال الكلام الحامل لقدرة الفكر على المساءلة يعدّ فعل تفكير (un acte de penser) ... إنّه بإمكاننا الوصول إلى الجواب حينما نستفهم السؤال لكن

¹ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 12.

² - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 21.

السؤال بما هو سؤال لا يقدم جواباً لأنَّ حقيقته الأولى هي أن يكون سؤالاً ... إنَّ حضور الجواب يقتضيه احترام عملية السؤال تلك لا أكثر ولا أقلَّ ومن هنا فرض الاختلاف وجاء الجواب لكنَّه جواب يشتقُّ من السؤال ولا يدع السؤال يختزله... إنَّ الفرق بين السؤال والجواب باعتبارهما ظاهرتين تأسيسيَّتين للكلام ليست مسألة بناء نحوي¹. في حين توجَّهت جهود بلاغيين آخرين إلى منطقة (ريكور)، فاقتنعوا أنَّها منطقة خصَّبة لمدِّ الأواصر بين التوجَّهات، والاستفادة من هذا التوافق وجعل هذا في خدمة هذا، بدل الإبقاء على التنافر الذي أصله مرجعي وهدفه حدِّته أسباب تاريخية. يقول (العمري) في هذا الأمر: "وقد توجَّهت جهود بعض الباحثين إلى المنطقة المشتركة قصد توسيعها، وتهيئتها لتكون موضوعاً للبلاغة العامة. واستعمل بعضهم في التعبير عن هذه المنطقة نفس الكلمة التي استعملها (ريكور) في سياق الفصل وهي (région)، كما نجد عند (أوليفي ريبول olivier reboul) في كتابه البلاغة (la rhétorique) حيث قال: "سنتبنى حلاً ثالثاً؛ لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في منطقة (région) التي يتقاطعان فيها بالتَّحديد. بعبارة أخرى، ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب كل خطاب تحضَّر فيه الوُظائف الثلاث المتعة التَّعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة؛ كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج"¹. وعليه يصبح الأسلوب في صالح الحجاج والحجاج في صالح الأسلوب، وتتضامن مرحلتين تاريخيتين في تاريخ البلاغة. وقد حاول (ريبول) التَّقريب: "بين قطبي الاحتمال (الصدق والكذب) من خلال فحص طبيعة الآليات الجوهرية الخاصة بكل منهما، أو المعتبرة كذلك وهي: الصور (figures) والحجج (arguments) حيث صار من الشائع الحديث عن بلاغة الصورة (أو الصُّور) وبلاغة

¹- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من

أرسطو إلى اليوم، ص 392، 393.

¹- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 21، 22.

الحجاج¹، ولدعم التوافق حلل الصّور وقسمها وقدم لها الوظائف، يقول (العمري) في ذلك: "ورغبة في استقصاء الموضوع يقترح تقسيم الصّور إلى ثلاثة أنواع: صّور الكلمات، وصور المعنى، وصور التركيب. (وعنده قسم رابع في كتابه البلاغة *la rhétorique* : صّور الفكر) فصّور الكلمات تبدو خاصّة بالقول الشعري والهزلي، ولكنها تلعب مع ذلك دوراً حجاجياً. في حين تبدو صورة المعنى أو المجازات أكثر ملاءمة وقرباً من الحجاج، مثل: الاستعارة والكناية والمبالغة، فهي باستعمالها معنى غير معتاد تثير أزمة داخل الخطاب. وقد حظيت الاستعارة عنده بعناية خاصّة، وكذلك حالها في أعمال التداوليين منطقتة ولسانيين. وينتهي من تحليل عينات من الأنواع الثلاثة إلى أنّ الصّور تلعب دورين؛ خارجي وداخلي، يتمثل دورها الخارجي في تسهيل عملية الحجاج، فهي تشد الانتباه من خلال خرق المعتاد، فتطبع الذكرى في الذهن، كما أنّها تلائم بين الأفكار والمستمع، أي تسهل المعاقلة. أمّا دورها الداخلي فيتجلّى في دخولها هي نفسها، في صلب الحجاج كما هو حال الجناس، حيث يوهم تجانس الألفاظ تجانس المعاني². ووصل الأمر بروبول إلى جعل الحجّة هي نفسها الصورة يقول العمري: "وينتهي هذا التتبع للوظائف الحجاجية للصّورة إلى قلب اتجاه السؤال والنظر من الزاوية الأخرى؛ فيتساءل الباحث عمّا إذا لم يكن من الممكن القول بأنّ الحجّة نفسها مجرد صورة كلاً أو بعضاً². فالحجاج محتمل والصورة محتملة. وهذه منطقتة القرابة.

وحاول (محمد العمري) أن يدعم النسق التخيلي التداولي من محيطه الثقافي، فكان له عود إلى البلاغة العربية، ورأى في تاريخها نظرة بلاغية مهتمة بالأسلوب والبديع وكان ذلك قبل نشأة المصطلح البلاغي، والعروضي، والمنطقي، واللغوي، ورأى أنّها جمعت تحت اسم البديع ومحاسن الكلام كما فعل (ابن المعتز). وتوثيق هذا الأمر كما يرى (العمري) يرجع إلى تلقي شعر الجاهلية وصدر الإسلام، وقد كان للمكوّن البديعي كما يرى خصومات

¹ - المرجع نفسه، ص 22.

² - المرجع نفسه، ص 23، 24.

² - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 24.

ساهمت فيما بعد في تطويره³، ويرى (العمري) أنه ظهر في المحيط نفسه مسار آخر للبلاغة عندما ارتبط الأمر بتقعيد اللّغة، وبيان الانسجام الخطابي للنص القرآني. وكذا الاستعانات بالمنطق اليوناني والبلاغة الأرسطية لدعم التحليل القرآني. فظهر غريب القرآن والمجاز، والكلام حول الذات والصفات الإلهية. فظهر حينذاك مسار ثانٍ للبلاغة مثله (الجاحظ) في بيانه وتبيينه، إذ رأى (الجاحظ) دائماً حسب (العمري) أنّ اللّغوي لا يستطيع مهما أوتي من معرفة أن يحتاج في مجال الإقناع حول المسائل الدينية ما لم يستعن بعلم الكلام، إذ كما يرى (الجاحظ)، هو علم الحجاج العقلي الذي يستطيع المؤلف بين الحقيقة والمجاز¹. وعليه يُلخص (العمري) الأمور قائلاً: "فللبلاغة العربية، إذن، مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين: مسار البديع يغذيه الشّعر، ومسار البيان تغذيه الخطابة. ونظراً للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة في التراث العربي، فقد ظلّ المساران متداخلين ومتلبسين رغم الجهود الكبيرة النيرة التي ساهم بها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة، (أرسطو) وشعريته. ومن العوامل الملموسة التي عقدت المهمة النظرية في هذا المجال البحث عن بلاغة القرآن من خلال الشعر العربي، ذلك السراب الذي جرى خلفه الأشاعرة وتخلّص منه بعض المعتزلة بالقول بالصرفة"¹ ويضيف (العمري) أنّ نموذج الاضطراب مثله (عبد القاهر الجرجاني) حين بحث عن الخصيصة البلاغية من خلال الشعر والقرآن في آن، على الرغم من انتقال الجرجاني إلى المقاربة اللسانية التداولية عن طريق النحو. إلا أنّ النموذج البديعي كان يؤدي وظيفته باستمرار وذلك لغياب النظر الفلسفي المنطقي، فانزوى بذلك علم المعاني²، ويشير (محمد العمري) إلى ملاحظة تاريخية عميقة تمثلت في أنّ العرب قرأوا الخصوصية الشعرية والخطابية إلا أن تردّي الحضارة الإسلامية حال دون استثمار ذلك إبداعاً في مجال

³- المرجع نفسه، ص 28.

¹- المرجع نفسه، ص 29.

¹- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 29.

²- المرجع نفسه، ص 30.

البلاغة¹. وأشار (العمري) في ضوء هذا التردّي مستثنياً ملامحاً تشكّل عند (القرطاجني)، إذ عثر على فرصة المناسبة بين الشعرية والخطابية يقول (العمري) معلقاً على الأمر: "وسنكتفي في هذه المناسبة بإيراد فقرات دالّة من نصّ طويل متماسك مضمونا وتركيباً بيّن فيه المؤلف منطقة تقاطع الشعر والخطابة باعتبارهما بعدين بلاغيّين متداخلين تداخل التخييل والإقناع على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده ... وكانت علاقة جلّ أغراض الناس وآراءهم بالأشياء التي اشترك الخاصة والجمهور في اعتقادهم أنّها خير أو شرّ ... وجب أن تكون المعاني في صناعة الشعرية ما اشتدّت علاقة بأغراض الإنسان ... فأما بالنظر إلى حقيقة الشعر فلا فرق بين ما انفرد به الخاصة دون العامة وبين ما شاركهم فيه، ولا ميزة بين ما اشتدّت علاقته بالأغراض المألوفة وبين ما ليس له علاقة، إذ كان التخييل في جميع ذلك على حدّ واحد، إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنّما هو التخييل والمحاكاة في أي معنى اتفق ذلك"². وبعد النصّ مباشرة نجد (العمري) يضبط حدود هذا النصّ فيقول: "يكمل (حازم) في هذا النصّ عمل الفلاسفة في الملاءمة بين التصور الأرسطي في كتابي الشعر والخطابة، وخاصة حديثه عن وظائف المحاكاة، وبين واقع الشعر العربي الذي يبدو في أكثره جمهورياً خطابياً، وكذا واقع الخطابة التي نشأت في حمى ذلك الشعر وتأثرت به. إذ لم تكن المسافة بين الشعر والخطابة واسعة، كما بيّنا في كتاب: في بلاغة الخطاب الإقناعي حين الحديث عن الأسلوب، وقد ورد هذا النصّ كما يفهم من منطوقه، في سياق الحديث عن "المعاني" البلاغية التي رأى فيها المؤلف المنطقة المركزية للتقاطع بين الشعري والخطابي. ومركز هذا التقاطع هو التأثير في النفوس ودفعها نحو اعتقاد أو فعل"²، إلاّ أنّه رغم كل هذا؛ يظلّ (حازم) محتفظاً بخصوصية كل تخصّص يقول (العمري): "وبرغم هذا التداخل الوظيفي بين الشعري والخطابي فإنّ كل واحد منهما يحتفظ بخصوصيته. ومن هنا

¹ - المرجع نفسه، ص 31.

² - المرجع نفسه، ص 31.

² - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 32.

يتحدّث عن العمدة والتّابع في الاتّجاهين، وكلامه في ذلك أحسن ختام في هذا الموضوع: "وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة، الواقعة في الشعر، تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها مناسبة لها فيما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة. وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة، مناسبة لها، مؤكدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة"³.

إنّ السياق الفكري الأثني -بهذا- مختلف عن السياق البلاغي العربي⁴، وفي كلا السياقين كان الفصل واضحاً بين الشعرية والخطابية إلا في بعض الملامح، ولو لم يكن الأمر كذلك، لما كشف (أوليفي روبول ومايير) عن هذا الأمر حديثاً.

ومن أجل دعم النسق التخيلي التداولي تطبيقياً درس خطاب السخرية والسيرة وظاهرة المجاز... وهي مواد مدروسة في التحليل البلاغي غربياً أو عربياً، غير أنّ هاته المواد رآها (محمد العمري) بأنّها تحمل طابعاً تخيالياً تداولياً، فأن أسخر فإنّي أقدم خطابي السخروي في طابع أسلوب تخيلي لغرض الإقناع وحثّ النفوس لغاية، وأن أكتب سيرة بطريقة فنية يعني في الآن ذاته التعبير عن كثير من أموري بفنية لغاية أريد الإقناع بها. وأستعمل المجاز طريقة لتقوية الكلام العادي¹. وقد قال في كل واحد من هذا كلاماً على حدة، يقول في السخرية: "حاولنا إبراز الأبعاد المعرفية والحجاجية التي جعلت السخرية مبحثاً فلسفياً حجاجياً أثيراً، من جهة، والأبعاد التي جعلتها مبحثاً أدبياً تعبيرياً أو أسلوبياً من جهة ثانية. وقد تعمّدتنا جرّ السخرية نحو الأدبية موسّعين مفهوم الأدب تحاشياً للمعنى الأخلاقي الديني

³- المرجع نفسه، ص 33.

⁴- يمكن النظر في التحليل العميق لصمود الذي يبيّن فيه الفروق بين النشأة الشعرية للبلاغة والنشأة الخطابية للبلاغة الأثينية.

¹- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 83 وما بعدها.

والوجودي العدمي²، وبالنسبة للسيرة الذاتية يقول: "فالذي أثار الانتباه في بناءها، وسمح بإلحاقها بهذا الكتاب هو تأرجحها بين التخيل الروائي و"التصديق" التاريخي. فقارئ السيرة الذاتية المثالية، أي الواقعة في مركز التقاطع بين التخيل والتأريخ، يظلّ في تنازع بين التأريخ والخيال"³، وبالنسبة للمجاز يقول: "تناولنا المجاز في تأرجحه بين البعد المعرفي الإقناعي والبعد التخيلي الإبداعي"⁴.

لكن الملاحظ لتحليل (العمري) لا يلحظ كثيرًا أوجه الاختلاط بين الشعري والخطابي فبعدما يُحلّل يلحظ القارئ من كلامه وكأنّه يتحدّث عن كل في جهته. مع تكثيره من عرض التجارب والتعاريف والمناقشات حول هاته الأمور (السخرية، السيرة، المجاز) سواء عربيًا أم غربيًا. زد على ذلك أنّ قارئ مدوّنته يشعر أنّه يميل إلى الشعري. وكأنّ الأمر يخرج عن إطاره الشعري للخطابي والخطابي للشعري، أو هذا بهذا. زد على ذلك أنّ تحليل (العمري) لمادة السيرة ومادة السخرية، ومادة المجاز، هي مجرد أدوات لنسج الخطاب، أمّا بناء آلة واصفة للتحليل لها تقنياتها وآلياتها ومبادئها فهذا غائب في هذا النسق فالحديث كله عن مجرد أدوات وعرض لآراء العلماء غربيين وعربيين في واقع التخيل والتداول، وكل هؤلاء متحدّث عنهم في سياقاتهم العلمية التاريخية. حتّى أنّ (العمري) تحدث بنفسه أنّه لا يوجد جمع ما عدا في محاولة (مايير وأوليفي روبول) وملح واحد عند (حازم القرطاجني).

² - المرجع نفسه، ص 6، 7.

³ - المرجع نفسه، ص 7.

⁴ - المرجع نفسه، ص 7.



خاتمة

خاتمة: بعد تحليل الدراسات الحجاجية اللسانية العربية الحديثة توصلت إلى النتائج التالية:

- ❖ إنَّ المتأمل اللغوي للتحليل الحجاجي في الدراسات الغربية الحديثة يجده تحليلًا متعدد التوجهات، إذ هو تحليل يصعب القبض عليه؛ ذلك أنَّ الظاهرة الحجاجية ظاهرة مرتبطة بعدد المجالات المعرفية، كالمنطق والبلاغة و القانون والفلسفة...
- ❖ تأسست النظريات الحجاجية حديثًا بسبب المعاملات اللغوية التي تتم على مستوى وسائل الميديا.
- ❖ تأسست النظريات الحجاجية البلاغية واللسانية والمنطقية والفلسفية لـ "برلمان وتيتيكا" دكرو وأنسكومبر"، "ستيفن تولمين"، "ميشال مايير" على التوالي... انطلاقًا من هاته الخلفيات، وقد قدّمت منطقتا للمشهد التأثيري هذا انطلاقًا من أرسطو سمته بالمنطق الطبيعي أو المنطق غير الصوري، وأسست عليه تقنيًا تلك النظريات.
- ❖ يكون "شايم بيرلمان" وألبريخت تيتيكا" و"أزوالد دكرو" و "جون كلود أنسكومبر" و"ميشال مايير"... هم على الأقل المحللين اللغويين للظاهرة الحجاجية الذين أكملوا ما قدّمه أرسطو، ونشير إلى أنَّ تحليلهم متوافق متباين في آن واحد، فكل باحث له جهازه ونموذجه الذي يتميز به عن الآخر وله مواطن اشتراكه الناتجة عن المنطق الطبيعي الذي أسسوا عليه نظرياتهم.
- ❖ يعد علماء الغرب من أثينا قديما إلى أوروبا حديثا، علماء مصحّحين مراجعين لاشتغالاتهم، فعنصر النقد والإكمال عنصر جوهرى في بناء وتنظيم أمورهم العلمية، فنجد نماذجهم ما إن تجهز حتى تتور حولها المسائل والإشكالات وقد مثل علماء الحجاج هذا التوجه.
- ❖ إنَّ القارئ الذي يتابع متابعة ضمنية النظريات الحجاجية من خلال نتائجها وبغض النظر عن مراكز انطلاقتها ومرجعياتها يجد مواطن التداخل التي تتفاوت بسبب التوجيه الإبداعي لأصحابها، غير أنه توجد نسب كبيرة من مناطق التداخل فيما بينها؛ من بينها أنها تنهل من التشكل المنطقي اللانسقي، وترتبط بخطابة وجدل أرسطو قديما، وتحاول استخدام اللغة جميعا في قالب حجاجي، وأنها كلّها نظريات مبنية لأجل المتلقي، ومتمركزة حول اللوغوس

- ... ووجود الاختلاف العلمي بين النظريات هو الأمر الإيجابي - ولو لا هذا الاختلاف العلمي لما ازدهرت بحوث الحجاج ولظلت تتحيز لنفسها.
- ❖ إنَّ المتأمل في الكتابات الحجاجية العربية الحديثة يجدها كتابات متعدّدة المادة، ومادتها إن أردنا جمعها نقبض عليها من خلال الخطاب بكل صورته.
- ❖ تعدّ الدّراسات الحجاجية اللّسانية العربيّة الحديثة توافقية في بعضها؛ ذلك أنّها تستعمل جميع النظريات الحجاجية الغربيّة وتوافق فيما بينها بتقريب مفاهيمها من بعضها البعض أثناء التّظهير وأثناء التّطبيق، كالنّظرية الحجاجية المنطقية والنّظرية الحجاجية البلاغية والنّظرية الحجاجية الفلسفية والنّظرية الحجاجية اللّسانية. ونقصد بهاته الكتابات النماذج: (كتابات عبد الله صولة وكتابات عزالدين الناجح).
- ❖ تعدّ الدراسات الحجاجية اللّسانية العربيّة الحديثة أحادية الوجهة في بعضها؛ ذلك أنّ هاته الكتابات تفرز النظريات الحجاجية الغربيّة عن بعضها البعض مثل: (كتابات أبو بكر العزاوي وكتابات محمد طروس وكتابات رشيد الراضي وكتابات محمد العمري...).
- ❖ ركّز الباحث صولة عمله على تقليص الاختلاف بين النظريات الحجاجية من خلال اكتشاف الإكتمالات والمراجعات بين نظريات الحجاج؛ فالعمل هو مراجعة ابستمولوجية (أي من حيث المفهوم والمبادئ المنهجية والنتائج)، وكل مراجعة شكّلت نسفاً جديداً مكّماً بالنسبة إلى النّسق القديم، وبعبارة أخرى تكمن محاولة صولة على مستوى الكفاية النظرية في إحداث الحوار الابستمولوجي بين الأنساق الحجاجية.
- ❖ لتفعيل صولة الكفاية النظرية على المستوى التّطبيقي - الذي مسّ المعجم والتركيب والصورة- نجد بأنّه؛ نظّم الأمر على قسمين: قسم بنية اللّغة الحجاجية في ذاتها ولذاتها وقسم الخصائص التداولية المساهمة في شحن البنية اللّغوية حجاجياً، وقد استخدم صولة لتحليل ذلك المقتضى والتقويم الحجاجي في مستوى بنية اللّغة، واستعماله للمقتضى والتقويم هو استخدام لتحليل دكرو. واستعماله للخصائص التداولية وتسييرها حجاجياً هو استعمال لتحليل برلمان ودكرو في آن، وإذ ذلك فههدف صولة هو استعمال جميع الفرص من أجل إثبات حجاجية القرآن وأسلوبيته من جهة واختبار حوارية الأنساق الحجاجية الغربية من

جهة ثانية. وهنا نشير إلى أنّ صولة في اعتماده على آراء المحلّلين العرب القدامى في بعض تفاصيل التّطبيق على القرآن الكريم قد تحرّى السيّاقات القرآنيّة، إذ؛ لا بدّ من الارتباط بعلماء عصر القرآن أو غير عصره. فالخطاب القرآني أمره عظيم، وكل كلمة تحلّله أمرها عظيم.

❖ إنّ صولة من خلال بحثه آفاق البلاغة العربيّة نجده راهن على ضرورة التّموقع في التداوليّة عموماً ونظريات الحجاج خصوصاً. واقترح لذلك قانون الأنفع والوصل والفصل الحجاجيّين، ورمى بهما في البلاغة العربية، وذلك دعوة منه لتوسيع الاستثمار في هاتاه المفاهيم وتكثيف اختبارها.

❖ إنّ المتابع لخطاب العزاوي يجده يصبّ في مرميين رئيسيّين هما:

1. تأكيد فرضيّة الطبيعة الحجاجيّة للغة الطبيعيّة دعماً لدكرو.
2. إبراز بعض الجوانب الحجاجيّة للغة العربيّة في مستويات عديدة (أهمّها الصورة الإشهارية والمستوى البصري) دعماً للعربيّة كلغة طبيعيّة. فمشروع العزاوي يبنني على عنصرين؛ عنصر تأكيد حجاجية اللغات الطبيعيّة، وعنصر سدّ الشرخ الحجاجي العربي الحديث. وقد دعا هذا الباحث إلى تعريف القارئ العربي بالنظريّة الحجاجيّة اللسانية في زاويتها المحدّدة (عند دكرو وجون كلود أنسكومبر).

❖ إنّ المتأمل لجهود العزاوي التعريفية يجد بأنّه؛ قدّم كثيرا من المفاهيم والمصطلحات الحجاجيّة اللسانية مموقعا إيّاها في الدلاليّات الحجاجيّة داعماً ذلك بالمقارنة بين البنية الإخباريّة للغة والبنية الحجاجيّة، وهي البنية التي عثرنا عليها في كتابه الحجاج في اللغة ممّا أعطى لكتابه التعريفية بعداً راقياً إبداعياً، ارتقى بها إلى مستوى الكفاية النظريّة والتّطبيقية في العربيّة.

❖ حسن تقديم الكفاية النظريّة يؤدّي إلى حسن التّطبيق وإلى تقديم الآراء والاجتهادات الشخصية؛ ومن بين الاجتهادات الشخصية للعزاوي أنّه أكمل الحجاجيّة اللغويّة بإضافة المكوّن الأيقوني مكوّناً أساسياً في التّحليل.

- ❖ حاول الباحث محمد العمري إحداث التّوافق التّسقي بين التّخييل والتّداول، بين الشعرية والخطابة، وقد استدعى لهذا النّسق التّوافقي أعلام هاته العلوم هناك في الغرب، محللاً الأمور تاريخياً. وقد دعا لهذا الأمر تاريخ البلاغة، ودعا وجهتي نظر عميقتين مشهورتين؛ الأولى يمثّلها التّحليل بالمصدر والنّشأة لبول ريكور والثانية يمثّلها التّحليل بالنتيجة لألفي رويول، وبعد مناقشة الأمور مال لرويول داعماً الأمور بنتائجها، فالعمري يسير بذلك السّير كلّ إلى تأكيد بلاغة عامة وتأكيد شرعية نسقها.
- ❖ بالرغم من الصّعوبات التي اعترضت محمد العمري في إحداث نسق التّخييل والتّداول أي؛ النّسق الواحد المتكامل بين التّخييل والتّداول، نجد الباحث ظلّ يميل ميلاً شديداً للأمر. مستنداً في ذلك إلى ميشال ماير وأوليفي رويول خاصة، داعماً الأمور بالبلاغة العربية.
- ❖ قسم محمد طروس النّظريات الحجاجية إلى: نظرية منطقيّة ونظرية لسانية ونظرية بلاغية. وبتقسيمه هذا نجده يرفض التّداخلات الموجودة بين النّظريات الحجاجية.
- ❖ تمثّل نظرية الحجاج اللّساني ابستمولوجيا حقيقيّة على نفسها من خلال تحليل رشيد الراضي لنظرية الحجاج اللّساني إذ؛ وجدنا بأنّ هاته النّظرية في ذاتها نظرية مرنة تمثّل ابستمولوجيا حقيقيّة على نفسها؛ فهي تراجع وتمارس الإكمال على نفسها دائماً ودليل ذلك مسرح أحداثها الذي شاهدناه؛ من الانفصال عن الدّراسات الحجاجية التي تفرز بين المكوّن التّداولي والمكوّن اللّغوي - الخطابة الجديدة- إلى تأصيل الحجاج في اللّغة إلى تطعيم النّظرية بالمواضع والأصواتية إلى الملتحقات الدلالية وآفاقها المتوقّعة.

قائمة المصادر

قائمة المصادر والمراجع:

1: القرآن الكريم. (رواية حفص) مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.

2. المعاجم:

1. أوزوالد ديكر، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان (طبعة منقحة)، تر: منذر عياشي، دط. المغرب: 2007، المركز الثقافي العربي.
2. باتريك شارودو ودومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، تونس: 2008، المركز العربي للترجمة، دار سيناترا.
3. جاك موشر وأن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين بإشراف عزالدين المجدوب.
4. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، لبنان: 1982، دار الكتاب اللبناني.

3: قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري- ، ط1. المغرب: 1989 منشورات عكاظ.
2. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دط. المغرب: 1985، دار الثقافة، الدار البيضاء.
3. أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، مقارنة وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، دط. الرباط: 1993. منشورات عكاظ،
4. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، دط. بيروت: 1357 هـ، المكتبة العلمية.
5. أحمد مومن: اللسانيات -النشأة والتطور-، ديوان المطبوعات الجماعية، بن عكنون، الجزائر.
6. أرسطو طاليس: الخطابة الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمان بدوي، دط. لبنان: 1979. وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم.
7. أرسطو: الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، دط. بغداد: 1986. دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام .
8. أفلاطون: الجمهورية: تر: فؤاد زكرياء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

قائمة المصادر والمراجع:

9. أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ط1. المغرب: 2011، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء.
10. أندريه مارتيني: مبادئ اللسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق الأبيار، الجزائر.
11. إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، ط1. بيروت: 1997، دار الغرب الإسلامي.
12. إبراهيم حسين الشاربي، سيد قطب: في ظلال القرآن، م4، ط35. مصر: 2005، دار الشروق.
13. ايناس كمال الحديدي: المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ط1. مصر: 2002، دارالوفاء لندنيا للطباعة والنشر.
14. أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ط1. المغرب: 2007، الأحمديّة للنشر.
15. أبو بكر العزاوي: الحجاج والخطاب، ط1. المغرب: 2007، الأحمديّة للنشر.
16. أبو بكر العزاوي: حوار حول الحجاج، ط1. المغرب: 2007، الأحمديّة للنشر. باتريك شارودر، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الودرني، ط1. لبنان: 2009، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
17. باتريك شارودو ، الحجاج وإشكال التأثير، تر: ربيعة العربي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي- دراسات في البلاغة الجديدة-، ط1. الأردن: 2011 دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
18. بيير بورديو: التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر: درويش الحلوجي، ط1. سوريا: 2004، دار كنعان.
19. تمام حسّان: الأصول - دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو فقه اللغة، البلاغة-، دط. القاهرة: 2000، عالم الكتب.
20. تمام حسّان، البيان في روائع القرآن، ط2. القاهرة: 2000، عالم الكتب.
21. التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دط. الجزائر: 2008، دار الوعي للنشر والتوزيع، الروبية.
22. توشيهيكو إيزوتسو المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن، تر: عيسى علي العاكوب، ط1. سوريا: 2008، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الملتقى، حلب.

قائمة المصادر والمراجع:

23. توشيهيكو ايزوتسو: الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم تر: هلال محمد، ط1. لبنان: 2007، دار الجهاد، بيروت.
24. تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ط1. مصر: 2001، دار القاهرة للكتاب.
25. جاك موشر وأن روبول: التداولية اليوم علم جديد للتواصل: تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1. لبنان: 2003، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت.
26. جاك موشر وأن روبول، التداولية واللسانيات والعرفان، تر: شكري المبخوت دط. تونس، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة.
27. جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي: همع الهوامع في شرح الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، ط1. لبنان: 1998، دار الكتب العلمية، بيروت.
28. جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، دط. المغرب: 2014 أفريقيا الشرق.
29. جون لانكشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة- كيبف ننجز الأشياء بالكلام- ، تر: عبد القادر قنيني، ط2. المغرب: 2008، إفريقيا الشرق.
30. جيليان براون وجورج يول: تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، دط. السعودية: 1994، جامعة الملك سعود، الرياض.
31. حافظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاح: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات ط1. الجزائر: 2009. الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف.
32. حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي: أسئلة اللّغة أسئلة اللسانيات، ط1. لبنان: 2009، الدار العربية للعلوم ناشرون.
33. حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات (علم استعمال اللّغة)، ط1. الأردن: 2001، عالم الكتب الحديث.
34. حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة- ، كتاب جماعي، الحجاج: حدود وتعريفات، ط1. الأردن: 2010، عالم الكتب الحديث، إربد.

قائمة المصادر والمراجع:

35. حسن المودن: بلاغة الخطاب الإقناعي - نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب- ، ط. الأردن: 2013. دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع.
36. الحسين بنو هاشم: بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية، ط1. لبنان: 2014 دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت.
37. حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، كلية الآداب، منوبة، سلسلة آداب، مجلد.
38. حمو النفاري: التحاجج - طبيعته ومجالاته ووظائفه-، ط1. المغرب: 2006، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
39. خالد ميلاد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة - دراسة نحوية تداولية -، ط1. تونس: 2001، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع.
40. خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية - مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم- ، ط1. الجزائر: 2009، بيت الحكمة، العلة.
41. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ط1. المغرب: 2003، دار الأمان.
42. دايفيد لوبروتون: أنثروبولوجيا الجسد والحدثة: تر: محمد عرب صاصيلا ط2. لبنان: 1997، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
43. دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن ط1. الجزائر: 2008. منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون.
44. رشيد الراضي: المظاهر اللغوية للحجاج، ط1. لبنان: 2014، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
45. شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، ط2. ليبيا: 2010، دار الكتاب الجديدة.
46. صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1. سوريا، 2008 صفحات للدراسات والنشر، دمشق.

قائمة المصادر والمراجع:

47. صابر الحباشة: لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط1. سوريا: 2010، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية.
48. صابر الحباشة: في المعنى -مباحث دلالية معرفية-، ط1.المغرب: 2008 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
49. صابر الحباشة: لسانيات الخطاب- الأسلوبية والتلفظ والتداولية-، ط1. سوريا: 2010، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية.
50. صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، ط1. لبنان: 1993، دار التنوير.
51. طه عبد الرحمان : التواصل والحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر، المملكة المغربية، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير دار المعارف الجديدة، الرباط.
52. طه عبد الرحمان: الحوار أفقا للفكر، ط1. لبنان: 2013، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
53. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1. المغرب: 1998 المركز الثقافي العربي.
54. طه عبد الرحمان: المنطق والنحو السوري، ط1. لبنان: 1983، دار الطليعة للطباعة والنشر.
55. الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيوية -دراسة تحليلية إستراتيجية-، دط. الجزائر: 2001، دار القصبه للنشر.
56. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ط2. ليبيا: 1986، الدار العربية للكتاب، طرابلس.
57. عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر - مقارنة حوارية في الأصول المعرفية-، دط. 2005، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
58. عبد الغني بارة: الفلسفة والهرمنيوطيقا - نحو مشروع عقل تأويلي-، ط1. لبنان: 2008، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف.

قائمة المصادر والمراجع:

59. عبد القادر الفاسي الفهري: المعجم العربي - نماذج تحليلية جديدة-، ط2. المغرب: 1999، دار توبقال للنشر.
60. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ط5. مصر: 2004، مكتبة الخانجي، القاهرة.
61. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2. لبنان: 2007، دار الفارابي، بيروت، لبنان، كلية الآداب والفنون والإنسانيات تونس، دار المعرفة للنشر، الجمهورية التونسية.
62. عبد الله صولة: في نظرية الحجاج -دراسات وتطبيقات-، ط1. تونس: 2011، مسكيلياني للنشر والتوزيع.
63. عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي، تح: سالم مصطفى البديري، ط2. لبنان: 2005، م9، م10، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان
64. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ط1. طرابلس، 2003، دار الكتاب الجديد المتحدة.
65. عبده الراجحي: التطبيق النحوي، ، دط. بيروت: 1986، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر.
66. عزالدين الناجح: انسجام الخطاب من خلال مقارنة حجاجية للمنظر الخامس من مسرحية السد لمحمود المسعدي، ضمن أعمال الملتقى الدولي لتحليل الخطاب ط1. الجزائر: 2009، كلية الآداب تيزي وزو، الجزائر.
67. عزالدين الناجح: الحجاج في الخطاب القانوني، دط. تونس: 2012. نيرفانا دار بوجميل للطباعة والنشر.
68. عزالدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللّغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.
69. علي الشبعان: الحجاج بين المنوال والتمثال - نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري- ط1. تونس: 2008، مسكيلياني للنشر والتوزيع.
70. علي القاسمي: علم اللّغة وصناعة المعجم، ط2. السعودية: 1991، جامعة الملك سعود، الرياض.

قائمة المصادر والمراجع

71. علي رزق: نظريات في أساليب الإقناع -دراسة مقارنة-، ط1. لبنان: 1994، دار الصفوة.
72. عمر أوكان، اللغة والخطاب، دط. المغرب: 2001، أفريقيا الشرق.
73. عمر بلخير، مقدمات في الحجاج والنص، دط. الجزائر: 2011، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر.
74. العياشي أدراي: الاستلزام الحواري في تداول اللساني- من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها-، ط1. المغرب: 2011، دار الأمان.
75. أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر.
76. فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط2. لبنان: 2004، م9 دار الكتب العلمية.
77. فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني دط. المغرب: 2008، إفريقيا الشرق.
78. فليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، ط1. مصر: 2013، المركز القومي للترجمة.
79. فيليب بروتون: جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، ط1. السعودية: 2011، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز جدة.
80. كاترين كيريرات أوريكيوني: المضمرة، تر: ريتا خاطر، ط1. لبنان: 2008 المنظمة العربية للترجمة.
81. كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مراجعة، عبد الله صولة، دط. تونس: 2008، دار سيناترا.
82. مبارك حنون: مدخل للسانيات سوسير، ط1. المغرب: 1987، دار توفال.
83. محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتتوير، دط. تونس: 1984 ج2، ج12، ج13، الدار التونسية للنشر.
84. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، دط. القاهرة: 2005، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

قائمة المصادر والمراجع:

85. محمد العمري: البلاغة بين التخييل والتداول، ط2. المغرب: 2012، أفريقيا الشرق.
86. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية-، ط2. المغرب: 2002، أفريقيا الشرق.
87. محمد سالم محمد الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر-، ط1. لبنان: 2008، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
88. محمد طروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1. الدار البيضاء: 2005، النجاح الجديدة.
89. محمد عابد الجابري، التراث والحداثة في المشروع الفكري، إشراف وتقديم: محمد الداوي، دط. المغرب: 2012. منشورات دار التوحيد.
90. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1. دار الكتاب الجديد المتحدة،
91. محمد مشبال ، البلاغة والخطاب، ط1، المغرب: 2014، دار الأمان.
92. محمد مشبال: البلاغة والسرد- جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ دط. المغرب: 2010، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان.
93. محمود عكاشة: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة -دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم-، ط1. مصر: 2013، دار النشر للجامعات ، القاهرة.
94. محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دط. بيروت: 1985، دار النهضة العربية.
95. محي الدين محمد الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط7. لبنان: 1999 م3، م4، اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت.
96. مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، ط1. العراق: 2015، دار ومكتبة عدنان، منشورات الاختلاف.
97. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-، ط1. لبنان: 2005، دار الطليعة للنشر والتوزيع.
98. مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية -من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى مفاهيم وأمثلة- ، دط. إريد، الأردن: 2010، عالم الكتب الحديث.

قائمة المصادر والمراجع

99. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، -دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية- ، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل الجامعية.
100. ميشال زكرياء: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ط2. لبنان: 1985، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
101. ميكا إيفيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد مصلوح، وفاء كامل، ط2. مصر: 2000، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
102. أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم : طوق الحمامة، ضبطه سعيد محمود عقيل، دط. لبنان: 2007 دار الجيل.
103. نعوم تشومسكي: البنى التركيبية، تر: يؤيل يوسف عبد العزيز، ط2. المغرب: 1987، منشورات عيون بالإشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة ، الدار البيضاء.
104. هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، ط1. الجزائر: 2013 منشورات الاختلاف.

4. مجلات:

1. بلقاسم دفة: استراتيجية الخطاب الحجاجي - دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية- ، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة: 2014، ع10.
2. جمعان بن عبد الكريم الغامدي: الحجاج في الخطبة النبوية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، 2013، ع10.
3. حسن خميس الملح: الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: 2011، ع2، المجلد40، أكتوبر- ديسمبر.

قائمة المصادر والمراجع

4. رشيد الراضي: مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر ودكرو، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: 2011، ع2، المجلد40، أكتوبر/ديسمبر.
5. عزالدين الناجح: المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري، ضمن مجلة مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر: 2007، ع2.
6. عزالدين الناجح: رصد لبعض ملامح حجاجية الخطاب الشعري من خلال مقارنة حجاجية لنص صوفي "شربنا على ذكر الحبيب مدامة لابن الفارض.
7. عزالدين الناجح: مقارنة تداولية لحكمة عطائية، مجلة مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو: 2008، ع3، ماي.
8. عزالدين الناجح: العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال مقارنة تداولية لسانية لسورة الإخلاص، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع6، ديسمبر الجزائر: 2007.
9. محمد الولي: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: 2011، ع2، المجلد40 أكتوبر - ديسمبر.

5. المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- 1-Chaimperelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation, Editions de l'université de Bruxelles, 6^{ème} édition, 2008.
- 2-J.C Anscombe O. Ducrot, l'argumentation dans la langue, Edition Mardaga liege-Bruxelles, Belgique 3^{ème} édition, 1997.

فهرس المحتويات

1 مقدمة:

5 مدخل:

الفصل الأول:

التطبيقات العلاجية الألمانية الغربية (الأصول والمبادئ المنهجية والتقنيات) 25

28 أولا: تصحيح أرسطو للظاهرة السوفسطائية

28 1- إشكالية المظاهر السلبية للسفسطة

30 2- أرسطو ناقدا للظاهرة السوفسطائية منهجيا

36 ثانيا: الإجراءات التقنية الأرسطية للتحليل الحجاجي

36 1- الايتوس والباتوس واللوغوس وأجناس الخطابة

38 2- الموضوع:

39 ثالثا: شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا والحجاجيات الحديثة:

40 1- منطق القيم عند شايم بيرلمان:

42 2- شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا والتموقع المتصل المنفصل بأرسطو منهجيا:

48 3- المصطلحات التقنية لشايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا:

51 رابعا: ميشال مايير والحجاج

55 خامسا: أوزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر والحجاج:

55 1- التاريخ والطبيعة المنهجية العلمية

2- موقع الحجاج في التداولية المدمجة:.....63

3-المصطلحات التقنية لأزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر:.....66

الفصل الثاني: مادة البحث ومنهجية التحليل التوثيقي في الكتابات اللسانية الحجاجية العربية

الحديث.....76

أولاً: تصنيف الكتابات العربية الحجاجية من حيث مادة البحث:.....79

1- القرآن الكريم مادة لغوية للبحث الحجاجي العربي الحديث:.....80

2-حديث الرسول صلى الله عليه وسلم والخطبة بصفة عامة مادة للبحث الحجاجي

العربي الحديث:.....83

3-الصورة: (الإشهار مثلاً) مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:.....84

4-الشعر مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:.....86

5-النثر بأجناسه (سيرة، أمثال، نصوص عامة،...) مادة للبحث الحجاجي العربي

الحديث:.....87

6-الخطاب العلمي الحجاجي التراثي مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:.....91

7- الخطاب العلمي التراثي العربي مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:.....95

8-الخطاب العلمي الحجاجي العربي الحديث مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:.....97

9-الخطاب الحجاجي العربي الحديث مادة للبحث الحجاجي العربي الحديث:.....99

ثانياً: الكتابات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة التوافقية عبد الله صولة وعزالدين

الناجح أنموذجاً:.....99

- 1-الخطاب الحجاجي اللساني الغربي عند عبد الله صولة 99
- أ-نسق الكفاية النظرية من خلال القراءة الابيستمولوجية التاريخية: 101
- ب-قراءة في نسق التطبيق (في امتزاج الكفاية النظرية بالتطبيقية): 118
- 2-الخطاب الحجاجي اللساني عند عزالدين الناجح 148
- أ. الأصوات الحجاجية المكونة لخطاب الناجح: 150
- ب. الأصوات الحجاجية في مستوى الكفاية التطبيقية عند عزالدين الناجح: (تشابك المنهج والمادة وتوحد النسق): 164
- 3.الملاحح اللسانية التراثية في الدراسات اللسانية الحجاجية العربية الحديثة 198
- (عبد الله صولة وعزالدين الناجح أنموذجا) 198
- أ. عبد الله صولة: 199
- ب. عزالدين الناجح: 210
- الفصل الثالث: منهجية التحليل الأحادي في الكتابات اللسانية الحجاجية العربية
- أبو بكر العزاوي ومحمد طروس ورشيد الراضي ومحمد العمري أنموذجا 228
- أولاً: الخطاب الحجاجي اللساني عند أبي بكر العزاوي: 229
1. أبو بكر العزاوي وخياره النظري المنهجي: (دراسة نسقه الحجاجي): 229
- 2-الوجوه الإبداعية في الخطاب الحجاجي لأبي بكر العزاوي: 243
- ثانياً_الخطاب الحجاجي اللساني عند محمد طروس: 249
1. المقاربة المنطقية واللسانية والبلاغية: 249
- ثالثاً: الخطاب الحجاجي اللساني عند رشيد الراضي: 256

فهرس الموضوعات:

- 1-رشيد الراضي من خلال كتاب المظاهر اللغوية:.....256
- 2-الظاهرة السوفسطائية و أثرها في تاريخ الظاهرة الحجاجية عند رشيد الراضي:.....275
- رابعا: الخطاب الحجاجي عند محمد العمري:.....291
- 1-محمد العمري (تحليل أسس الانطلاق في مشروعه البلاغي):.....291
2. نسق التخييل والتداول عند محمد العمري :.....295
- خاتمة:.....305
- قائمة المصادر والمراجع:.....311
- فهرس الموضوعات.....321

